هداية الحائرين

لصلاة الخاشعين

المتضمن للأسباب الجامعة للصلاة الـ
مع شرحها في ضوء الكتاب والسـ
وصفة صلاة النبي ﷺ
كما أوردها ابن القيم وابن باز رحمهما اللـ

قدم له فضيلة الشيخ العلامة الدكتور
صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

تأليف
حسين حسن الفيفي

دار ابن الأثير

هداية الحائرين
لصلاة الخاشعين

المتضمن

للأسباب الجامعة للصلاة الخاشعة

مع شرحها في ضوء الكتاب والسنة

وصفة صلاة النبي ﷺ

كما أوردها ابن القيم وابن باز رحمهما الله

قدم له فضيلة الشيخ العلامة الدكتور

صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

تأليف

حسين بن حسن الفيفي

دار ابن الأثير

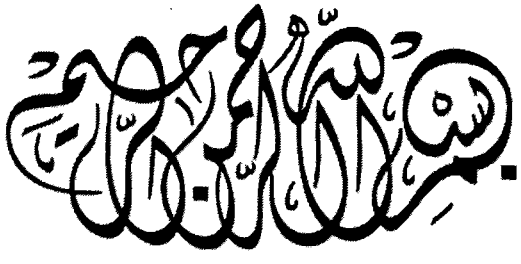

هداية الحائرين
لصلاة الخاشعين

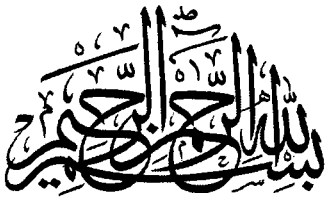
بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م

للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - ص . ب ٦٤٣٧٧ الرياض ١١٥٣٦

هاتف : ٤٢٨٥٣٩٠ المعرض : ٢٦٧٧٥٨٤ فاكس : ٢٦٧٢٥٥٨

التوزيع : ٠٥٠٦١٠٨٦٦٧ - ٠٥٠٦١٠٨٧٠٧ الغربية : ٠٥٠٦٤١٦٠١٩

مقدمة معالي الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان

الحمد لله، وبعد:

فقد اطلعت على كتاب: (هداية الحائرين لصلاة الخاشعين) تأليف الشيخ: حسين بن حسن الفيفي، فرأيته كتاباً جيداً في موضوعه؛ لأن الخشوع في الصلاة هو روحها.

وفي هذا الكتاب تذكير بذلك وبيان له، فجزاه الله خيراً ونفع بما قدم في هذا الموضوع.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

كتبـه

د. صالح بن فوازن الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء

* * *

تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

الحمد لله جعل لكل أجل كتاب ولكل طاعة ثواب ولكل معصية عقاب سبحانه هو الكريم الوهاب يمحو ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب. وأشهد أن لا إله إلا الله منزل الكتاب ومجري السحاب وخالق الإنسان من تراب وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله النبي الأواب والعبد التواب صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على هديه إلى يوم الحشر والحساب وسلم تسليماً كثيراً. أما بعد:

فإن من أظهر وأجلى شعائر الإسلام وأركانه العظام الصلاة التي فرضها الله على عباده ولذلك أكثر الله سبحانه من ذكرها في كتابه الكريم ومدح أهلها وأثنى عليهم وذم من تركها أو تهاون بها. فالصلاة هي عمود الإسلام لا حظ في الإسلام لمن ضيعها.

إن الصلاة ليست أقوال وحركات تؤدى فحسب بل هي تربية للنفس وتهذيب للروح وصفاء للقلب ونور للبصيرة. تحيا بها القلوب. وترد المسلم إلى ربه وتقوي صلته به. هي قرة عيون الموحدين المخلصين كما قال ﷺ: «**وجعلت قرة عيني في الصلاة**»[1]. وهي كذلك لذة وسعادة للخاشعين المخبتين.

لذا كان جديراً بكل مسلم أن يحرص كل الحرص على معرفة

---

(١) السلسة الصحيحة برقم ١٨٠٩.

الأسباب الموصلة للصلاة الخاشعة. لعلنا أن نغير من حالنا في الصلاة ونقبل على صلاتنا بقلوب خاشعة مستحضرة لعظمة من نقف بين يديه. فإن الصلاة أصبحت في واقع كثير من المسلمين اليوم عادة وليست عبادة أصبحت تؤدى بقلوب ساهية لاهية مشغولة بحطام الدنيا التي قد طغت على القلوب وأصبحت حديث الناس في كل أوقاتهم وجميع حالاتهم بل وحتى في مساجدهم حتى ممن ظاهرهم الصلاح والاستقامة أصبحت الدنيا شغلهم الشاغل حتى على حساب دينهم. وهذا هو الذي دفعني لجمع وكتابة هذه الأسباب التي أسأل الله أن ينفع بها.

كتبت وقد أيقنت يوم كتابتي ... بأن يدي تفنى ويبقى كتابها
فيا قارئ الخط الذي قد كتبته ... تفكر في يديَّ وما قد أصابها
فإن عملت خيراً تجازى بمثله ... وإن عملت سوءاً عليها حسابها

وبين يدي القارئ الكريم بعض الأسباب الجامعة الموصلة إلى الصلاة الخاشعة جمعتها ثم صغتها بأسلوب متواضع ورتبتها حسب أهميتها واجتهدت في اختيار بعض الألفاظ المناسبة وأعلم أن هذا العمل لا يخلو من تقصير ولكن نقول كما قال الأول:

إن تجد عيباً فسد الخللا ... جل من لا عيب فيه وعلا

فالله المستعان وعليه التكلان ولاحول ولا قوة إلا بالله.

ولا يفوتني أن أشكر كل من ساعدني أو أسهم معي بفكرة أو برأي أو بتصويب وعلى رأسهم فضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان وفضيلة الشيخ عبدالله بن مشبب القحطاني.

ونسأل الله أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به الإسلام والمسلمين.

فضل الخشوع وأهميته

قبل البدء في ذكر الأسباب الموصلة إلى الخشوع في الصلاة ينبغي أن نعرف فضل الخشوع وما ورد فيه من الفضل والثواب العظيم وما أعده الله سبحانه للخاشعين والخاشعات فإذا عرف الثواب بذلت الأسباب وهانت الصعاب لو لم يكن للخشوع في الصلاة إلا فضل الانكسار بين يدي الله، وإظهار الذل والمسكنة له، لكفى بذلك فضلاً، وذلك لأن الله جل جلاله إنما خلقنا للعبادة قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (١). وأفضل العبادات ما كان فيها الانكسار لله والذل له سبحانه وهذا هو سر العبادة ومقصودها. ولا يتحقق ذلك إلا بالخشوع.

والخشوع في اللغة: هو السكون والانخفاض والهدوء.

قال تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾(٢). أي: انخفضت وسكنت.

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً﴾(٣). أي: منخفضة ساكنة.

والخشوع في الصلاة: حضور القلب بين يدي الله تعالى، وسكون الجوارح، واستحضار ما يقوله المصلي أو يفعله من أول صلاته إلى آخرها، مستحضراً عظمة الله تعالى وقربه من عبده وأن العبد بين يدي

---

(١) سورة الذاريات آية ٥٦.

(٢) سورة طه آية ١٠٨.

(٣) سورة فصلت آية ٣٩.

خالقه يناجيه.

والحامل على الخشوع هو الخوف من الله تعالى ومراقبته ، والشعور بقربه من عبده وكلما امتلأ القلب بمعرفة الله تعالى ومحبته وخشيته وإخلاص الدين له وخوفه ورجائه كلما قوي خشوعه وانكساره وتعلقه بربه.

والخشوع يحصل في القلب ثم يتبعه خشوع الجوارح والأعضاء من السمع والبصر والرأس وسائر الأعضاء حتى الكلام، ولذا كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه: «**اللهم لك ركعت، وبك آمنت، ولك أسلمت، خشع لك سمعي وبصري، ومخي وعظمي وعصبي وما استقلت به قدمي**»(١). فإذا خشع القلب خشعت الجوارح وظهر عليها السكون والطمأنينة والوقار والتواضع وإذا فسد خشوع القلب بالغفلة والوساوس فسدت عبودية الأعضاء، وذهب خشوعها.

والخشوع أمر عظيم شأنه، أثنى الله تعالى على المتصفين به فقال سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾(٢).

وهو سريع فقده لاسيما في هذا الزمان، وقد ورد في حديث أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ قال: «**أول شيء يرفع من هذه الأمة الخشوع، حتى لا ترى فيها خاشعاً**»(٣).

وفي الحديث الذي يرويه حذيفة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) أخرجه مسلم من حديث علي رضي الله عنه.

(٢) سورة المؤمنون آية (١ ـ ٢).

(٣) أخرجه الطبراني بإسناد حسن كما قال المنذري وله شاهد من حديث شداد بن أوس عند الطبراني في الكبير وغيره.

«أول ما تفقدون من دينكم الخشوع وآخر ما تفقدون من دينكم الصلاة، ورب مصل لا خير فيه، ويوشك أن تدخل المسجد فلا ترى فيهم خاشعاً».

وأخرج البخاري في صحيحه عن محمد بن شهاب الزهري رحمه الله تعالى أنه قال: دخلت على أنس بن مالك دمشق وهو يبكي فقلت له ما يبكيك؟ فقال: «لا أعرف شيئاً مما أدركت إلا هذه الصلاة، وهذه الصلاة قد ضيعت»(١).

وعن أنس رضي الله عنه قال «ما أعرف شيئاً مما كان على عهد النبي ﷺ». قيل: الصلاة ؟ قال: «أليس ضيعتم ما ضيعتم فيها»(٢). وهذا مما يؤكد أهمية الخشوع والطمأنينة في الصلاة ويبين مكانته من صلاة العبد وأن العبد ربما يحرم أجر هذه الصلاة التي أداها بسبب عدم خشوعه فيها.

الثواب على قدر الخشوع:

فالخشوع في الصلاة هو روحها، ولا يحصل ذلك إلا لمن فرغ قلبه لها، واشتغل بها عما سواها، وآثرها على غيرها، واستحضر فيها عظمة الله تعالى فصارت راحة له وقرة عين، والصلاة التي لا خشوع فيها ولا حضور قلب قد تكون مجزئة مثاباً عليها، إلا أن الثواب على حسب ما يعقل القلب منها، لما ورد عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن الرجل لينصرف وما كتب له إلا عشر صلاته،**

---

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم ٥٢٩.

(٢) رواه البخاري برقم ٥٢٩..

تسعها، ثمنها، سبعها، سدسها، خمسها، ربعها، ثلثها، نصفها»[١].

قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى: أصل الخشوع لين القلب ورقته وسكونه وخضوعه وانكساره فإذا حصل له ذلك تبعه خشوع جميع الجوارح والأعضاء لأنها تابعة له[٢].

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره: الخشوع هو السكون والطمأنينة والتؤدة والوقار والتواضع والحامل عليه هو الخوف من الله ومراقبته.

والله سبحانه قد أثنى في كتابه الكريم وامتدح الخاشعين والخاشعات في أكثر من موطن وجعله سبباً للفلاح في الدنيا والآخرة قال سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾[٣].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ۝٣٤ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[٤].

والمخبتون كما ذكر أهل التفسير هم الخاشعون المتواضعون مأخوذ من الخبيت وهو المكان المنخفض من الأرض.

وقال سبحانه: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ۝٤٥ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[٥]. فالصلاة ثقيلة

---

(١) أخرجه أبو داوود والنسائي في الكبرى وسنده حسن صحيح الجامع ٢/ ٦٥.

(٢) جامع العلوم والحكم.

(٣) سورة المؤمنون آية (١ ـ ٢).

(٤) سورة الحج آية ٣٤-٣٥.

(٥) سورة البقرة آية ٤٥-٤٦.

وطويلة إلا على من استثناهم الله سبحانه.

لذا تجد كثيراً من الناس يتضايق من الصلاة ويشتكي من تطويل الإمام وربما اقتصر على صلاة ينقرها كنقر الغراب في بيته هذا إذا لم يتركها بالكلية.

وقال سبحانه بعد حديثه عن الأنبياء والمرسلين صفوة الخلق عليهم الصلاة والسلام: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (١). وقال سبحانه مثنياً على الذين أوتوا العلم: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ (٢). وقال سبحانه وتعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ (٣). وأصل القنوت التذلل والخشوع. وقيل مطيعين لقوله ﷺ: «**كل قنوت في القرآن فهو طاعة**»(٤). وسبب نزول هذه الآية كما ذكر ذلك أهل التفسير أن الصحابة كانوا إذا قاموا في صلاتهم رفعوا أبصارهم إلى السماء فأمرهم الله سبحانه بخفض أبصارهم. لحديث زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: «**كنا نتكلم في الصلاة حتى نزلت فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام**»(٥).

والخشوع أمر قلبي يجعل القلب يقبل على الله سبحانه والجوارح

---

(١) سورة الأنبياء آية ٩٠.

(٢) سورة الاسراء آية ١٠٧.

(٣) سورة البقرة آية ٢٣٨.

(٤) رواه أحمد وغيره.

(٥) رواه البخاري ومسلم وهذا منقول من تفسير الجلالين.

تسكن والعين تدمع من خشية علام الغيوب لذا قال ﷺ للرجل الذي رآه يعبث في صلاته: «**لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه**»(١). وقد حثنا رسولنا ﷺ على الخشوع وبين فضل البكاء من خشية الله حيث قال ﷺ: «**عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله**»(٢). وقال أيضاً صلوات الله وسلامه عليه: «**لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم**»(٣). وقد ذكر ﷺ في السبعة الذين يظلهم الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله رجل قلبه معلق بالمساجد ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه(٤). ووجه الدلالة من الحديث: أن الخاشع في صلاته يغلب على حاله البكاء في الخلوة أكثر من غيره، فكان بذلك ممن يظلهم الله في ظله يوم القيامة.. ووالله لن يتعلق قلب عبد بالمساجد إلا وهو من الخاشعين في صلاتهم المتلذذين بها المقبلين عليها فهم يجدون فيها أنسهم وجنتهم ونعيمهم الذي لا يريدون فراقه على حد قول شيخ الإسلام: «إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة إنها جنة الإخلاص واليقين».

وقدوتنا وأسوتنا في ذلك رسولنا ﷺ. فعن عبدالله بن الشخير رضي الله عنه

---

(١) رواه الترمذي وفيه ضعف وقيل أنه موقوف على سعيد بن المسيب.

(٢) رواه الترمذي وصححه الألباني.

(٣) رواه الترمذي في كتاب الجهاد باب فضل الغبار في سبيل الله برقم ١٦٨٣.

(٤) متفق عليه.

قال: «**أتيت النبي ﷺ وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء**»(١).

وكان ﷺ يستعيذ بالله من قلب لا يخشع ومن عين لا تدمع(٢).

فالخشوع في الصلاة هو روحها والطمأنينة ركن من أركانها لا تتم إلا به كما في حديث المسيء في صلاته الذي لم يتم ركوعها ولا سجودها فقال له ﷺ: «**ارجع فصل فإنك لم تصل**» وسوف يأتي معنا إن شاء الله تعالى. وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إن الرجل ليشيب عارضاه في الإسلام وما أكمل لله صلاة قيل وكيف ذلك قال لا يتم ركوعها ولا سجودها». فهذا عمر في صدر الإسلام يقول ذلك فكيف لو رأى حالنا اليوم.

والخشوع هو قيام القلب بين يدي الرب بالخضوع والتذلل وهو روح الصلاة ومادة حياتها وهو ثمرة الإيمان وطمأنينة النفس. ومحل الخشوع القلب وثمرته على الجوارح ولا يحصل هذا الخشوع في الصلاة إلا بأسباب. فمن اجتهد في بذلها وعمل بها فحينئذ تكون راحته وقرة عينه في صلاته كما كان المصطفى ﷺ.

وممن قال بوجوب الخشوع شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى؛لأنه ركن من أركان الصلاة ومن الأدلة على وجوبه أن الرسول ﷺ توعد من رفع بصره إلى السماء، وهذه الحال ضد حال الخاشع.

وعلى المسلم أن يحذر خشوع النفاق فقد ورد عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال: «إياكم وخشوع النفاق»، فقيل له: وما خشوع النفاق ؟ قال:

---

(١) أخرجه أبو داوود في سننه في كتاب الصلاة باب البكاء في الصلاة ١/ ٣٠٠ برقم ٩٠٤.

(٢) رواه مسلم وهو عند أبو داوود برقم ١٣٨٥.

«أن ترى الجسد خاشعاً والقلب ليس بخاشع». فخشوع الإيمان خشوع القلب فيتبعه خشوع الجوارح، وخشوع النفاق ما يظهر على الجوارح تكلفاً وتصنعاً ومراءاة للناس والقلب غير خاشع.

وأسباب الخشوع نوعان وكل منهما في مقدور المكلف:

الأول: جلب ما يوجب الخشوع ويقويه، وهو الذي يسميه شيخ الإسلام ابن تيمية قوة المقتضي. ويتم ذلك بالاستعداد للصلاة، والتفرغ لها، والطمأنينة، وترتيل القراءة وتنويعها، وتدبرها، وتنويع الأذكار والأدعية وتدبرها ولا سيما في حالة السجود.

الثاني: إزالة الشواغل ودفع الموانع التي تصرف عن الخشوع وهذا هو الذي يسميه شيخ الإسلام ضعف الشاغل وهو الذي جاءت فيه أحاديث الخشوع، حيث تضمنت نهي المصلي عن أمور تنافي الخشوع أو تضعفه فيتعين على المكلف اجتنابها ليحصل له الخشوع. يقول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: يأتي على الناس زمان يصلون وهم لا يصلون، وإني لأتخوف أن يكون الزمان هو هذا الزمان !! يقول ذلك في زمنه فكيف لو رأى حالنا وصلاتنا في هذا الزمان ؟؟

إن من الواجب على المصلي إذا دخل في صلاته أن يعنى بها وأن يقبل عليها بقلبه وقالبه، حتى يحصل له من الأجر والثواب والعاقبة الحميدة والتأثر بالصلاة مالا يحصيه إلا الله سبحانه، لأنها صلة بين العبد وربه، فيحذر من كل ما يشغل قلبه ويبعده عن ربه. فإن من الناس من إذا دخل في الصلاة جعل يعبث إما ببدنه أو بثيابه أو بنظره هاهنا أو هاهنا وهذا مناف للخشوع ولا ينبغي بل يخشى عليه من بطلان صلاته.

إن الخشوع يأتي للقلب غالباً إذا بذل العبد أسبابه وجاهد نفسه وأجتهد في دعاء ربه سبحانه أن يرزقه قلباً خاشعاً قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ (١).

والخشوع في الصلاة يزيد وينقص حسب الأخذ بالأسباب الجالبة له. وإن للصلاة منزلتها العظيمة في الإسلام ومكانتها الكبيرة لذا كان من الواجب على كل مسلم معرفة الأسباب الجالبة للخشوع والعمل بها وتحقيقها قدر الإمكان **وهذه بعض ما يسره الله سبحانه من تلك الأسباب:**

(١) سورة العنكبوت آية ٦٩.

السبب الأول

معرفة الله وإخلاص العبادة له

وهو أهم الأسباب وأعظمها، وبها يتنور القلب ويتقد الفكر وتستقيم الجوارح، فمعرفة أسماء الله وصفاته تولد في النفس استحضار عظمة الله ودوام مراقبته ومعيته. ولذلك قال الله جل وعلا: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴾[١]. فبدأ بالعلم قبل القول والعمل. وذلك بأن توقن أن الله سبحانه هو المحيي المميت النافع الضار الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[٢].

فالعلم اليقين بلا إله إلا الله، يثمر في القلب طاعة الله وتوقيره والذل والانكسار له في كل اللحظات وهذا يجعل المؤمن يستحيي من الله ويراقبه ليقينه بوجوده ومعيته وقربه وسمعه وبصره. قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[٣]. فهو الحي القيوم قام بنفسه وقام به كل شيء فهو قائم على كل نفس بخيرها وشرها قد استوى على عرشه وتفرد بتدبير ملكه فالتدبير كله بيديه ومصير الأمور كلها إليه، فهو الذي

---

(١) سورة محمد آية ١٩.

(٢) سورة الشورى آية ١١.

(٣) سورة الحديد آية ٤.

أحاط بصره بجميع المخلوقات في أقطار الأرض والسماوات، حتى أخفى ما يكون فيها فيرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، وجميع أعضائها الباطنة والظاهرة وسريان القوت في أعضائها الدقيقة، ويرى سريان المياه في أغصان الأشجار وعروقها وجميع النباتات على اختلاف أنواعها وصغرها ودقتها، ويرى نياط عروق النملة والنحلة والبعوضة وأصغر من ذلك. فسبحان من تحيرت العقول في عظمته، وكمال صفاته، ولطفه، وعلمه بالغيب، والشهادة، والحاضر والغائب، ويرى خيانات الأعين وتقلبات الأجفان وحركات الجنان. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[1]. ويقول سبحانه وتعالى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾[2]. ويقول سبحانه: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[3]. أي مطلع ومحيط علمه وبصره وسمعه بجميع الكائنات.

قال سبحانه: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾[4].

فإذا علمت بأن من دونه سبحانه هم خلق من خلقه وهم في تصرفه

---

(١) سورة الشعراء آية ٢١٨ ـ ٢٢٠.

(٢) سورة غافر آية ١٩.

(٣) سورة البروج آية ٩.

(٤) سورة الفرقان آية ٣.

وفي قبضته أخلصت العبادة له وحده وتركت ما سواه. فهو الذي يملك الضر والنفع والعطاء والمنع يقول الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾(١). ويقول سبحانه: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾(٢). ويقول سبحانه: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾(٣).

وقال عز وجل: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾(٤).

وعن أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل إمرىء ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه**»(٥).

ويرحم الله الفضيل بن عياض إذ يقول: «أدركنا الناس وهم يراءون بما يعملون، فصاروا الآن يراءون بما لا يعملون».

ويقول أيضا: «إذا كان يسأل الصادقين عن صدقهم، مثل إسماعيل،

---

(١) سورة البينة آية ٥.

(٢) سورة الأنعام آية (١٦٢ ـ ١٦٣).

(٣) سورة الكهف آية ١١٠.

(٤) سورة الزمر آية (٢ ـ ٣).

(٥) متفق عليه.

وعيسى عليهما الصلاة والسلام، فكيف بالكذابين أمثالنا».

يقول الرسول ﷺ: «**يقول الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه أحداً غيري تركته وشركه**»(١).

ويقول ﷺ: «**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، الرياء، يقوم الرجل فيصلى فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل**»(٢).

يقول الحارث المحاسبي: «الإخلاص إخراج الخلق عن معاملة الرب»(٣). وهو إفراد الله بالقصد في الطاعة وتصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين.

وقال القاضي عياض: «**ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما**»(٤).

إن الإخلاص هو السر الذي بين العبد وربه وهو أن لا تطلب على عملك أجراً من عند غير الله ولا شاهداً عليه إلا الله فما كان لله فهو لله وما كان لسواه فهو لسواه. والإخلاص شرط من شروط قبول الأعمال عند الله لهذا قال الرسول صلوات الله وسلامه عليه: «**إن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصاً وابتغي به وجهه**»(٤).

---

(١) رواه مسلم.

(٢) صححه الألباني في السلسة الصحيحة بلفظ «ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر - قالوا وما الشرك الأصغر ؟ قال الرياء يقول الله عز وجل لأصحاب ذلك يوم القيامة اذا جازى الناس: أذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء» برقم ٩٥١.

(٣) الإحياء ٤/ ٣٨١.

(٤) رواه النسائي.

وقال سبحانه: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾[١]. قال ابن القيم: «فإسلام الوجه هو إخلاص القصد والعمل لله. والإحسان فيه متابعة الرسول ﷺ وسنته»[٢].

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه: «من خلصت نيته كفاه الله ما بينه وبين الناس».

ولقد كان السلف رحمهم الله يحرصون على أن لا يدخل في عملهم شيء من الرياء قل أو كثر. وكانوا يحرصون على إخفاء العبادة وعلى أن يكون للواحد منهم خبيئة بينه وبين ربه لا يعلم بها أحد غير الله. لأن التصنع للناس ومراءاتهم قد تحبط العمل على صاحبه.

يقول ابن القيم رحمه الله عند قول الله سبحانه: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾[٣]. هي الأعمال التي كانت على غير السنة وأريد بها غير وجه الله[٤].

ويقول أيضاً: «أعمال القلوب هي الأصل وأعمال الجوارح تبع مكملة وإن النية بمنزلة الروح والعمل بمنزلة الجسد».

فالإخلاص هو القاعدة الأولى التي تبنى عليها العبادة وتتم بها. بجانب المتابعة، وتجعلها موجهة إلى الله وحرية بقبوله ومثوبته، فالعبادة أياً كانت فعلية كانت أو قوليه، لا تسمى عبادة ولا تكون نافعة، إلا إذا

---

(١) سورة النساء آية ١٢٥.
(٢) مدارج السالكين ٢/ ٩٠.
(٣) سورة الفرقان آية ٢٣.
(٤) تهذيب المدارج ص ٥١٤.

صدرت من مؤمن، وتوفر فيها الإخلاص لله، والمتابعة لرسوله ﷺ. والإخلاص الذي يريده الله ويتوقف عليه قبول العمل هو إفراد الله تعالى بالطاعات، وقصده بها دون غيره، وتجريدها وتصفيتها من قصد المحمدة أو الثناء أو معنى آخر سوى التقرب بها إلى الله وحده، وأن يكون باطن العامل كظاهرة أو أحسن، وسره كعلنه أو أفضل، وأن يخشى الله ويراقبه في الظاهر والباطن. يقول ابن القيم رحمه الله: لا يجتمع الإخلاص في القلب ومحبة المدح والثناء والطمع فيما في أيدي الناس إلا كما يجتمع الماء والنار، والضب والحوت.

وبالإخلاص يثاب العبد ويؤجر على العمل حتى ولو كان ذلك العمل دنيوياً يقول ﷺ: **«إنك لا تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى ما تجعل في في امرأتك»**[١].

وقال أيضاً صلوات الله وسلامه عليه: **«وفي بضع أحدكم صدقة. قالوا يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر. فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر»**[٢]. وبالإخلاص تجاب الدعوات وتكشف الكربات والشدائد وينجو العبد من الفتن ويدل على ذلك حديث الثلاثة الذين آواهم المبيت في الغار فانطبقت عليهم الصخرة فنجاهم الله بإخلاصهم وبأعمالهم الصالحة.

والإخلاص مصدره نية القلب، والنية هي معيار العمل ومقياسه

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.

العادل الذي تتميز به الأعمال طيبها من خبيثها، وصحيحها من فاسدها، ومقبولها من مردودها ونافعها من ضارها.

إن الطاعات تتفاوت ويتفاوت أجرها بتفاوت النية فيها، وبما قام بالقلب منها. فالإخلاص مسك القلب، وماء حياته ومدار الفلاح كله عليه. فاعلم أنك متى ما عودت نفسك مراقبة الله في أحوالك كلها أورثك الله خشيته ووهبك الخشوع في الصلاة،وذلك لأنك حينما تستحضر معية الله في أقوالك وأفعالك فإنما تعبد الله بالإحسان وهو أعلى مراتب الدين، والإحسان كما قال ﷺ هو: «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»(١).

* * *

(١) رواه مسلم ـ وهو في السلسلة الصحيحة برقم ٥٣.

السبب الثاني

معرفة مكانة الصلاة وأهميتها في الإسلام

إن على كل مسلم أن يعرف أن الصلاة ركن من أركان الإسلام الذي لا يقوم إلا بها من تركها كفر في أصح قولي العلماء فالنبي ﷺ قد وصف تارك الصلاة بالكفر فقال ﷺ: «**بين الرجل وبين الشرك أو الكفر ترك الصلاة**»(١). وقال ﷺ: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر**»(٢). فمن ترك الصلاة متعمداً تهاوناً منه أو كسلاً فقد كفر وعلى ولي الأمر دعوته إلى الصلاة وعرض عليه التوبة ثلاثة أيام فإن تاب وإلا قتله مرتداً. ومن قال إن الصلاة ليست واجبة من شاء صلى ومن شاء ترك فإنه يُعَلَم إن كان جاهلاً فإن استمر على إنكاره فهو كافر مكذب لله ولرسوله ﷺ ولإجماع المسلمين. لذا فهي واجبة على كل مسلم بالغ عاقل ذكراً أو أنثى وأما الصغير فيؤمر بها إذا بلغ سبع سنين تمريناً له على هذه العبادة العظيمة، ويضرب عليها إذا بلغ عشراً ضرباً غير موجع. دل على ذلك أدلة كثيرة منها قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾. وقوله ﷺ: «**بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج**

---

(١) رواه مسلم في الإيمان باب إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة ١/ ٨٨ رقم ٨٢.

(٢) رواه الترمذي في الإيمان. باب ما جاء في ترك الصلاة ٥/ ١٤ رقم ٢٦٢١.

بيت الله الحرام»[١]. فالواجب على المسلم أن يعرف أهمية الصلاة في حياته وأنها أم العبادات وأول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة فإن صلحت فقد أفلح ونجح وإن نقصت فقد خاب وخسر. ولأهمية الصلاة فإن الله تعالى استدعى الرسول الكريم ﷺ لتبليغه فأسرى به سبحانه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم عرج به إلى السماء السابعة ثم إلى سدرة المنتهى ثم فرض الله سبحانه عليه وعلى أمته هذه الصلوات في ليلة الإسراء والمعراج.

فالصلاة منزلتها رفيعة ومكانتها عالية في الإسلام يدل على ذلك أمور كثيرة من أهمها؛ أنها فاصل بين الإسلام والكفر، وهي عمود الإسلام فعليها «بعد التوحيد» يبنى الإسلام، فهي الركن الثاني من أركانه، وهي من أفضل الأعمال عند الله سبحانه وأعظمها أجراً ومثوبة فقد ثبت عنه ﷺ حينما سئل أي العمل أحب إلى الله فقال: «**الصلاة على وقتها**»[٢]. وللصلاة فضل عظيم وردت به نصوص كثيرة فهي نور لصاحبها يقول ﷺ: «**والصلاة نور**»[٣]. وهي كفارة للسيئات قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾[٤]. وقال ﷺ: «**أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء**». فقالوا: لا يبقى من درنه

---

(١) رواه البخاري أول كتاب الإيمان في صحيحه رقم ٨ ومسلم ١/ ٤٥ رقم ١٦.
(٢) رواه البخاري كتاب مواقيت الصلاة باب فضل الصلاة لوقتها رقم ٥٢٧.
(٣) رواه مسلم في الطهارة باب فضل الوضوء ١/ ٢٠٣ رقم ٢٢٣.
(٤) سورة هود، الآية: ١١٤.

شيء. قال: «**فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا**»(١). والصلاة سبب لدخول الجنة فقد قال ﷺ لربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه لما سأله المرافقة في الجنة: «**فأعني على نفسك بكثرة السجود**»(٢).

وفي خواطر الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمه الله حول حادثة الإسراء يقول: «إن الملك إذا أراد أن يخبر الشعب أمراً عادياً أرسل لهم رسالة أو أعلمهم عن طريق موظفيه وما شابه ذلك أما إن كان الأمر خطيراً وهاماً فإنه يستدعي صاحب العلاقة شخصيا ليخبره بالأمر ولله المثل الأعلى. فنظراً لأهمية الصلاة استدعى الله تعالى رسوله الكريم ﷺ حتى يبلغه بها».

وقد فرضت أولاً خمسين صلاة. ثم طلب موسى عليه السلام من نبينا ﷺ أن يسأل ربه التخفيف فخففت حتى أصبحت خمساً في العدد وخمسين في الأجر وهذه رحمة من الله تعالى بعباده وفضل منه ومنة. فله الحمد والشكر كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه. والبعض قد يستثقل أداء الفرائض الخمس فليتذكر ما فرض عليه أولاً من الخمسين صلاة ولو لم تخفف لامتثلنا لأمر ربنا ولكن من رحمته سبحانه ولطفه أن خفف علينا.

إن للصلاة وقعاً خاصاً في نفوس المؤمنين ولذةً لا تعدلها لذةٌ لأنها

---

(١) رواه البخاري في مواقيت الصلاة رقم ٥٢٨ ومسلم في المساجد رقم ٢٢٣. وهذا لفظه والدرن هو الوسخ.

(٢) رواه مسلم في الصلاة باب فضل السجود ١/ ٣٥٣ رقم ٤٨١.

صلةٌ بين العبد وربه لذلك فقد قال بعض أهل العلم: «من أراد أن يكلم الله تعالى فعليه بالصلاة ومن أراد أن يكلمه الله تعالى فعليه بالقرآن».

وإن من العظمة في هذه الصلاة أن الذي يؤديها له حرية اختيار موعد لقاء ربه وقد قيل:سبحان الله رب العالمين الذي وسعت رحمته كل شيء، أنا العبد الفقير الذي لا حول لي ولا قوة أحدد واختار متى ألتقي بخالق الخلق ملك الملوك رب السموات والأرض؟ فيا لعظمة هذا الخالق العظيم ويا لسخف العباد الذين يستكبرون عن عبادة ربهم. ثم ليتفكر العبد في الذين نالوا بعض المناصب في الدنيا الذين يتطاولون على ربهم وعلى عباده فلا يقابلوا سائلاً ويمنعوا خلق الله من الوصول إليهم إلا بعد ألف جهد ومئات الوسائط والمعارف والمحاولات. وكم نجتهد لنطلب إذن بمقابلة رئيس أو وزير أو حتى أي إنسان عادي له بعض المنزلة في عمله ولنفرض جدلاً أن طلب المقابلة منهم كان ممكناً فهل لنا أن نختار نحن متى يكون اللقاء ومتى ينتهي. أم يكون الموعد محدداً من قبلهم ويكون محدداً ببضع دقائق فقط ثم يطلب منا الانصراف لأن هذا المسؤول أو الرئيس لديه ارتباطات أخرى فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ما أغفل كثير من الناس عن حلم الله وعفوه وسعة رحمته.

إن الصلاة هي وصية النبي ﷺ عند خروجه من الدنيا ؟ فقد ثبت عنه أنه قال ﷺ وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة: «**الصلاة، الصلاة وما ملكت أيمانكم**»[1]. وهي مفتاح كل خير.

قال ابن القيم رحمه الله: «الصلاة: مجلبة للرزق. حافظة للصحة

---

(١) السلسلة الصحيحة برقم ٨٦٨.

دافعة للأذى، طاردة للأدواء، مقوية للقلب، مبيضة للوجه، مفرحة للنفس، مذهبة للكسل، منشطة للجوارح، ممدة للقوى، شارحة للصدر، مغذية للروح، منورة للقلب، حافظة للنعمة، دافعة للنقمة، جالبة للبركة، مبعدة من الشيطان، مقربة من الرحمن».

ومن أراد أيضاً أن يعرف أهمية الصلاة فليفكر في عظم الثواب الذي أعده الله سبحانه للمحافظين عليها وعظم العذاب الذي توعد الله به المضيعين لها أو المتهاونين بها وكيف أن الله سبحانه أكد عليها في كثير من الآيات وذم من تهاون بها وضيعها وجعله من المجرمين قال سبحانه في سورة المدثر ﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾[1]. وأن الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ يبرءان من تارك الصلاة ؟ قال رسول الله ﷺ: **«لا تترك الصلاة متعمداً، فإنه من ترك الصلاة متعمداً فقد برئت منه ذمة الله ورسوله»**[2]. أي ليس له عهد ولا أمان ولا ذمة عند الله سبحانه وتعالى.

ومن عقوبة تارك الصلاة ما يجده في قبره من عذاب. قال رسول الله ﷺ: **«ثم أتينا على رجل مضطجع، وإذا آخر قائم عليه بصخرة، وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيثلغ رأسه - أي يشدخه - فيتدهده الحجر - أي يتدحرج - فيأخذه فلا يرجع إليه حتى يصبح رأسه كما كان، ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل المرة الأولى، فقلت: سبحان الله ! ما هذان ؟ فقال**

---

(١) سورة المدثر آية (٣٩-٤٣).

(٢) رواه ابن ماجه ٤٠٣٤ والحاكم، وصححه وأحمد والبيهقي والطبراني.

جبريل عليه السلام: إنه الرجل ينام عن الصلاة المكتوبة»[١].

وأن من عقوبة تارك الصلاة أنه يحشر يوم القيامة مع أكابر المجرمين فرعون وقارون وأبي بن خلف ؟ قال رسول الله ﷺ: «**من حافظ عليها - أي الصلاة - كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان، ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف**»[٢]. فمن شغله وألهاه عنها ملكه حشر مع فرعون ومن ألهاه ماله حشر مع قارون ومن ألهته وزارته وإمارته حشر مع هامان ومن ألهته تجارته حشر مع أبي بن خلف.

ومن أهمية الصلاة ومكانتها في الإسلام أنه لا يعذر أحد في تركها سواءً كان في حرب أو في سلم أو في صحة أو في سقم حتى من كان مريضاً فإنه يصلي على أي حال استطاع. حتى ولو لم يستطع إلا إيماءً بعينيه ما دام أنه لازال يعقل. حتى ولو لم يستطع الطهارة ولم يقدر عليها فإنه يصلي على أي حال كان. وهذا كله يشعرنا بأهمية الصلاة في الإسلام وأنه لا حظ في الإسلام لمن تركها. فإذا استشعر المسلم وهو مقبل على صلاته هذه الأهمية كان حرياً به أن يحسن في صلاته ويخشع فيها.

* * *

(١) رواه البخاري عن سمرة. كتاب التعبير - باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح برقم ٧٤٠٧ وقد روى طرفاً منه مسلم. كتاب الرؤيا برقم ٢٢٧٥.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسند جيد٢/ ١٩٦ وابن حبان في صحيحه ١٤٦٧والطبراني في (الكبير) (١٣/ ٦٧/ ١٦٣) وفي (الأوسط) ١٧٦٧ والبيهقي (شعب الإيمان) (٣/ ٤٦).

السبب الثالث

إسباغ الوضوء

إن للطهارة فوائد عظيمة وثمرات جليلة وحكم ومنافع للقلوب والأبدان فليس الأمر مقتصراً على غسل هذه الأطراف للنظافة فقط وإزالة ما علق بها. بل هناك حكماً وفوائد أعظم من ذلك وثواباً وأجوراً عظيمة أعدها الله للمتطهرين. ومن عرف تلك الثمرات وذلك الثواب وأسبغ وضوءه كان حرياً به أن يقبل على صلاته بخشوع وحضور قلب. وقبل أن نذكر ثمرات الطهارة وما أعده الله للمتطهرين من ثواب نذكر صفة الوضوء الكامل كما جاءت بذلك الأحاديث عنه ﷺ:

أولاً: النية قبله. فلا عمل إلا بنية. وينوي بوضوئه استباحة الصلاة لقوله ﷺ: «**أنما الأعمال بالنيات**»[١] بخلاف ما لو غسل أعضاء الوضوء من أجل إزالة غبار أو وسخ أو ليتبرد به من شدة الحر من غير أن ينوي وضوءاً فلا يعتبر ذلك وضوءاً.

ثانياً: التسمية. فقد ورد عنه ﷺ أنه قال: «**لا صلاة لمن لا وضوء له ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه**»[٢]. وهذا الحديث قد رواه تسعة من الصحابة وقد حسن طرقه ابن كثير وابن القيم وابن حجر والشوكاني

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه أحمد وأبو داوود والحاكم في المستدرك كتاب الطهارة ٥١٨/ ١-٢٤٥ وحسنه الألباني في الإرواء برقم ٨١.

لأن الضعف كان من جهة الحفظ فتظافرت بمجموعها فكان في درجة الحسن لغيره لأنه لو كان الضعف من جهة كون الراوي متهماً بالكذب فلا يعتضد بعضها ببعض.

وحكم التسمية: الاستحباب وذلك لظاهر الكتاب كما في آية المائدة في صفة الوضوء فلم يأمر الله سبحانه بالتسمية وأيضاً حديث الأعرابي لما سأل النبي ﷺ عن الوضوء فقال: «**توضأ كما أمرك الله**»(١). وحمل النفي في الحديث الأول أنه لا وضوء كامل والأفضل والأكمل التسمية لأن من ذكر الله على وضوئه ليس كمن لم يذكر الله وأما إذا كان في الخلاء فيسمي بقلبه لحديث: «**إذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي**»(٢).

ويرى بعض العلماء وجوبها وأنها لا تسقط إلا سهواً وهذا ما ورد في فتوى اللجنة الدائمة للإفتاء برئاسة سماحة الشيخ ابن باز يرحمه الله وهي إحدى الروايتين عن الإمام أحمد.

ثالثا: غسل اليدين ثلاثاً ويتأكد ذلك بعد القيام من النوم. لقوله ﷺ: «**إذا استيقظ أحدكم من النوم فليغسل يديه ثلاثاً فإنه لا يدري أين باتت يديه**»(٣). سواءً كان يصب الماء على يديه أو كان يغرف بيده فيلزمه بعد القيام من النوم غسل يديه ثلاثاً أما إذا لم يكن بعد قيام من نوم فيكون غسلهما مستحباً لأن اليدين هي الناقل لأعضاء الوضوء فيستحب غسلهما

---

(١) رواه أبو داوود برقم ٧٦٧ وصححه الألباني في الارواء.

(٢) رواه أحمد وابن ماجه والبيهقي وصححه الألباني برقم ٣٠٥٩.

(٣) رواه مسلم.

قبل إدخالهما في الإناء.

رابعاً: المضمضة والإستنشاق: من كفه اليمنى بغرفة واحدة في الفم والأنف ثلاث مرات لقوله ﷺ: «**فمضمض واستنشق ثلاثاً بثلاث**». ولحديث عثمان رضي الله عنه حيث نقل صفة وضوء النبي ﷺ وذكر «**أنه تمضمض وأستنشق ثلاثاً**»(١). وقال في نهاية الحديث هكذا رأيت النبي ﷺ يتوضأ، والسنة الكاملة في المضمضة إدخال الماء في الفم ثم تحريكه وإدارته في الفم ثم مجه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال في صفة وضوء النبي ﷺ: «**أنه توضأ فغسل وجهه وأخذ غرفة من ماء فتمضمض بها واستنثر**»(٢). وقال ﷺ: «**من توضأ فليستنشق**»(٣). وذكرت هذين الحديثين لأن البعض يرى أن المضمضة والاستنشاق مستحبة وليس بواجب عملاً بمنصوص آية المائدة ولأن النبي ﷺ قال للأعرابي توضأ كما أمرك الله فلم يذكر في الآية المضمضة والاستنشاق. وصفة وضوء النبي ﷺ التي وردت هي تفسير لغسل الوجه المذكور في الآية.

خامساً: غسل الوجه ثلاث مرات وتجزئ واحدة وهي الواجب.

سادساً: غسل اليدين إلى المرفقين ثلاث مرات ويجب غسلهما من رؤوس الأصابع إلى المرفقين ويدخل في ذلك المرفقين لفعله ﷺ أما الزيادة

---

(١) رواه البخاري برقم ١٨٥ ومسلم برقم ٢٣٥ عن عثمان رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

على ذلك فلا تشرع لأنه لم يفعله ﷺ أما حلية المؤمن فتحصل بالإكثار من الوضوء والمداومة عليه لا بالزيادة على موضع الغسل. فلا يشرع لأحد أن يزيد على وضوء النبي ﷺ لأنه أخشى الناس وأتقاهم لربه وأعلمهم بالله سبحانه.

سابعاً: مسح الرأس ومنه الأذنان: ويمسح رأسه مرة واحدة من مقدمة الرأس إلى القفا ثم العودة مرة أخرى إلى الناصية كما ورد عنه ﷺ في صفة وضوئه: «**ثم مسح رأسه فأقبل بهما وأدبر مرة واحدة**»(١). أما بالنسبة للمرأة فالسنة أن تمسح مرة واحدة إقبالاً بلا إدبار.

ثامناً: غسل الرجلين إلى الكعبين ثلاث مرات: ويدخل في الكعبين فيغسلان. لأن إلى بمعنى مع. وقد قال ﷺ عندما رأى لمعة في قدم أحد أصحابه لم يصل إليها الماء: «**ويل للأعقاب من النار**»(٢). فالبعض قد يتساهل في غسل هذا الموضع فالواجب على المسلم أن يتأكد من وصول الماء إلى سائر أعضاء الوضوء.

وعلى المتوضئ المحافظة على السنة القولية التي تقال بعد الانتهاء من الوضوء وسوف تأتي.

ويجوز للمتوضئ أن يغسل بعض الأعضاء ثلاث مرات وبعضها مرتين وبعضها مرة فالمتوضئ مخير فأعلى الكمال ثلاث مرات وأوسطه مرتين وأدناه مرة واحدة ويجوز أيضاً أن يغسل بعض الأعضاء ثلاثاً والبعض الآخر مرتين وبعضها مرة.

---

(١) رواه البخاري برقم ١٨٥ ومسلم برقم ٢٣٥.

(٢) رواه مسلم برقم ٢٥٨ كتاب الطهارة والنسائي برقم ١١٠ وابن ماجه برقم ٤٤٦.

فضائل وثمرات الطهارة:

وإليكم بعض من ثمرات الطهارة وفوائدها وما أعده الله من ثواب للمتطهرين:

١- أنه يكفر السيئات. لما كانت هذه الأطراف هي محل الكسب والعمل وكانت هذه الأطراف والجوارح أبواب للذنوب والمعاصي منها ما يكون في الوجه كالسمع والبصر واللسان والشم والذوق ومنها ما يكون في اليد ومنها ما يكون في الرجل وهكذا الأمر في سائر الأعضاء.

فلذلك كان الطهور مكفراً لهذه الذنوب وقد قال ﷺ: «**إذا توضأ العبد المؤمن خرجت خطاياه من فيه وإذا استنثر خرجت خطاياه من أنفه وإذا غسل وجهه خرجت الخطايا حتى تخرج من تحت أشفار عينيه وإذا غسل يديه خرجت الخطايا حتى تخرج من تحت أظفار يديه فإذا مسح برأسه خرجت الخطايا حتى تخرج من أذنيه فإذا غسل رجليه خرجت الخطايا حتى تخرج من تحت أظفار رجليه**»[(١)]. وفي رواية: «**خرجت ذنوبه مع الماء أو مع آخر قطر الماء**»[(٢)]. وقال ﷺ: «**من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره**»[(٣)]. وقد كره بعض العلماء مسح فضل الوضوء من أجل أن تطول مدة خروج الذنوب ولأنه فضلة عبادة. وقد جاءت إحدى زوجات النبي ﷺ بمنديل للنبي ﷺ لما انتهى من وضوئه فرده واخذ ينفض بيديه. وقد استنبط محمد

---

(١) رواه مسلم برقم ٣٦٠ والترمذي وأحمد والنسائي.

(٢) رواه الترمذي بهذه الزيادة.

(٣) رواه مسلم كتاب الطهارة باب خروج الخطايا من ماء الوضوء ١/ ٢١٦ رقم ٢٤٥.

ابن كعب القرظي رحمه الله من آخر آية الوضوء في سورة المائدة عند قوله تعالى: ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[١]. قال النعمة منها تكفير السيئات.

٢- أن من ثمرات الوضوء أنه سيما هذه الأمة وعلاماتهم في وجوههم وأطرافهم يوم القيامة بين الأمم وليس ذلك لأحد غيرهم.

أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال سمعت النبي ﷺ يقول: «**إن أمتي يأتون يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء فمن أستطاع منكم ان يطيل غرته فليفعل**»[٢]. وفي رواية أحمد: كيف تعرف أمتك من بين الأمم فيما بين نوح إلى أمتك. ...فذكر الحديث. والمراد بحلية المؤمن المذكورة في الحديث الإكثار من الوضوء وليست الزيادة على موضع الغسل في أعضاء الوضوء.

٣- ومن ثمرات الوضوء أنه ينشط الجوارح ويزيد في حركة الدم في البدن، فيقف العبد بين يدي ربه بطهارة ونشاط وهذا مجرب مع كل الناس لأن الماء يعيد إلى البدن نشاطه وقوته وحيويته، والأبلغ منه والأنشط للبدن الغسل. وقد حث الرسول ﷺ من أتى أهله ثم أراد أن يعود أن يتوضأ. وبين في رواية الحاكم أنه أنشط للعود ومن هنا فإن من أسباب انتشار الأمراض عدم الطهارة والاغتسال. وإذا بات العبد جنباً لم يؤذن لروحه بالسجود تحت العرش. كما ذكر ذلك ابن القيم رحمه الله.

---

(١) سورة المائدة آية ٦.

(٢) رواه البخاري برقم ١٣٦ باب فضل الوضوء والغر المحجلين. ومسلم كتاب الطهارة باب استحباب الغرة والتحجيل في الوضوء ١/ ٢١٦ رقم ٢٤٦.

٤- ومن ثمرات الوضوء أنه سلاح المؤمن قال عمر رضي الله عنه إن الوضوء الصالح يطرد الشيطان. ولذا استحب النوم على طهارة فإن العبد إذا نام على طهارة بات الملك في شعاره ـ أي الثياب التي تلي جسده ـ ومن المعلوم أنه إذا حضرت الملائكة خرجت الشياطين. وكذا يستحب لمن شرع في علاج من مسه الجن بالرقية الشرعية أن يتوضأ قبل ذلك لأنه حصن من الشيطان.

٥- ومن ثمرات الوضوء أنه من خصال الإيمان الخفية التي هي بين العبد وربه فلو دخل رجل للمسجد وصلى وهو على غير وضوء خوفاً من أحد أو مراءاة لأحد لم يعلم به إلا علام الغيوب فالوضوء يزيد من إيمان العبد بربه وثقته بوعده قال ﷺ: «**لا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن**»(١).

٦- ومن ثمرات الوضوء انه إذا انتهى العبد منه وختمه بالشهادتين كان ذلك سبباً في أن تفتح له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء. عن عمر بن الخطاب وعقبة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما منكم أحد يتوضأ فيبلغ أو يسبغ الوضوء ثم يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء**»(٢). وزاد في رواية أنه يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾(٣).

---

(١) رواه أحمد ٥/ ٢٧٧ وسنن ابن ماجه برقم ٢٧٣ وقال المنذري في الترغيب ١/ ١٦٢ إسناده صحيح، ورواه ابن حبان ٣/ ٣١١ والحاكم ١/ ١٣٠.

(٢) رواه مسلم ٣٤٥.

(٣) رواه الترمذي. والآية من سورة البقرة آية ٢٢٢.

٧- ومن ثمرات الوضوء أنه إذا نام العبد وهو على طهارة كاملة دعا الملك له بالمغفرة كلما أنقلب في أي ساعة من الليل. فعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**من بات طاهراً بات في شعاره** ـ أي الملابس الملاصقة للبدن ـ **ملك فلا يستيقظ من الليل إلا قال الملك اللهم أغفر لعبدك كما بات طاهراً**»(١). فيحصل للعبد إذا بات وهو على طهارة ثلاث خصال من الخير أولها أنه يبيت في شعاره ملك وثانيهما أن الملك يدعو له بالمغفرة وأنه إذا مات مات على طهارة مع أن النوم موتة صغرى.

٨- ومن ثمرات الوضوء أن الله سبحانه يمحو عن صاحبه الخطايا ويرفعه به الدرجات. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات. قالوا: بلى يا رسول الله. قال: إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط**»(٢). فإسباغ الوضوء على المكاره وخاصة في أيام البرد والليالي الشاتية سبب في هذا الأجر العظيم.

٩- ومن ثمرات الوضوء أن من توضأ في بيته ثم خرج قاصداً بيتاً من بيوت الله سبحانه كان ممشاه إلى المسجد صدقة وكانت له بكل خطوة يخطوها حسنة وأخرى تحط خطيئة وكان صاحبه زائراً لله سبحانه. فعن سلمان الفارسي رضي الله عنه مرفوعاً قال: «**من توضأ في بيته فأحسن**

---

(١) رواه الطبراني في الكبير. وأحمد.

(٢) رواه مسلم باب إسباغ الوضوء على المكاره ١/ ٢١٩ رقم ٢٥١.

الوضوء ثم أتى المسجد فهو زائر لله وحقاً على المزور أن يكرم الزائر»[١]. وعن عثمان رضي الله عنه أنه دعا بوضوء ثم توضأ ثم قال: رأيت رسول الله ﷺ توضأ نحو وضوئي هذا ثم قال: «**من توضأ مثل وضوئي هذا ثم قام فركع ركعتين إلا غفر له ما تقدم من ذنبه**»[٢]. وفي لفظ لا يحدث فيهما نفسه.

١٠- ومن ثمرات الوضوء العظيمة محبة الله سبحانه للمتطهرين. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[٣]. وقال سبحانه ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾[٤]. فما أعظمها من محبة وما أفضلها من قربة فكيف لا نحرص على عبادة يحبها الله ويحب من يفعلها والطهر في الآية يشمل تطهير الباطن من الشرك والرياء والغل والحقد والحسد وتطهير البدن والجوارح بالماء.

١١- ومن ثمرات الوضوء وفضائله أن أهل الجنة يحلون يوم القيامة بالأساور على مواضع الوضوء، قال ﷺ: «**تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء**»[٥].

فتأمل هذه الثمرات العظيمة الجليلة لهذه العبادة وكيف أن هذه العبادة سبب لأجور عظيمة لا يعلمها إلا الله سبحانه وكيف أنها تكون

---

(١) رواه الطبراني عن سلمان بسند جيد.

(٢) رواه البخاري برقم ١٨٥ ومسلم برقم ٢٣٥ عن عثمان رضي الله عنه.

(٣) سورة البقرة آية ٢٢٢.

(٤) سورة التوبة آية ١٠٨.

(٥) رواه مسلم كتاب الطهارة باب الحلية حيث يبلغ الوضوء ١/ ٢١٩ رقم ٢٥٠.

سبباً لتكفير السيئات والخطايا ورفعة للدرجات وقربة لرب الأرض والسموات. ومع الأسف فقد تساهل كثير من المسلمين في هذه العبادة وأصبحت عندهم عادة لا يستشعرون ثوابها ولا يعلمون فضلها فهذا خطأ وقع فيه كثير من المسلمين فينبغي للمسلم أن يعرف ثواب الوضوء وفضله فذلك مما قد يحثه على أن يحسن في وضوئه ويقبل على صلاته بعد أن طهر باطنه وظاهره وفرغ قلبه لمولاه وهذا مما يعين على أن يكون العبد خاشعاً في صلاته.

* * *

السبب الرابع

الحرص على حضور صلاة الجماعة

إن في الحرص على حضور صلاة الجماعة مع المسلمين الأثر الكبير في النفس لأن المسلم يشعر بقربه من إخوانه المسلمين وأنهم كالبنيان يشد بعضه بعضاً.

وصلاة الجماعة واجبة لا تترك إلا بعذر شرعي وأدلة وجوبها ثابتة بالكتاب والسنة وعمل الصحابة أما الكتاب فقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾[١]. فاللام للأمر والأصل في الأمر الوجوب فلم يعذرهم الله حتى في حال الحرب فمن باب أولى أن لا يعذرهم من صلاة الجماعة في حال السلم.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[٢]. وقد ذكر الشيخ ابن باز رحمة الله عليه أن هذه الآية نص صريح في وجوب صلاة الجماعة.

ومن السنة حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ثم آمر رجلاً فيصلي بالناس ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فاحرق عليهم بيوتهم بالنار**»[٣]. وفي رواية: «**لولا ما فيها من النساء والذرية**»[١]. ومن

---

(١) سورة النساء آية ١٠٢.

(٢) سورة البقرة آية ٤٣.

(٣) متفق عليه.

ذلك أنه أستأذنه رجل أعمى أن يصلي في بيته قال: «**هل تسمع النداء قال نعم قال فأجب**»(٢). وقال ﷺ: «**من سمع النداء فلم يجب فلا صلاة له إلا من عذر**»(٣).

وقد جاءت النصوص بالوعيد الشديد في من تهاون بصلاة الجماعة، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾(٤). ذكر أهل التفسير أن الله سبحانه يجعل ظهورهم كصياصي البقر طبقة واحدة لا يقدرون على السجود يغشاهم ذل الندامة والهوان.

قال إبراهيم التيمي: يدعون للصلاة المكتوبة بالأذان والإقامة فلا يجيبون. وقال سعيد بن المسيب: كانوا يسمعون حي على الصلاة حي على الفلاح فلا يجيبون وهم أصحاء سالمون. وقال كعب الأحبار: والله ما نزلت هذه الآية إلا في الذين تخلفوا عن صلاة الجماعة.

وسئل ابن عباس عن رجل يقوم الليل ويصوم النهار ولا يشهد صلاة الجماعة فقال: إن مات على هذا فهو إلى النار. وقال أبوهريرة: لئن تمتلئ أذن ابن آدم رصاصاً مذاباً خير له من أن يسمع حي على الصلاة حي على الفلاح ثم لا يجيب. وقال ابن عمر: خرج عمر رضي الله عنه يوماً إلى حائط له فرجع وقد صلى الناس العصر فقال عمر إنا لله وإنا إليه

---

(١) مسند الإمام أحمد.

(٢) رواه مسلم برقم ١٠٤٤.

(٣) رواه ابن ماجه برقم ٧٨٥ وغيره من أهل السنن.

(٤) سورة القلم، الآيتان: ٤٢-٤٣.

راجعون فاتتني صلاة العصر في الجماعة أشهدكم أن حائطي على المساكين صدقة ليكون كفارة لما صنع عمر.والحائط البستان. وقد ذكر الذهبي في كتابه الكبائر قصة لعبيد الله بن عمر القواريري رحمه الله أنه قال لم تكن توفتني صلاة الجماعة قط فنزل بي ليلة ضيف فشغلت بسببه وفاتتني صلاة العشاء في جماعة فخرجت أطلب الصلاة في مساجد البصرة فوجدت الناس كلهم قد صلوا وغلقت المساجد فرجعت إلى بيتي وقلت قد ورد في الحديث أن صلاة الجماعة تزيد على صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة فصليت العشاء سبعاً وعشرين مرة ثم نمت فرأيت في المنام كأني مع قوم على خيل وأنا أيضاً على فرس ونحن نستبق وأنا اركض فرسي فلا ألحقهم فالتفت إلى أحدهم فقال لي: لا تتعب فرسك فلست تلحقنا، قلت: ولم. قال: لأنا صلينا العشاء في جماعة وأنت صليت وحدك. فانتبهت وأنا مغموم حزين لذلك[1]. ولصلاة الجماعة كثير من الحكم التي لا يعلم بها إلا الله سبحانه وقد ذكر أهل العلم كابن حجر في الفتح وغيره بعض هذه الحكم ونذكر منها ما ذكره الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى في الشرح الممتع.

أولاً: التواد بين الناس لأن ملاقاة الناس بعضهم بعضاً واجتماعهم على إمام واحد في عبادة واحدة ومكان واحد يؤدي إلى الألفة والمحبة.

ثانياً: التعارف ولهذا نجد أن الناس إذا صلى عندهم رجل غريب في المسجد فإنهم يسألون عنه من هذا من الذي صلى معنا.

ثالثاً: إظهار شعيرة من شعائر الإسلام بل من أعظم شعائر الإسلام

---

(١) رواها الذهبي في كتاب الكبائر. الكبيرة الرابعة وهي ترك الصلاة.

وهي الصلاة لأن الناس لو بقوا يصلون في بيوتهم ما عرف أن هناك صلاة.

رابعاً: إظهار عز الإسلام إذا دخلوا المساجد ثم خرجوا جميعاً بهذا الجمع.

خامساً: تعليم الجاهل فإن كثيراً من الناس يستفيد بعضاً مما يشرع في الصلاة مع الجماعة حيث يقتدي بالإمام وبمن هو بجانبه وما أشبه ذلك.

سادساً: تعويد الأمة الإسلامية على الاجتماع وعدم التفرق لأن هذا الاجتماع يشكل اجتماع الأمة عموماً.

سابعاً: ضبط النفس لأن الإنسان إذا اعتاد على أن يتابع إماماً متابعةً دقيقة إذا كبر يكبر لا يتقدم ولا يتأخر فإن ذلك يعود النفس على الانضباط.

ثامناً: استشعار الناس بها وقوفهم صفاً في الجهاد كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾[1].

تاسعاً: تذكر المصلين صفوف الملائكة عند الله تبارك وتعالى فيزدادون بذلك تعظيماً لله و محبة لملائكته عليهم السلام.

عاشراً: شعور المسلمين بالمساواة في عبادة الله تعالى لأن في هذا المسجد يجتمع الغني مع الفقير والأمير مع المأمور والحاكم مع المحكوم والصغير مع الكبير وهكذا. فيشعر الجميع بأنهم سواء في

---

(١) سورة الصف آية ٤.

عبادة الله ولهذا أمر بمساواة الصفوف حتى قال الرسول ﷺ: «**لا تختلفوا فتختلف قلوبكم**»(١).

حادي عشر: ما يحصل من تفقد المسلمين أحوال بعضهم البعض من الفقراء والمرضى والمتهاونين بالصلاة فيعطى الفقير ويعاد المريض وينصح المتكاسل.

ثاني عشر: الأصل الأصيل وهو التعبد لله سبحانه.

ثالث عشر: استشعار المصلين بما كان عليه سلف هذه الأمة. وليتنا كلما فعلنا فعلاً مشروعاً نستشعر أننا بذلك نقتدي برسول الله ﷺ وبصحابته الكرام رضوان الله عليهم فإن الإنسان لا شك أنه سيجد دفعة قوية في قلبه تجعله ينضم إلى سلك السلف الصالح فيكون سلفياً عقيدة وعملاً وسلوكاً ومنهجا.

وقد قال ﷺ: «**صلاة الجماعة تفرق عن صلاة الفذ بخمس وعشرين درجة**»(٢). وفي رواية بسبع وعشرين. وذكر شيخ الإسلام أبن تيمية أن المساجد في الإسلام ما وضعت أصلاً إلا للصلاة فيها فلا يجوز تعطيلها عن ما وضعت له فقال رحمه الله: إن اللهّ سبحانه شرع الصلاة وغيرها في المساجد. كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ

---

(١) رواه النسائي برقم ٨٠٣.

(٢) رواه البخاري ٢/ ١٣١ برقم ٦٤٥ ومسلم ٥/ ١٢٥.

(٣) سورة البقرة آية ١١٤.

فِي ٱلْمَسَٰجِدِ﴾[١]. وقال تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[٢]. قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾[٣]. وقال تعالى: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[٤]. وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾[٥]. وقال تعالى: ﴿وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾[٦].

والأمر بصلاة الجماعة حتى في حال الحرب فيه دليلان على وجوبها:

- **أحدهما:** فيه دليل على وجوبها حال الخوف، ويدل ذلك على وجوبها حال الأمن بطريق الأولى.

- **الثاني:** أنه سن صلاة الخوف جماعة، وسوغ فيها ما لا يجوز لغير عذر، كاستدبار القبلة، والعمل الكثير، فإنه لا يجوز لغير عذر بالاتفاق، وكذلك مفارقة الإمام قبل السلام عند الجمهور، وكذلك التخلف عن

---

(١) سورة البقرة آية ١٨٧.
(٢) سورة الأعراف آية ٢٩.
(٣) سورة التوبة آية ١٧ - ١٨.
(٤) سورة النور آية ٣٦-٣٧.
(٥) سورة الجن آية ١٨.
(٦) سورة الحج آية ٤٠.

متابعة الإمام، كما يتأخر الصف المؤخر بعد ركوعه مع الإمام إذا كان العدو أمامهم. وهذه الأمور تبطل الصلاة لو فعلت لغير عذر، فلو لم تكن الجماعة واجبة لكان قد التزم فعل محظور مبطل للصلاة، وتركت المتابعة الواجبة في الصلاة لأجل فعل مستحب، مع أنه قد كان من الممكن أن يصلوا وحدانا صلاة تامة فعلم أنها واجبة. ويؤيد ذلك قوله: «**لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد**»، فإن هذا معروف من كلام على وعائشة، وأبي هريرة، وابن عمر، وقد رواه الدارقطني مرفوعا إلى النبي ﷺ، وقوى ذلك بعض الحفاظ. ولا يعرف في كلام اللهّ ورسوله ﷺ حرف النفي دخل على فعل شرعي إلا لترك واجب فيه كقوله: «**لا صلاة إلا بأم القرآن**»، و«**لا إيمان لمن لا أمانة له**»، ونحو ذلك.

والصلاة في الجماعات التي تقام في المساجد من شعائر الإسلام الظاهرة، وسنته الهادية. كما في الصحيح عن ابن مسعود أنه قال: إن هذه الصلوات الخمس في المسجد الذي تقام فيه الصلاة من سنن الهدى، وإن الله شرع لنبيكم سنن الهدى، وإنكم لو صليتم في بيوتكم كما صلى هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتي به يهادي بين الرجال حتى يقام في الصف.

والمصر على ترك الصلاة في الجماعة، رجل سوء ينكر عليه ويزجر على ذلك، بل يعاقب عليه، وترد شهادته. وأما من كان معروفًا بالفسق مضيعًا للصلاة، فهذا داخل في قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ

أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾[١]. ويجب عقوبته على ذلك بما يدعوه إلى ترك المحرمات وفعل الواجبات. لكن لا يكفر بتركه لصلاة الجماعة دون الصلاة مطلقا.

وحيت نذكر أن صلاة الجماعة هي من أسباب الخشوع فلا يعني ذلك أنها من مكملات الصلاة وأنها غير واجبة ولكنها مما تزيد في الخشوع وحضور القلب بين يدي الله سبحانه فما شرعها الله سبحانه وتعالى لعباده إلا لحكم عظيمة. وقد سبق ذكر بعض تلك الحكم التي شرعت من أجلها صلاة الجماعة.

* * *

(١) سورة مريم آية ٥٩.

السبب الخامس

الحضور المبكر للصلاة وآداب المشي اليها

الصلاة عبادة عظيمة يتوجه المسلم فيها بقلبه وبدنه إلى الله سبحانه فينبغي أن يتقدمها استعداد وتهيؤ نفسي وبدني ليتفرغ لها ويؤديها على الوجه الصحيح ولهذا فإن الشرع المطهر قد حثنا على آداب وتوجيهات ينبغي لكل مسلم أن يتحلى بها عند حضوره إلى بيوت الله سبحانه ومن تلك الآداب التبكير لها ولذلك فإن للحضور المبكر للصلاة أثر عظيم في الخشوع فيها فإن من يحضر إلى المسجد مبكراً ويصلي ما كتب له أن يصليه ويذكر الله ويدعوه فإن الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة كما ثبت ذلك عنه ﷺ. ليس كمن يحضر إلى المسجد مسرعاً ليدرك مع المصلين ما فاته فشتان ما بين الاثنين، فينبغي للمسلم أن يأتي إلى الصلاة مبكراً ويقرأ ما تيسر من القرآن بتدبر وخشوع، فذلك أدعى للخشوع في الصلاة، يقول عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي يرويه أبوهريرة رضي الله عنه: «**لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا، ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه**»[1]. وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها سئلت عن حال النبي ﷺ في بيته فقالت: «**إنه يكون في خدمة أهله ويعجن العجين أحياناً فإذا**

(١) رواه البخاري برقم ٦٥٣. ومسلم ١٠٠٠/ ٥٢٣ رقم ٤٣٧.

سمع حي على الصلاة حي على الفلاح فكأنه لا يعرفنا ولا نعرفه»[١].

فكان يلبي نداء ربه حين يسمع النداء صلوات الله وسلامه عليه. وتكبيرة الإحرام هي أول شجرة تقطف منها ثمرة الخشوع والذل والانكسار،تقطفها وتتذوق حلاوتها حينما تتصور وقوفك بين يدي الله، وحينما تغرق تفكيرك في معاني «التكبير» فتتصور قدر عظمة الله في هذا الكون، وتتأمل وأنت تكبر في قول الله جل وعلا: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾. ثم تتأمل قول ابن عباس رضي الله عنه أن الكرسي موضع القدم، «فحينئذ تدرك حقيقة الله أكبر». تدركها وهي تلامس قلبك الغافل عن الله فتوقظه، وتذكره بعظم الموقف وعظم الأمانة التي تحملها الإنسان التي عرضت على السموات والأرض فأبين أن يحملنها وأشفقن منها. تدرك حقيقة التكبير وأسراره وتنظر إلى حالك مع الله وما فرطت في جنبه سبحانه ثم تتيقن أنه سبحانه قد نصب وجهه لوجهك في لحظة التكبير لتقيم الصلاة له راجياً رحمته وخائفاً من عذابه، إنه لموقف ترتعش له الجوارح وتذهل فيه العقول.

وإن الحضور المبكر للصلاة ليجعل المسلم يقبل على الصلاة بقلب متفرغ عن مشاغل الدنيا ويهيئ نفسه وقلبه وجوارحه للوقوف بين يدي الله سبحانه ومن داوم على ذلك وجد فيه لذة لا تعدلها لذة. ووجد راحة وطمأنينة لا يجدها إلا في بيوت الله حتى انه ليحمل هم خروجه من الصلاة ولا يخرج وقت صلاة إلا وهو في شوق إلى الصلاة التي تليها

---

(١) متفق عليه.

وهكذا حتى يصبح قلبه معلقاً بالمساجد ويكون من السبعة الذين يظلهم الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله كما في الحديث الصحيح وقد ذكر العلماء عند شرحهم لهذا الحديث معنى قوله: «**قلبه معلق بالمساجد**». أي أنه كلما حضرت صلاة وصلاها خرج من المسجد وهو في شوق إلى الرجوع إليه والعودة إليه.

وقد روي عن عدي بن حاتم كما في ترجمته عند الذهبي أنه قال: «والله ما جاءت صلاة إلا وأنا في شوق إليها».

وروي عن ثابت البناني رحمه الله أنه قال: «والله إني لأدخل في الصلاة وأنا في هم من خروجي منها». وهذا لا يأتي إلا بعد صبر ومجاهدة.

فضل التبكير إلى الصلاة:

وقد ذكر أهل العلم عدة فضائل في التبكير إلى الصلاة نذكر منها.

١. أن منتظر الصلاة لا يزال في صلاة ما انتظرها. قال عليه الصلاة والسلام: «**لا يزال أحدكم في صلاة ما دامت الصلاة تحبسه لا يمنعه أن ينقلب إلى أهله إلا الصلاة**»[(١)]. وفي رواية: «**لا يزال العبد في صلاة ما كان في المسجد ينتظر الصلاة**»[(٢)].

٢. أن الذي ينتظر الصلاة تصلي عليه الملائكة وتدعو له بالمغفرة والرحمة ما دام في مصلاه ما لم يحدث أو يؤذ فيه. قال عليه الصلاة والسلام: «**الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه ما لم يحدث،**

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البخاري.

اللهم اغفر له اللهم ارحمه»[١]. وفي رواية: «**ما لم يؤذ فيه**»[٢].

٣. أن انتظار الصلاة بعد الصلاة سبب في محو الخطايا ورفع الدرجات وهو من الرباط، قال عليه الصلاة والسلام: «**ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات**»؟ قالوا: بلى يا رسول الله ؟ قال: «**إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط فذلكم الرباط**»[٣].

٤. أن في التبكير إلى المسجد ضمانًا لإدراك صلاة الجماعة التي تفضل على صلاة المنفرد بسبع وعشرين درجة، كما في حديث ابن عمر المتفق عليه.

٥. أن المبكّر إلى المسجد يدرك تكبيرة الإحرام مع الإمام. وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**من صلى أربعين يومًا في جماعة يدرك التكبيرة الأولى كُتب له براءتان: براءة من النار وبراءة من النفاق**»[٤].

٦. إدراك الصف الأول الذي قال عنه ﷺ: «**لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا**»[٥].

وقوله: «**يستهموا**» أي يضربوا قرعة. وقال عليه الصلاة والسلام: «**خير صفوف الرجال أوّلها وشرّها آخرها**»[٦]. وقال أيضًا: «**إن الله**

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه الترمذي وصححه الألباني.

(٥) رواه البخاري برقم ٦٥٣. ومسلم ١٠٠٠/ ٥٢٣ رقم ٤٣٧.

(٦) رواه مسلم.

وملائكته يصلون على الصف المقدّم»[١]. وفي لفظ «**الصف الأول**»، وكان ﷺ يستغفر للصف المقدّم ثلاثًا وللثاني مرة[٢].

٧. إدراك ميمنة الصف وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**إن الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف**»[٣].

٨. إدراك التأمين وراء الإمام في الصلاة الجهرية وفي ذلك فضل عظيم. قال ﷺ: «**إذا قال الإمام: غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا: آمين. فإنه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه**»[٤]. وفي لفظ «**من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه**». وفي رواية: «**إذا قال أحدكم آمين وقالت الملائكة في السماء آمين فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه**»[٥].

٩. إن المبكر إلى المسجد يتمكن من الإتيان بالنوافل المشروعة بين الأذان والإقامة من السنن الراتبة والنوافل المطلقة. وهو ما دل عليه حديث: «**بين كل أذانين صلاة، لمن شاء**»[٦]. والمراد بين كل أذان وإقامة، وقد قال ﷺ: «**ما من صلاة مفروضة إلا وبين يديها ركعتان**»[٧].

---

(١) رواه النسائي.

(٢) رواه أحمد.

(٣) رواه أبو داوود وحسنه ابن مفلح.

(٤) متفق عليه.

(٥) رواه البخاري.

(٦) متفق عليه.

(٧) رواه ابن حبان وغيره.

١٠. إن المبادرة إلى الصلاة دليل على تعلق القلب بالمسجد. وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله. فذكر منهم: ورجل معلّق قلبه بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه**»(١).

١١. إن التبكير إلى المسجد وانتظار الصلاة سبب في حضور القلب في الصلاة وإقبال المرء على صلاته وخشوعه فيها وذلك أنه كلما طال مكثه في المسجد وذكر الله زالت مشاغله وتعلقاته الدنيوية عن قلبه وأقبل على ما هو فيه من قراءة وذكر. بخلاف المتأخر فإن قلبه لا يزال مشغولاً بما هو فيه من أمور الدنيا، ولذا فإنك تلاحظ أن أوائل الناس دخولاً المسجد آخرهم خروجًا. وآخرهم دخولاً المسجد هم أوائلهم خروجًا في الغالب. وقد قال عليه الصلاة والسلام مبينًا أهمية الخشوع وحضور القلب في الصلاة: «**إن الرجل لينصرف وما كتب له إلا عشر صلاته، تسعها، ثمنها، سبعها، سدسها، خمسها، ربعها، ثلثها، نصفها**»(٢).

١٢. إنه يتمكن من الدعاء بين الأذان والإقامة. «**فالدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة**»(٣).

وكذلك يتمكن من الإتيان بأذكار الصباح والمساء وقت الفجر والمغرب.

١٣. إن من يأتي مبكرًا ـ غالبًا ـ يأتي إلى الصلاة بسكينة ووقار. فيكون ممتثلاً أمر النبي ﷺ بخلاف المتأخر فإنه ـ غالبًا ـ يأتي مستعجلاً

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه الإمام أحمد.

(٣) رواه النسائي وصححه ابن خزيمة.

غير متصف بالسكينة والوقار قال عليه الصلاة والسلام: «**إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا. فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا**»(١).

وقد كان السلف رحمهم الله يحرصون على إدراك تكبيرة الإحرام وعلى الحضور المبكر إلى الصلاة روي عن سعيد بن المسيب رحمه الله أنه قال لابنته قبل وفاته وهي تبكي عنده: «يا بنيه لا تبكي علي فوالله مافاتتني تكبيرة الإحرام أربعين عاماً». فكيف الحال بمن تفوته تكبيرة الإحرام في اليوم الواحد مرات.

وقد كان يعزي بعضهم بعضاً إذا فاتتهم تكبيرة الإحرام روي عن حاتم الأصم رحمه الله أنه فاتته تكبيرة الإحرام يوماً فجاءه بعض أصحابه يعزونه على ذلك فلما رآهم بكى. فقيل له:ما يبكيك فقال فاتتني تكبيرة الإحرام فعزاني بعض أهل المدينة ولو مات لي ولد لعزاني أهل المدينة كلهم ولموت أبنائي جميعاً أحب إلي من أن تفوتني تكبيرة الإحرام.

وقد روي عن محمد بن واسع رحمه الله أنه قال: من رأيته يتساهل في تكبيرة الإحرام فاغسل يديك منه.

فانظروا إلى شدة حرصهم على إدراك تكبيرة الإحرام وما ذلك إلا لعلمهم بالأجر الذي قد أعده الله لمن أدرك هذه التكبيرة.

آداب الذهاب إلى المسجد:

ومن الآداب عند الخروج إلى المسجد الخروج إليه بسكينة ووقار وتذلل وخضوع للباري سبحانه.والسكينة مأخوذة من السكون وهي

---

(١) تخريجه في الصفحة التالية.

الطمأنينة والتأني والحلم والمهابة واجتناب العبث ولغو الكلام. والوقار هو الرزانة والحلم والعظمة. قال القرطبي وهو بمعنى السكينة ولكنه ذكر على سبيل التأكيد وقال النووي إن بينهما فرق فالسكينة التأني في الحركات واجتناب العبث. والوقار يكون في الهيئة كغض الطرف وخفض الصوت.

في الصحيحين عنه ﷺ أنه قال: «**إذا أتيتم الصلاة وفي لفظ إذا سمعتم الإقامة فامشوا وعليكم السكينة فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا**»(١). والسكينة: هي الطمأنينة والتأني في المشي، والوقار:الرزانة وغض البصر وقلة الالتفات. وفي رواية: «**فإن أحدكم إذا كان يعمد إلى الصلاة فهو في صلاة**»(٢). قال ابن القيم رحمه الله: «السكينة هي التي تورث الخضوع والخشوع وغض الطرف وجمعية القلب على الله بحيث يؤدي العبودية لله بقلبه وبدنه والخشوع هو نتيجة هذه السكينة وثمرتها وخشوع الجوارح نتيجة خشوع القلب وسببها مراقبة العبد لربه حتى كأنه يراه».

قال الإمام أحمد: إذا طمع أن يدرك التكبيرة الأولى فلا بأس أن يسرع مالم تكن عجلة تقبح.

ويسن للخارج إلى المسجد أن يقول ما ورد من الأدعية المأثورة

---

(١) رواه البخاري في الأذان باب لا يسعى إلى الصلاة رقم ٦٣٦. ومسلم في المساجد باب إتيان الصلاة بوقار ١/ ٤٢٥ رقم ٦٠٢.

(٢) رواه البخاري برقم ٦٣٦ ومسلم برقم ٩٤٤.

ومنها: «بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله»[١]. ويقول أيضاً: «اللهم إني أعوذ بك أن أزل أو أزل أو أضل أو أضل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل علي»[٢].

ويسن أن يقول أيضاً: «اللهم اجعل في قلبي نوراً وفي لساني نوراً وفي بصري نواراً واجعل من خلفي نوراً ومن أمامي نوراً وأجعل من فوقي نوراً ومن تحتي نوراً وأعطني نوراً»[٣].

ويسن أيضاً أن يقارب الخطا لتكثر الحسنات فعن زيد بن ثابت قال قال رسول الله ﷺ: «فقارب في الخطا لتكثر خطاك في طلب الصلاة» وقوله ﷺ لبني سلمة حينما أرادوا أن يقتربوا من المسجد: «دياركم تكتب آثاركم»[٤]. وورد عنه ﷺ أنه قال: «إذا توضأ العبد فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة وحط عنه بها خطيئة فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه، اللهم صل عليه، اللهم أرحمه، ولا يزال أحدكم في صلاة ما انتظر الصلاة»[٥]. وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أعظم الناس أجراً في الصلاة أبعدهم فأبعدهم

---

(١) رواه أبوداوود في الأدب باب ما يقوله إذا خرج من بيته ٥/ ٣٢٨ رقم ٥٠٩٤. والترمذي في الدعوات رقم ٣٤٢٦ وقال حسن صحيح.

(٢) رواه أبو داوود في الموضع السابق ورواه الترمذي في الدعوات برقم ٣٤٢٨ وقال حديث حسن صحيح.

(٣) رواه مسلم برقم ٧٦٣ وهو في السلسة الصحيحة برقم ٢٥٢.

(٤) رواه مسلم برقم ٦٦٥.

(٥) رواه البخاري برقم ٦٤٧.

ممشى»[١].

ويسن للخارج إلى الصلاة إذا وصل إلى المسجد أن يقدم رجله اليمنى ليدخل بها إلى المسجد ويقول: «**بسم الله أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم**»[٢]. ثم يقول «**اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك**»[٣]. وفي رواية أنه يقول: «**اللهم صل على محمد**» ثم يدعو بالدعاء السابق.

ويسن للخارج من المسجد تقديم الرجل اليسرى ويقول: «**اللهم افتح لي أبواب فضلك**»[٤].

ويسن أيضا للداخل إلى المسجد أن يصلي ركعتين تحية للمسجد قال ﷺ: «**إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين**»[٥].

ومن الآداب أيضاً أن لا يشبك بين أصابعه في طريقه إلى المسجد وحين انتظار الصلاة لحديث أبي سعيد رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: «**إذا كان أحدكم في المسجد فلا يشبكن فإن التشبيك من الشيطان**»[٦].

ولحديث كعب رضي الله عنه يرفعه أنه رأى رجلاً قد شبك أصابعه في الصلاة ففرج بين أصابعه.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأذان باب صلاة الفجر في جماعة برقم ٦٥١.

(٢) رواه أبو داوود في الصلاة باب فيما يقوله الرجل عند دخوله المسجد ١/ ٣١٨ رقم ٤٦٦.

(٣) رواه مسلم ٤٩٤/ ١ وأبو داوود ١/ ٩٣.

(٤) رواه مسلم في الموضع السابق.

(٥) رواه البخاري برقم ٤٤٤. ومسلم ١/ ٤٩٥.

(٦) رواه أحمد في مسنده.

التحذير من الحديث في أمور الدنيا في المسجد:

وينبغي له أيضاً أن لا يخوض وهو في المسجد في أمور الدنيا وهذا مما ابتلي به كثير من المصلين في هذه الأيام لا يجدون لذة في الحديث عن أمور الدنيا إلا في المسجد. وقد قال ﷺ: «**سيكون في آخر الزمان قوم يكون حديثهم في مساجدهم ليس لله فيهم حاجة**» وفي لفظ: «**يأتي على الناس زمان يكون حديثهم في مساجدهم فلا تجالسوهم فليس لله فيهم حاجة**»[1].

وينبغي له أيضاً إذا دخل المسجد الاشتغال بالذكر والدعاء وتلاوة القرآن وأن لا يشوش على غيره من المصلين.

فهذه بعض الآداب التي يسن للذاهب إلى المسجد ولمن كان فيه أن يفعلها وكلها مما تعين المسلم على أن يكون خاشعاً مخبتاً إلى ربه سبحانه ومستشعراً لعظمة الله وقداسة المكان والعبادة التي سيؤديها فينبغي لكل مسلم أن لا يغفل عنها وأن يحافظ عليها ويعود نفسه على فعلها.

* * *

(١) أخرجه الطبراني في الكبير برقم ١٠٤٥٢ وأبو نعيم في الحلية وابن عدى في الكامل.

السبب السادس

المحافظة على النوافل

ومفردها نافلة وتجمع أنفال كما قال سبحانه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ ...﴾[١]. وهي تعني الزيادة قال سبحانه في قصة إبراهيم: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ﴾[٢].

والتقرب إلى الله سبحانه بالنوافل هو من أعظم القربات وهي سبب لمحبة الله سبحانه لهذا العبد فأعظم به من حب وأكرم بها من منزلة.

قال ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل: «**وما تقرب إلي عبدي بأحب مما افترضته عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي عليها ولأن سألني لأعطينه ولأن استعاذني لأعيذنه**»[٣].

والسنن إما سنن راتبة ثبت عنه ﷺ المحافظة عليها، وإما نوافل مطلقة. أما السنن الراتبة فالمداومة على فعلها هي من أعظم أسباب الخشوع في الصلاة ويكره تركها وتسقط عدالة من داوم على تركها فترد

---

(١) سورة الأنفال آية ١.

(٢) سورة الأنبياء آية ٧٢.

(٣) رواه البخاري برقم ٧٤٠٥.

شهادته ويدل ذلك على قلة دينه عند الإمام أحمد والشافعي.

قيل إنها عشر ركعات كما ورد في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: «**حفظت من رسول الله ﷺ عشر ركعات ركعتين قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين بعد المغرب في بيته وركعتين بعد العشاء في بيته وركعتين قبل الصبح وكانت ساعة لا يدخل على النبي ﷺ فيها أحد حدثتني حفصة أنه إذا أذن المؤذن وطلع الفجر صلى ركعتين**»(١).

وقيل إنها اثنتي عشرة ركعة وهو الأصح لما ثبت عنه ﷺ أنه قال: «**من صلى لله في يوم وليلة ثنتي عشرة سجدة سوى المكتوبة بنى الله له بيتاً في الجنة**» (٢).

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «**كان يصلي قبل الظهر أربعا في بيتي ثم يخرج فيصلي بالناس ثم يرجع إلى بيتي فيصلي ركعتين**». ففيه أن السنن الراتبة إثنتا عشرة ركعة وفيه أيضاً أن أدائها في البيت أفضل منها في المسجد هذا مع شرف مسجده ﷺ فإن أدائها في البيت سبب لتمام الخشوع والإخلاص وأبعد من الرياء والعجب ولتنزل الرحمة في البيت ويخرج منه الشيطان قال ﷺ: «**اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تجعلوها قبوراً**»(٣).

وهي ركعتان قبل الفجر وهي آكدها قال ﷺ: «**ركعتا الفجر خير من**

---

(١) متفق عليه. البخاري برقم ١١٨٠.

(٢) رواه الجماعة إلا البخاري.

(٣) رواه البخاري برقم ٤٣٢.

الدنيا وما فيها»[١]. وقالت عائشة رضي الله عنها: «**لم يكن على شيء من النوافل أشد تعاهداً منه على ركعتي الفجر**»[٢].

وأربع قبل الظهر واثنتان بعدها كما في حديث أم المؤمنين عائشة ويستحب أن تكون أربع بعدها لحديث أم حبيبة رضي الله عنها مرفوعاً: «**من حافظ على أربع قبل الظهر وأربع بعدها حرمه الله على النار**»[٣].

وكان النبي ﷺ إذا فاتته هذه السنن قضاهن. وهذا يدل على حرصه على المحافظة عليها فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «**كان النبي ﷺ إذا فاتته الأربع قبل الظهر صلاهن بعد الركعتين بعد الظهر**»[٤]. قال العراقي الحديث يدل على امتداد وقتها إلى آخر وقت الفريضة.

وركعتان بعد المغرب ويسن أن يقرأ فيهما بسورتي الكافرون والإخلاص كما في ركعتي الفجر لحديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: «**ما أحصي ما سمعت من رسول الله ﷺ يقرأ في الركعتين بعد المغرب وفي الركعتين قبل الفجر بـ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾**»[٥].

وركعتان بعد العشاء كما في حديث ابن عمر وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهم أجمعين.

---

(١) رواه مسلم ٧٢٥.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه الخمسة.

(٤) رواه ابن ماجه وغيره.

(٥) رواه الترمذي والبيهقي وغيرهما.

أما النوافل المطلقة فلا حد لها معين فهي حسب اجتهاد العبد وقد وردت أحاديث في فضل بعضها كما في حديث أم حبيبة السابق.

وقد رجح ابن القيم أن الأربع التي قبل الظهر ورد مستقل سببه هو انتصاف النهار وقد قال النبي ﷺ: «**إنها ساعة تفتح فيها أبواب السماء فأحب أن يصعد لي فيها عمل صالح**». ومنها أربع قبل العصر وقد ورد في فضلها قوله ﷺ: «**رحم الله امرأ صلى أربعاً قبل العصر**»(١).

ومن ذلك ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت ما صلى العشاء قط فدخل علي إلا صلى أربع ركعات أو ست ركعات. ومن ذلك أيضاً قوله ﷺ: «**بين كل أذانين صلاة**»(٢).

وقال ﷺ: «**صلوا قبل المغرب صلوا قبل المغرب صلوا قبل المغرب وقال في الثالثة لمن شاء**»(٣) خشية أن يتخذها الناس سنة وهي ليست بسنة راتبة كهيئة السنن الرواتب.

لذا فإن المداومة على كثرة النوافل هي بإذن الله مما يعين العبد على الخشوع في صلاته واستحضار عظمة الرب سبحانه.

وهذه النوافل هي متممة لما يحصل في الصلاة من نقص وخلل فمن منا لا يحصل في صلاته نقص أو خلل لذا كان حرياً بكل مسلم أن يحافظ على هذه النوافل لتجبر ما يحصل في صلاته من نقص قال ﷺ: «**أول ما**

---

(١) رواه أبو داوود برقم ١٢٧١ والترمذي برقم ٤٣٠.
(٢) رواه البخاري برقم ٦٢٤ ومسلم برقم ٨٣٨.
(٣) رواه البخاري برقم ٧٣٦٨ ورقم ١١٨٣.

يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته فإن صلحت فقد أفلح ونجح وإن نقصت فقد خاب وخسر فإن انتقص من الفريضة شيء قال الله لملائكته أنظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل به ما انتقص من الفريضة ثم يكون سائر عمله كذلك»[١]. وعن أنس بن حكيم الضَّبِّيّ قال: خاف رجل من زياد ـ أو ابن زياد ـ فأتى المدينة، فلقى أبا هريرة رضى الله عنه قال: فنسبنى، فانتسبت له، فقال: يا فتى، ألا أحدثك حديثاً؟ قال: قلت: بلى يرحمك الله ـ قال يونس: فأحسبه ذكره عن النبي ﷺ ـ قال: «**إن أول ما يحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم الصلاة**». قال: «**يقول ربنا عز وجل لملائكته، وهو أعلم: انظروا في صلاة عبدي، أتمها أم نقصها؟ فإن كانت تامة كتبت له تامة، وإن كان انتقص منها شيئاً قال: انظروا، هل لعبدي من تطوع؟ فإن كان له تطوع قال: أتموها من تطوعه، ثم تؤخذ الأعمال على ذلكم**»[٢].

وعن تميم الدَّارِىّ رضي الله عنه عن النبي ﷺ بهذا المعنى قال: «**ثم الزكاة مثل ذلك، ثم تؤخذ الأعمال على حسب ذلك**»[٣].

إن الإنسان يحرص على أن يصلح كل ما يحصل في بيته ومركوبه من خلل أو نقص ويبذل كل ما بوسعه في إصلاحه فمن باب أولى أن يجبر المسلم ما يحدث في صلاته من خلل بالمحافظة على هذه النوافل

---

(١) رواه أبو داوود والترمذي.

(٢) رواه أبو داوود وابن ماجه.

(٣) رواه أبو داوود وابن ماجه.

وأن يحرص على إتمام صلاته بخشوعها وخضوعها وسننها فهي الصلة بين العبد وربه وهي العهد الذي قال عنه ﷺ: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر**»(١).

وقد ذكر المفسرون أن المقصود بالعهد المذكور في قوله سبحانه: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾(٢) العهد هو الصلاة.

* * *

(١) أخرجه أبو داوود والترمذي والنسائي وابن ماجه والإمام أحمد بإسناد صحيح. وأخرج مسلم في صحيحة عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة».

(٢) سورة مريم آية ٨٧.

السبب السابع

استشعار عظمة من تقف بين يديه

إذا استشعر المصلي واستحضر عظمة الجبار سبحانه وتعالى وأنه واقف بين يدي ملك الملوك سبحانه الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور كان حرياً به أن يخشع في صلاته وأن يقبل عليها بقلب خاشع متذلل لربه سبحانه.

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يزال الله مقبلاً على العبد في صلاته ما لم يلتفت فإذا صرف وجهه انصرف عنه**»(١).

وفي الأثر أنه ﷺ قال: «**لو يعلم المصلي من يناجي ما أنفتل في صلاته**» وقال ﷺ: «**إن أحدكم إذا صلى يناجي ربه**»(٢).

فعلى المسلم أن يستشعر أسماء الله وصفاته في كل موضع من صلاته وأن يعلم أنه بين يدي ربه سبحانه، ويحصل ذلك لمن تفقه قلبه في معاني القرآن وخالط قلبه بشاشة الإيمان.

فإنه إذا انتصب العبد قائماً بين يدي الرب تبارك وتعالى شاهد بقلبه

---

(١) رواه أبو داوود وفي البخاري أنه ﷺ قال: أن يحيى بن زكريا عليه السلام قال لبني إسرائيل في الوصايا التي أمره الله بتبليغها: «وأمركم بالصلاة فإذا صليتم فلا تلتفتوا فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت».

(٢) رواه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة باب المصلي يناجي ربه عز وجل رقم ٥٣١.

قيوميته وأنه حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم.

وإذا قال الله اكبر استحضر كبرياءه سبحانه وأنه هو الكبير المتعال.

وإذا قال سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك شاهد بقلبه رباً منزهاً عن كل عيب سالماً من كل نقص محموداً بكل حمد فحمده يتضمن وصفه بكل كمال وذلك يستلزم براءته من كل نقص تبارك اسمه فلا يذكر على قليل إلا كثره وعلى خير إلا أنماه وبارك فيه ولا على آفة إلا أذهبها ولا على شيطان إلا رده خاسئاً مدحوراً.

وكمال الاسم من كمال مسماه فإذا كان هذا شأن اسمه الذي لا يضر معه شيء في الأرض ولا في السماء فشأن المسمى أعلى وأجل.

وتعالى جدك أي ارتفعت عظمتك وجلت فوق كل عظمة وعلا شأنه على كل شأن وقهر سلطانه على كل سلطان فتعالى جده أن يكون معه شريك في ملكه وربوبيته أو في ألوهيته أو في أفعاله أو في صفاته كما قال مؤمن الجن: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾[1]. فهذه الكلمات تجلي كثيراً من حقائق الأسماء والصفات على قلب العارف بها غير المعطل لحقائقها.

وإذا قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقد أوى إلى ركنه الشديد واعتصم بحوله وقوته من عدوه الذي يريد أن يقطعه عن ربه ويبعده عن قربه ليكون أسوأ حالا.

---

(١) سورة الجن آية ٣.

مراتب الناس في الصلاة:

قال ابن القيم: الناس في الصلاة على خمس مراتب:

أحدها: مرتبة الظالم لنفسه المفرط وهو الذي أنتقص من وضوئها ومواقيتها وحدودها وأركانها.

الثاني: من حافظ على مواقيتها وحدودها وأركانها الظاهرة ووضوءها لكن قد ضيع مجاهدة نفسه في الوسوسة فذهب مع الوساوس والأفكار.

الثالث: من حافظ على حدودها وأركانها وجاهد نفسه في دفع الوساوس والأفكار فهو مشغول بمجاهدة عدوه لئلا يسرق من صلاته. فهو في صلاة وجهاد.

الرابع: من إذا قام إلى الصلاة أكمل حقوقها وأركانها وحدودها واستغرق قلبه مراعاة حدودها وحقوقها لئلا يضيع شيء منها بل همه كله مصروف إلى إقامتها كما ينبغي وإكمالها وإتمامها وقد استغرق قلبه شأن الصلاة وعبودية ربه تبارك وتعالى.

الخامس: من إذا قام إلى الصلاة قام إليها وقلبه متعلق بين يدي ربه تعالى ناظراً ومراقباً وممتلئاً من محبته وعظمته كأنه يراه ويشاهده وقد اضمحلت تلك الوساوس والخطرات وهو مشغول في صلاته بربه عز وجل قرير العين به فهذا بينه وبين غيره في الصلاة أفضل وأعظم مما بين السماء والأرض.

فالأول معاقب، والثاني محاسب، والثالث مكفر عنه، والرابع مثاب، والخامس مقرب من ربه عز وجل، لأنه جعلت قرة عينه في الصلاة[1].

---

(١) الوابل الصيب لابن القيم ص٣٩.

روي عن حاتم الأصم رحمه الله تعالى أنه سئل عن صلاته فقال: إذا حانت الصلاة أسبغت الوضوء وأتيت الموضع الذي أريد الصلاة فيه فأقعد فيه حتى تجتمع جوارحي ثم أقوم إلى صلاتي وأجعل الكعبة بين حاجبي والصراط تحت قدمي والجنة عن يميني والنار عن شمالي وملك الموت ورائي وأظنها آخر صلاتي ثم أقوم بين ركوع بتواضع وأسجد سجوداً بتخشع وأقعد على الورك الأيسر وافرش ظهر قدمها وأنصب القدم اليمنى وأتبعها الإخلاص ثم لا أدري أقبلت مني أم لا.

وقال الحسن: سمعهم عامر بن قيس وما يذكرون من ذكر الضيعة في الصلاة قال تجدون ذلك في صلاتكم قالوا نعم. قال والله لأن تختلف الأسنة في جوفي أحب إلي من أن يكون هذا في صلاتي.

وهذه هي المراقبة الحقيقة لله سبحانه وتعالى في الصلاة وهي درجة الإحسان التي هي أعلى مراتب الدين وهي أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك وهذا إنما ينشأ من كمال الإيمان بالله وبأسمائه وصفاته حتى تستشعر وتوقن بأنه سبحانه يراك عندها يصبح العبد يعبد الله سبحانه كأنه يراه فوق سماواته مستوياً فوق عرشه يتكلم بأمره ونهيه ويدبر أمر الخليقة فينزل الأمر من عنده ثم يصعد إليه وتعرض أعمال العباد عليه وأرواحهم عند الموافاة إليه فيشهد ذلك بقلبه ويشهد أسماء الله وصفاته بأنه حي قيوم سميع عليم قريب مجيب بصير عزيز حكيم. يحب ويبغض يسخط ويرضى لا يخفى عليه شيء من أعمال العباد ولا من أفعالهم ظاهرها وباطنها قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾(١).

---

(١) سورة الملك آية ١٤.

ومشهد الإحسان أصل أعمال القلوب كلها فهو يوجب الإجلال والتعظيم والخشية والمحبة والإنابة والتوكل والخضوع لله سبحانه والذلة له وهذه هي العبادات القلبية التي متى اجتمعت مع العبادات البدنية كان العبد أقرب ما يكون من ربه.

قال مطرف بن عبدالله بن الشخير: والله ما سبقهم أبوبكر بكثرة صلاة ولا عبادة ولكن بشيء وقر في قلبه.

فعبادات القلب تجعل العبد على اتصال دائم بربه ولذلك أثنى الله سبحانه على العلماء بخشيتهم له سبحانه فقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[1]. والخشية هي من أعمال القلب.

والمتأمل في سير كثير من التابعين وتابعيهم يجد أن بعضهم أكثر عبادة من الصحابة ولكن الصحابة سبقوهم بما وقر في قلوبهم من إيمان وخشية وخوف ورجاء لله سبحانه وتعالى.

فمتى كان القلب متصلاً بربه كان أبعد ما يكون عن الوساوس في الصلاة والعبادة كلها. فتنقطع بذلك الوساوس وحديث النفس ويجتمع القلب والهم لله سبحانه وهذه هي درجة الإحسان التي هي أعلى مراتب الدين. فحظ العبد من القرب من الله سبحانه على قدر حظه من مقام الإحسان وبحسبه يتفاوت الناس في الصلاة حتى يكون بين صلاة الرجلين في الفضل والأجر والمثوبة كما بين السماء والأرض.

* * *

(١) سورة فاطر آية ٢٨.

السبب الثامن

حضور القلب أثناء الصلاة

إن للصلاة والعبادة والقرآن والذكر وقعاً خاصاً في النفوس ولذة لا يشعر بها إلا من قويت صلته بالله سبحانه وحضر قلبه وسكنت جوارحه لمولاه. فبذلك تنشرح الصدور وتحيا القلوب فيعيش المسلم في راحة نفسية وسعادة لا يعدلها سعادة قال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾(١). قال ابن عباس رضي الله عنهما: تكفل الله لمن أتبع هداه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة. وروي عنه أنه قال: أجار الله تابع القرآن من أن يضل في الدنيا أو يشقى في الآخرة.

وحضور القلب يحصل بالتجرد من كل الحظوظ الدنيوية وعدم التفكير وإشغال الذهن بأي أمر من أمور الدنيا وأن يصرف همه كله لله وحده والإقبال عليه. وذلك إنما يتم بالمجاهدة قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾(٢).

قال ثابت البناني رحمه الله: جاهدت نفسي بالصلاة عشرين عاماً حتى استقامت ثم تلذذت بها عشرين عاماً والله إني لأدخل في الصلاة

---

(١) سورة طه آية ١٢٤.

(٢) سورة العنكبوت آية ٦٩.

وأنا أحمل هم خروجي منها. فبالمجاهدة يتم المقصود وتصبح الصلاة قرة عين لصاحبها كما كانت قرة عين للمصطفى ﷺ. وبالمداومة على مجاهدة النفس يصلح القلب ويستقيم. والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً. فإذا صلح القلب أصبحت سعادته وراحته في الصلاة كما كان يقول ﷺ: «أرحنا بالصلاة يا بلال».

أهمية صلاح القلب:

ولأهمية صلاح القلوب سنذكر أمراض القلوب ومفسدات القلب وأقسام القلوب وعلامات صلاح القلب وأسبابها لأن القلب إذا كان سليماً من المفسدات واجتمعت فيه علامات الصلاح استطاع صاحبه أن يخشع في صلاته فالقلب هو اشرف شيء في الإنسان وبحياته حياة البدن وبموته موت البدن ولهذه الأهمية العظيمة للقلب جاءت النصوص الشرعية الكثيرة بذكره والتنويه بمكانته.

قال سبحانه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾(١).

وقال سبحانه: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾(٢).

وقال سبحانه: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ﴾(٣).

---

(١) سورة ق آية ٣٧.

(٢) سورة الحج آية ٤٦.

(٣) سورة الأحزاب آية ٥.

وقال ﷺ في الحديث الذي يرويه النعمان بن بشير رضي الله عنهما: **«...ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»**(١).

ما سمي القلب إلا من تقلبه والرأي يصرف بالإنسان أحياناً

فالقلب لا يثبت على حال ولذلك كان النبي ﷺ يكثر أن يقول: **«يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»**. فقيل له يا رسول الله آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا ؟. قال: **«نعم إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء»**(٢). وكان من دعاءه ﷺ أيضاً: **«اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك»**(٣). وقوله أيضاً: **«وأسألك قلباً سليماً»**(٤). فهذا كله يبين أهمية صلاح القلب وأن على الإنسان أن يحرص على الإكثار من الدعاء بصلاح قلبه كما كان سيد الخلق ﷺ. فالقلب معرض للفتن وللشبه وهي تؤثر فيه وعلى سيره إلى الله سبحانه. عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **«تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير القلوب على قلبين: قلب أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض والآخر أسود مرباداً كالكوز مجخياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه»**(٥).

---

(١) رواه البخاري برقم٥٢ ومسلم برقم ١٥٩٩.
(٢) رواه الترمذي رقم ٢١٤٠. وبنحوه رواه مسلم برقم ٢٦٥٤.
(٣) رواه مسلم ٤/ ٢٠٤٥ برقم ٢٦٥٤.
(٤) رواه أحمد ٤/ ١٢٥ والترمذي رقم ٣٠٤٧ والنسائي ٣/ ٥٤ وابن حبان رقم ١٩٧٤.
(٥) رواه مسلم ١/ ١٢٣ برقم ١٤٤.

صلاح الباطن يتبعه صلاح الظاهر:

فصلاح العمل مرتبط بصلاح القلب لأن الإيمان قول وعمل ونية وصلاح الباطن يؤثر في صلاح الظاهر وكلما ازداد صلاح الباطن كان ذلك زيادة في صلاح الظاهر. ولذلك فإن بعض من نقص علمه يظن أن هناك انفصالاً بين صلاح القلب وصلاح الظاهر وأن الذنوب لا تؤثر على القلب وهذا خطأ بين ظاهر فإن النبي ﷺ أن التقوى محلها القلب حين قال: «**التقوى هاهنا**» ويشير إلى صدره ثلاث مرات(١). قال ابن رجب: «ويلزم من صلاح القلب صلاح الجوارح»(٢).

ومما يدل على هذا الترابط حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما السابق وأيضاً قوله ﷺ: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**»(٣).

قال ابن رجب رحمه الله: «فالقوم إذا صلحت قلوبهم فلم يبق فيها إرادة لغير الله عز وجل صلحت جوارحهم فلم تتحرك إلا لله عز وجل وبما فيه رضاه»(٤).

أمراض القلوب وأنواعها:

وأمراض القلوب نوعان:

النوع الأول: أمراض شبهات وهي أشد النوعين ويدخل فيها جميع

---

(١) جزء من حديث عند مسلم ٤/ ١٩٨٧ برقم ٢٥٦٤.

(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب آخر شرح الحديث رقم ٦.

(٣) رواه مسلم برقم ٢٥٦٤.

(٤) جامع العلوم والحكم لابن رجب آخر شرح الحديث رقم ٦.

الاعتقادات الباطلة من شرك ونفاق وشك ومحبة للباطل وأهله وبغض للإسلام وأهله وغير ذلك من الشبهات قال سبحانه عن المنافقين: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾[١].

النوع الثاني: أمراض شهوات ويدخل فيها أنواع العمل بخلاف الاعتقاد ومن أمثلة ذلك الحسد والغل والبخل والحقد وشهوة الزنا والنظر الحرام قال سبحانه وتعالى: ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾[٢].

مفسدات القلب:

وصلاح القلب يحصل بإبعاده عن كل ما يفسده وقد ذكر ابن القيم رحمه الله أن مفسداته تنقسم إلى أربعة أقسام وهي:

أولاً: التعلق بغير الله تبارك وتعالى: وهذا من أعظم المفسدات على الإطلاق فإذا تعلق بغير الله سبحانه وكله الله إلى ما تعلق به وخذله من جهة ما تعلق به وفاته تحصيل مقصوده من الله عز وجل بتعلقه بغيره قال سبحانه: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾[٣]. ويدخل في ذلك الرياء وحب السمعة وحب الرياسة والعجب وغيرها من مفسدات القلب.

ثانياً: ركوب بحر التمني وهو بحر لا ساحل له وهو البحر الذي يركبه مفاليس الناس وكما قيل: إن الأماني رأس أموال المفاليس

---

(١) سورة البقرة آية ١٠.

(٢) سورة الأحزاب آية ٣٢.

(٣) سورة مريم آية (٨١ ـ ٨٢).

وبضاعتهم مواعيد الشيطان وخيالات المال ومن الأماني تمني المنازل العالية في الجنة وترك العمل لها. وهذا المفسد هو مما ابتلي به كثير من الناس اليوم خاصة بعد انفتاح الدنيا على الناس حتى أصبحت أكبر هم كثيراً منهم فأصبح المصلي يدخل في صلاته ثم يفتح المشاريع التجارية والصفقات حتى لا يدري كم صلى. يصلي ببدنه فقط أما قلبه فقد انشغل بالأماني والخيالات.

ثالثاً: الطعام. والمفسد منه نوعان:

الأول: ما يفسد لعينه، وذلك كالمحرمات وهي نوعان: محرم لحق الله سبحانه كالميتة والدم ولحم الخنزير وذي الناب من السباع والمخلب من الطير.ومحرم لحق العباد كالمسروق والمغصوب والمنهوب وما أخذ بغير رضا صاحبه.

والثاني: ما يفسد القلب بالإسراف فيه وتعدي قدره وحدوده كالشبع المفرط فهو يثقل عن الطاعات ويشغل بمزاولة مؤونة البطن.

رابعاً: كثرة النوم فإنه يميت القلب ويثقل البدن ويضيع الوقت ويورث الغفلة والكسل.

ومن النوم المكروه عند العارفين: النوم ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس فإنه وقت لطلب الرزق أو طلب العلم فإن الرسول ﷺ دعا الله أن يبارك لأمته في بكورها. وأيضاً النوم بعد صلاة العصر فإنه من النوم المكروه الذي قد ورد النهي عنه.

ومن النوم الذي لا ينفع النوم أول الليل (قبل صلاة العشاء) عقب غروب الشمس فقد كان النبي ﷺ يكرهه فهو مكروه شرعاً وطبعاً.

وقد يزاد على كلام ابن القيم رحمه الله أن من مفسدات القلب حب الدنيا فإذا استولت الدنيا وحبها على قلب عبد أفسدته.

قال يحيى بن معاذ: مسكين ابن آدم لو خاف النار كما يخاف الفقر دخل الجنة.

وإذا فرغ العبد قلبه لطاعة مولاه وجعل همه لله وحده أتته الدنيا وهي راغمة قال ﷺ: «**من أصبح والدنيا أكبر همه جعل الله فقره بين عينيه وشتت عليه شمله ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له، ومن أصبح والآخرة أكبر همه جعل الله غناه في قلبه وجمع عليه شمله وأتته الدنيا وهي راغمة وكان الله بكل خير له أسرع**»[1].

أقسام القلوب:

أقسام القلوب ثلاثة:

أولا: القلب الميت.

وهو القلب الخالي من الإيمان وجميع الخير فهو لا يعرف ربه ولا يعبده إنما يتبع هواه وشهواته مع غفلة شديدة عن مراد ربه منه وهذا قلب مظلم قد استراح الشيطان من إلقاء الوساوس إليه. ولهذا قيل لابن عباس رضي الله عنهما إن اليهود تزعم أنها لا توسوس في صلاتها قال: وما يفعل الشيطان بالبيت الخراب؟.

---

(١) رواه الترمذي من حديث أنس رضي الله عنه وابن ماجه وغيره من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه. قريباً من هذا اللفظ.

الثاني: القلب المريض.

وهو قلب فيه حياة وبه علة ففيه محبة لله عز وجل وإيمان به وفيه بالمقابل محبة لشهواته وإيثار لها وحرص على تحصيلها فربما غلب عليه المرض فالتحق بصاحب القلب الميت وربما غلبت عليه الصحة فالتحق بصاحب القلب السليم فللشيطان عليه إقبال وإدبار وبينه وبين الشيطان سجال.

الثالث: القلب الصحيح السليم.

وهو قلب محشو بالإيمان ومليء بالنور الإيماني وقد انقشعت عنه حجب الهوى والشهوات وأقلعت عنه تلك الظلمات مليء بالإشراق فقد سلم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه ومن كل شبهة تعارض خبره فهو يقابل خبر الله سبحانه وخبر رسوله ﷺ بالتسليم ولا يعارضه كما يفعل أهل الشبه والبدع والزيغ والضلال ذلك هو قلب المؤمن الصادق المخلص لو اقترب منه الشيطان لأحرقه فهو كالسماء التي حرست بالنجوم فلو دنا منه الشيطان لرجم واحترق فليست السماء بأعظم حرمة من المؤمن وحراسة الله تعالى له أتم من حراسة السماء فقلب المؤمن هو مستقر التوحيد والمحبة والمعرفة والإيمان وفيه أنوار الإيمان فهو حقيق أن يحرس ويحفظ من كيد العدو فلا ينال منه شيئاً إلا خطفه. وهذا الذي ينجو يوم القيامة قال سبحانه وتعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[1].

---

(١) سورة الشعراء آية (٨٧ ـ ٨٩).

علامات صلاح القلب وأسبابها:

١- توحيد الله تعالى والإيمان به وتجديد ذلك والعمل بالفرائض التي فرضها الله تعالى على عباده فهذه الأمور رأس حياة القلوب وسعادتها.

٢- التضرع إلى الله تعالى واللجوء إليه ودعاؤه بأن يرزقك الله قلباً سليماً قال الله تعالى مخبراً عن دعاء الراسخين في العلم: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾[١]. وكان من دعاء النبي ﷺ: «**اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك**»[٢]. وكان من دعائه ﷺ أيضاً «...**وأسألك قلباً سليماً**».

٣- كثرة ذكر الله ومراقبته والتفكر في آلائه ومخلوقاته قال سبحانه: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[٣]. أي يسعد وترتاح.

٤- تدبر القرآن والنظر في معانيه والعمل بما جاء فيه قال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[٤].

٥- ترك الذنوب فإن الذنوب تميت القلوب وبتركها حياة القلوب قال سبحانه: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٥]. قال ابن المبارك

---

(١) سورة آل عمران آية ٨.

(٢) رواه مسلم في كتاب القدر باب تصريف الله القلوب كيف شاء. برقم ٤٧٩٨.

(٣) سورة الرعد آية ٢٨.

(٤) سورة محمد آية ٢٤.

(٥) سورة المطففين آية ١٤.

رحمه الله تعالى:

رأيت الذنوب تميت القلوب وقد يورث الذل إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب وخير لنفسك عصيانها

٦- الاهتمام بتصحيح الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

٧- التألم والتحسر على فوات الطاعة أشد من تحسر المرء على فوات حظه من الدنيا.

٨- الاهتمام الكبير بشأن الآخرة والقيامة والإقبال عليها وتذكرها والاستعداد لها.

٩- زيارة المرضى والمقابر فإنها تذكر الآخرة وتحيي القلب وتذكر نعمة الله تعالى على الإنسان.

ومما يعين العبد على الإقبال على الله سبحانه في صلاته علمه بأنه ليس له من صلاته إلا ما عقل منها وإلا فكيف يقبل الله من قلب ساه لاه قال ﷺ: **«أدعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة وأعلموا أن الله لا يستجيب من قلب ساه لاه»**(١).

قال الإمام احمد في رواية مهنا بن يحيى: إنما حظهم من الإسلام على قدر حظهم من الصلاة ورغبتهم في الإسلام على قدر رغبتهم في الصلاة فاعرف نفسك يا عبدالله واحذر أن تلقى الله عز وجل ولا قدر للإسلام عندك فإن قدر الإسلام في قلبك كقدر الصلاة في قلبك.

وليس حظ القلب العامر بمحبة الله وخشيته والرغبة فيه وإجلاله وتعظيمه من الصلاة كحظ القلب الخالي الخراب من ذلك فينبغي للعبد

---

(١) رواه الترمذي برقم ٣٤٠١ والحاكم وصححه.

إذا وقف بين يدي الله في الصلاة أن يقف بقلب مخبت خاشع له قريب منه سليم من معارضات السوء قد امتلأت أرجاؤه بالهيبة وسطع فيه نور الإيمان وكشف عنه حجاب النفس ودخان الشهوات فيرتع في رياض معاني القرآن ويخالط قلبه بشاشة الإيمان بحقائق الأسماء والصفات وعلوها وجمالها وكمالها الأعظم وتفرد الرب سبحانه بنعوت جلاله وصفات كماله فاجتمع همه على الله وقرت عينه به وأحسن بقربه من الله قرباً لا نظير له ففرغ قلبه له واقبل عليه بكليته وهذا الإقبال منه بين إقبالين من ربه فإنه سبحانه قد اقبل عليه أولا فانجذب قلبه إليه بإقباله فلما اقبل على ربه حظي منه بإقبال آخر أتم من الأول.

* * *

السبب التاسع

تدبـــــر القـــــرآن

إن للتفكر في الآيات التي تقرؤها أثراً كبيراً في خشوع القلب والجوارح فتدبر القرآن يزيل الغشاوة ويفتح النوافذ ويسكب النور ويحرك المشاعر ويستجيش القلوب وينشئ حياة للروح تنبض بها وتشرق وتستنير. وكثيراً ما نجد أن بعض الآيات القرآنية ختمت بقوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾.

فالقرآن الكريم يدعونا إلى التفكر في آيات الله قال سبحانه: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (١).

وقال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (٢). أما الذين أغلقت قلوبهم وتحجرت عن قبول الحق فقال الله عنهم: ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ فإن استغلاق قلوبهم كاستغلاق الأقفال التي لا تسمح للهواء ولا للنور، فهي تحول بينها وبين الانتفاع بهدى القرآن.

إن للتفكر في الآيات المقروءة أثراً عظيماً في رقة القلب وخشيته وإقباله على الله سبحانه وإن الناظر في أحوال كثيراً من الناس يجد من

---

(١) سورة ص آية ٢٩.

(٢) سورة محمد آية ٢٤.

قسوة القلب وقحط العين ما لا يعلمه إلا الله تتلى عليهم الآيات التي لو خوطب بها جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً متذللاً من خشية الله ولا تحرك فيهم شيئاً. وهذه من أعظم المصائب التي يصاب بها العبد من حيث لا يشعر. فإن التلذذ بآيات الله نعمة لا يعرفها إلا من ذاقها إنها نعمة ترفع العمر وتزكيه وتباركه. إن العيش مع آيات الله يجعل المسلم ينتقل من عالم المحسوسات إلى عالم آخر هو عالم الغيب ويجعل المسلم يعرف أن الموت ليس نهاية المرحلة وإنما هو مرحلة في الطريق ويجعل المسلم يوقن أن ما يناله في هذه الحياة ليس نصيبه كله بل هو جزء من ذلك النصيب، ويعرف أن هذه الحياة مزرعة ودار حرث وأن ما زرعه سوف يحصده فلا ظلم ولا بخس ولا ضياع، وأن هذه الحياة إنما هي دار ممر لا دار مقر وأن كل ما فيها من لذات إنما هو لعب ولهو وغرور وأن الحياة الحقيقية هي في الآخرة فهذا يجعل المسلم لا يأسى على مافاته من الدنيا ولا يفرح بما أوتي منها.

إن العيش مع القرآن يجعل المسلم يعرف أنه أكرم بكثير من كل تقدير عرفته البشرية إنه إنسان بنفخة من روح الله قال سبحانه: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾(١). وإنه مستخلف في الأرض قال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾(٢). ومسخر له كل ما في الأرض والسماء قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ

(١) سورة الحجر آية ٢٩.
(٢) سورة البقرة آية ٣٠.

﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[١].

إن تدبر آيات الله يجعل المسلم هادئ النفس مطمئن القلب قرير العين يؤمن بأن الله هو الرزاق فلا يرجو غيره ويؤمن بأن الله هو القوي فلا يخاف غيره[٢].

تأثر النبي ﷺ بالقرآن:

وقد كان ﷺ يتأثر بالقرآن أشد تأثير إذا قرأه أو قرئ عليه. عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: **«إقرأ علي القرآن. فقلت أقرأ عليك وعليك أنزل فقال إني أحب أن أسمعه من غيري. قال فقرأت عليه من سورة النساء حتى إذا بلغت قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ قال حسبك قال ابن مسعود: فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان»**[٣].

ولما كسفت الشمس في عهده ﷺ صلى بهم فجعل يبكي وينفخ ويقول: **«رب ألم تعدني إلا تعذبهم وأنا فيهم ألم تعدني إلا تعذبهم وهم يستغفرون ونحن نستغفرك»**.

وعن عبدالله بن الشخير رضي الله عنه قال: **«أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء»**[٤]. أي غليان كغليان القدر.

---

(١) سورة الجاثية آية ١٣.

(٢) في ظلال القرآن لسيد قطب. بتصرف.

(٣) متفق عليه.

(٤) أخرجه أبو داوود في سننه في كتاب الصلاة باب البكاء في الصلاة ١/ ٣٠٠ برقم ٩٠٤.

وفي تفسير ابن أبي حاتم أنه ﷺ مر في سكة من سكك المدينة فسمع عجوز تقرأ وهي تردد من وراء الباب قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾ وتكررها وتقف عندها وترددها والخطاب هو للنبي ﷺ فوضع رأسه يبكي ويقول: «**نعم أتاني، نعم أتاني**»[١].

تأثر السلف بالقرآن:

وكذا كان أبوبكر الصديق وعمر رضي الله عنهما.

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: «لما اشتد برسول الله ﷺ وجعه قيل له في الصلاة قال: «**مروا أبا بكر فليصل بالناس**» فقالت عائشة رضي الله عنها: إن أبا بكر رجل رقيق إذا قرأ القرآن غلب عليه البكاء فقال ﷺ: «**مروه فليصل بالناس**»[٢]. وفي رواية أنها قالت رضي الله عنها: إن أبا بكر إذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء. والشاهد من ذلك أنه كان يتأثر بالقرآن حتى بلغ تأثره أنه لا يملك نفسه من البكاء عند القراءة.

وفي ترجمة عمر رضي الله عنه أنه كان في وجهه خطان من البكاء. وروي عنه أنه سمع آية من كتاب الله فغشي عليه وعاده الناس شهراً.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾[٣] بكى أهل الصفة حتى جرت دموعهم على خدودهم فلما سمع رسول الله ﷺ حسهم بكى معهم فبكينا ببكائه فقال

---

(١) أنظر تفسير ابن كثير ٤/ ٦٤٨. حيث عزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٢) رواه البخاري برقم ٨٣٠٣ ورواه مسلم.

(٣) سورة النجم (٥٩ ـ ٦٠).

ﷺ: «لا يلج النار من بكى من خشية الله»(١).

وقرأ ابن عمر رضي الله عنهما سورة المطففين حتى بلغ قوله تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(٢). فبكى حتى خر وامتنع عن قراءة ما بعدها.

وعن مزاحم بن زفر قال: صلى بنا سفيان الثوري المغرب فقرأ حتى بلغ قوله سبحانه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾(٣). فبكى حتى انقطعت قراءته ثم عاد فقرأ الحمد.

وعن إبراهيم بن الأشعث قال: سمعت فضيلاً يقول ذات ليلة وهو يقرأ سورة محمد وهو يبكي ويردد هذه الآية ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾(٤). وجعل يقول: ونبلوا أخباركم ويردد وتبلوا أخبارنا ؟ إن بلوت أخبارنا فضحتنا وهتكت أستارنا إنك إن بلوت أخبارنا أهلكتنا وعذبتنا ويبكي.

فعلى المصلي أن يحرص كل الحرص على أن يتدبر ما يقرؤه في صلاته وما يتلوه، ويتفكر في كل ما يقوله في صلاته من قراءة وتكبير وتسبيح وتحميد وتهليل فإنها تحمل الكثير من المعاني إذا تفكر فيها العبد. فكلما كبر استشعر في قلبه أن الله سبحانه أكبر من كل شيء فلا ينشغل بغيره وكلما سبح علم أن الله سبحانه منزه عن كل النقائص

---

(١) رواه الترمذي وأخرجه البيهقي في الشعب.

(٢) سورة المطففين آية ٦.

(٣) سورة الفاتحة آية ٤.

(٤) سورة محمد آية ٣١.

والعيوب وكلما قرأ القرآن تدبره وفهم ما يراد منه وعلم أنه خطاب رباني موجه إليه.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: إذا سمعت يا أيها الذين آمنوا فأرع لها سمعك فإنه أمر تؤمر أو نهي تنهى عنه.

ويستحب أيضاً أنه كلما مر بآية تسبيح سبح وكلما مر بآية عذاب تعوذ وكلما مر بآية رحمة سأل الله من فضله، لما روى مسلم عن حذيفة رضي الله عنه قال: «**صليت مع رسول الله ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت يركع عند المائة. .. ثم إلى أن قال: فإذا مر بسؤال سأل وإذا مر بتعوذ تعوذ**»(١).

قال الإمام أحمد: إذا قرأ ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ في الصلاة وغيرها قال سبحانك فبلى.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: ويقول في الصلاة كل ذكر ودعاء وجد سببه في الصلاة. وما فيه من دعاء يحصل للتالي والمستمع. لما روى الحاكم وغيره عن أبي ذر مرفوعاً: «**إن الله ختم سورة البقرة بآيتين هما صلاة وقرآن ودعاء**»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله عز وجل: «**قسمت الفاتحة بيني وبين عبدي. فإذا قال عبدي: الحمد لله رب العالمين. قال: حمدني عبدي. فإذا قال: الرحمن الرحيم. قال: مجدني عبدي أو أثنى علي عبدي. فإذا قال: مالك يوم الدين. قال: فوض إلي عبدي. فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين. قال: هذا بيني وبين عبدي**

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك.

ولعبدي ما سأل». وفي رواية: «فيسأله عبده إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين فيقول هذا لعبدي ولعبدي ما سأل»(١).

تفسير ابن القيم لسورة الفاتحة:

قال ابن القيم: إذا قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وقف هنيهة يسيرة ينتظر جواب ربه له بقوله حمدني عبدي فإذا قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ انتظر الجواب بقوله مجدني عبدي فإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ انتظر جوابه فوض إلي عبدي فيا لذة قلبه وقرة عينه وسرور نفسه بقول ربه عبدي ثلاث مرات فوالله لولا ما على القلوب من دخان الشهوات وغيم النفوس لاستطيرت فرحاً وسروراً بقول ربها وفاطرها ومعبودها: حمدني عبدني ومجدني عبدي. ثم يكون لقلبه مجال من شهود هذه الأسماء الثلاثة التي هي أصول الأسماء الحسنى وهي الله والرب والرحمن فشاهد قلبه من ذكر اسم الله تبارك وتعالى إلهاً معبوداً موجوداً لا يستحق العبادة غيره ولا تنبغي إلا له قد عنت له الوجوه وخضعت له الموجودات وخشعت له الأصوات ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾(٢). ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾(٣). فكل مافي السموات والأرض

---

(١) رواه مسلم وأبو داوود وأبن ماجه وهو في صحيح سنن أبي داوود للألباني برقم ٧٣٤.

(٢) سورة الإسراء آية ٤٤.

(٣) سورة الروم آية ٢٦.

وما بينهما قانتون مخبتون له سبحانه.

وقوله سبحانه: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي فهو قيوم قام بنفسه وقام به كل شيء فهو قائم على كل نفس بخيرها وشرها قد استوى على عرشه وتفرد بتدبير ملكه فالتدبير كله بيديه ومصير الأمور كلها إليه فمراسيم التدبيرات نازلة من عنده على أيدي ملائكته بالعطاء والمنع والخفض والرفع والإحياء والإماتة والتوبة والعزل والقبض والبسط وكشف الكروب وإغاثة الملهوفين وإجابة المضطرين. ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾[1] لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع ولا معقب لحكمه ولا راد لأمره ولا مبدل لكلماته تعرج الملائكة والروح إليه وتعرض الأعمال أول النهار وآخره عليه فيقدر المقادير ويوقت المواقيت ثم يسوق المقادير إلى مواقيتها قائما بتدبير ذلك كله وحفظه ومصالحه.

ثم يشهد العبد عند ذكر اسم ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ جل جلاله رباً محسنا إلى خلقه بأنواع الإحسان متحبباً إليهم بصنوف النعم وسع كل شيء رحمة وعلما وأوسع كل مخلوق نعمة وفضلاً فوسعت رحمته كل شيء ووسعت نعمته كل حي فبلغت رحمته علمه فاستوى على عرشه برحمته وخلق خلقه برحمته وأنزل كتبه برحمته وأرسل رسله برحمته وشرع شرائعه برحمته وخلق الجنة برحمته والنار أيضاً برحمته فإنها سوطه الذي يسوق به عباده المؤمنين إلى جنته ويطهر بها أدران الموحدين من

---

(١) سورة الرحمن آية ٢٩.

أهل معصيته وهي سجنه الذي يسجن فيه أعداءه من خليقته. فتأمل ما في أمره ونهيه ووصاياه ومواعظه من الرحمة البالغة والنعمة السابغة فالرحمة هي السبب المتصل منه بعباده كما أن العبودية هي السبب المتصل منهم به ومن اخص مشاهد هذا الاسم شهود المصلي نصيبه من الرحمة. حيث أقامه سبحانه بين يديه وأهله لعبوديته ومناجاته وأعطاه ومنع غيره واقبل بقلبه واعرض بقلب غيره وذلك من رحمته به.

فإذا قال: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ فهنا يشهد المجد الذي لا يليق بسوى الملك الحق المبين فيشهد ملكا قاهرا قد دانت له الخليقة وعنت له الوجوه وذلت لعظمته الجبابرة وخضع لعزته كل عزيز فيشهد بقلبه ملكاً على عرش السماء مهيمنا لعزته تعنو له الوجوه وتسجد. ومن لم يعطل حقيقة صفة الملك أطلعه ذلك على شهود حقائق الأسماء والصفات التي تعطيلها تعطيل لملكه وجحد له فإن له الملك الحق التام. فالملك لا يكون إلا حياً قيوماً سميعاً بصيراً مدبراً قادراً متكلماً آمراً ناهياً مستوياً على عرش مملكته يرسل إلى أقاصي مملكته بأوامره فيرضى على من يستحق الرضا ويثيبه ويكرمه ويدنيه ويغضب على من يستحق الغضب ويعاقبه ويهينه ويقصيه فيعذب من يشاء ويرحم من يشاء ويعطى من يشاء ويقرب من يشاء ويقضى ما يشاء. له دار عذاب وهي النار وله دار سعادة عظيمة وهي الجنة فيشهد المصلي مجد الرب تعالى في قوله ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾. فمن أبطل شيئا من ذلك أو جحده وأنكر حقيقته فقد قدح في ملكه سبحانه وتعالى ونفى عنه كماله وتمامه وكذلك من أنكر عموم قضائه وقدره فقد أنكر عموم ملكه وكماله.

فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ففيها سر الخلق والأمر والدنيا والآخرة وهي متضمنة لأجل الغايات وأفضل الوسائل. فأجل الوسائل وأجل الغايات عبوديته وأفضل الوسائل إعانته فلا معبود يستحق العبادة إلا هو ولا معين على عبادته غيره. فعبادته أعلى الغايات وإعانته اجل الوسائل وقد انزل الله سبحانه وتعالى مئة كتاب وأربعة كتب جمع معانيها في أربعة وهي التوراة والإنجيل والقرآن والزبور وجمع معانيها في القرآن وجمع معانيه في المفصل وجمع معانيه في الفاتحة وجمع معانيها في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وقد اشتملت هذه الكلمة على نوعي التوحيد وهما توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتضمنت التعبد باسم الرب واسم الله فهو يعبد بألوهيته ويستعان بربوبيته ويهدي إلى الصراط المستقيم برحمته فكانت الفاتحة أول السور وأول الصلاة. ذكر فيها من أسمائه الحسنى: الله، والرب، والرحمن، لأجل التأكيد والتحقق من عبادته وإعانته وهدايته فهو المتفرد بإعطاء ذلك كله لا يعين على عبادته سواه ولا يهدي إليها غيره.

ثم يشهد الداعي بقوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ شدة فاقته وضرورته إلى هذه المسألة التي ليس هو إلى شيءٍ أشد فاقة وحاجة منه إليها البتة فإنه محتاج إليه في كل نفس وطرفة عين وهذا المطلوب من هذا الدعاء وهو الهداية إلى الإسلام الموصل إليه سبحانه. وهي هداية على الوجه المرضي المحبوب للرب سبحانه وتعالى وتثبيته عليها.

ولما كان العبد مفتقراً في كل حال إلى هذه الهداية في جميع ما

يأتيه ويذره من أمور قد أتاها على غير الهداية فهو يحتاج إلى التوبة منها، وأمور هدي إلى أصلها دون تفصيلها أو هدي إليها من وجه دون وجه فهو يحتاج إلى إتمام الهداية فيها ليزداد هدى، وأمور هو يحتاج إلى أن يحصل له من الهداية فيها بالمستقبل مثل ما حصل له في الماضي، وأمور هو خال عن اعتقاد فيها فهو يحتاج إلى الهداية فيها، وأمور لم يفعلها فهو يحتاج إلى فعلها على وجه الهداية، وأمور قد هدي إلى الاعتقاد الحق والعمل الصواب فيها فهو محتاج إلى الثبات عليها إلى غير ذلك من أنواع الهدايات فقد فرض الله سبحانه عليه أن يسأله هذه الهداية في أفضل أحواله مرات متعددة في اليوم والليلة.

ثم بين أن أهل هذه الهداية هم المختصون بنعمته دون المغضوب عليهم وهم الذين عرفوا الحق ولم يتبعوه ودون الضالين وهم الذين عبدوا الله بغير علم فالطائفتان اشتركتا في القول في خلقه وأمره وأسمائه وصفاته بغير علم فسبيل المنعم عليهم مغايرة لسبيل أهل الباطل كلها علماً وعملاً.

فلما فرغ من هذا الثناء والدعاء والتوحيد شرع له أن يطبع على ذلك بطابع من التأمين يكون كالخاتم له وافق فيه ملائكة السماء وهذا التأمين من زينة الصلاة كرفع اليدين الذي هو زينة الصلاة واتباعٌ للسنة وتعظيم لأمر الله[1].

ثم يأخذ في مناجاة ربه واستماعه إلى الإمام بالإنصات وحضور القلب.

---

(١) نقلا عن ابن القيم في كتابه الصلاة بتصرف.

وأفضل أذكار الصلاة ذكر القيام فخصت بالحمد والثناء والمجد وتلاوة كلام الرب جل جلاله ولهذا نهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود لأنهما حالتا ذل وخضوع وانخفاض وشرع فيهما من الذكر ما يناسب هيئتهما فشرع للراكع أن يذكر عظمة ربه في حال انخفاضه وخضوعه وأنه سبحانه المنزه عن كل نقص الذي يوصف بوصف عظمته وكبريائه وجلاله. فإذا تيقن المصلي هذه المعاني واستشعرها دخل قلبه من التعظيم والمهابة لله ما يجعله حرياً به أن يخشع في صلاته.

ما ورد في تزيين الصوت بالقرآن:

ومما يعين على الخشوع أيضاً ترتيل القرآن وعدم الإسراع في قراءته؛ لقول الله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾[١]. ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾[٢]. والتزام الخشوع والبكاء أو التباكي عند قراءته كما أمر الرسول ﷺ فقال: «**ابْكُوا فإن لم تبكوا فتباكوا**»[٣].فالبكاء أثناء التلاوة وبخاصة عند قراءة آيات العذاب أو المرور بمشاهده أو أهوال يوم القيامة يزيد في الخشوع وذلك عندما يستحضر المصلي أو القارئ مشاهد القيامة وأحداث الآخرة ومظاهر الهول فيها ثم يلاحظ تقصيره وتفريطه، فإذا لم يستطع البكاء فليحاول التباكي، والتباكي هو استجلاب البكاء فإن عجز عن البكاء والتباكي فليحاول أن يبكي على نفسه هو وعلى قلبه وروحه لكونه محروماً من هذه النعم الربانية مريضا بقسوة القلب وجمود العين.

---

(١) سورة المزمل آية ٤.

(٢) سورة القيامة آية ١٦.

(٣) رواه ابن ماجه.

ومما يعين على الخشوع أيضاً تحسين الصوت وتزيينه بالقرآن لقول النبي ﷺ: «**زينوا القرآن بأصواتكم**»(١). وفي رواية: «**زينوا القرآن بأصواتكم فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً**»(٢). وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ما أذن الله لشيء** (أي ما استمع لشيءٍ) **كما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به**»(٣). وعن جبيرِ بن مُطْعِمٍ رضي الله عنه قال: سمعت النبيَّ ﷺ يقرأُ في المَغرب بالطور فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءة منه ﷺ(٤).

وإذا كان المأموم يصلي وراء إمام حسن الصوت بالقرآن فهذا يزيد الخشوع والتفكر في الآيات التي تقرأ. وقد كان النبي ﷺ يحب سماع القرآن مرتلاً بصوت حسن يدل على ذلك حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كنت ليلة من الليالي أقرأ القرآن في مسجده ﷺ فلما أصبحت سلم علي ﷺ وقال: «**لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة، لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داوود**». فقال أبوموسى: لو علمت أنك تستمع لقراءتي لحبرته لك تحبيراً(٥).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لأن أقرأ سورة أرتلها أحب إلي من أن أقرأ القرآن كله بغير تدبر.

---

(١) رواه النسائي الدرامي وصححه الألباني.

(٢) رواه أحمد وأبو داوود وابن ماجه وصححه الألباني ٣٥٨٠.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه البخاري ومسلم.

(٥) صحيح أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في المسند المستخرج على صحيح مسلم ١٨٠٣ والبيهقي في السنن الكبرى ٤٤٨٤، ٢٠٨٤٣.

وعن مجاهد أنه سئل عن رجلين قرأ أحدهما البقرة وآل عمران والآخر البقرة وحدها وزمنهما وركوعهما وسجودهما وجلوسهما واحد سواء فقال: الذي قرأ البقرة وحدها أفضل في ترديد الآية للتدبر والتأثر بها.

وقد ثبت عن أبي ذر رضي الله عنه قال: «قام النبي ﷺ بآية يرددها حتى أصبح» والآية: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(١)(٢).

فقد يكون للآية الواحدة تأثير في القلب إذا قرئت بتدبر أكثر من آيات كثيرة تقرأ بغير حضور قلب ولا تدبر. وقد ثبت عن كثير من الصحابة والسلف أيضاً ترديد آيات معينة وتكرارها لتدبرها والتأثر بها..

وعلى المستمع للقرآن أن يتأدب بآداب القرآن حين سماعه ومن ذلك حسن السماع وحسن الإنصات والتدبر وحسن التلقي وأن لا يفتح أذنيه فقط بل كل مشاعره وأحاسيسه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(٣).

فضائل القرآن:

وفي قراءة القرآن فضل عظيم وثواب مضاعف قالَ الله تَعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً

(١) سورة المائدة آية ٧٨.
(٢) رواه النسائي وابن ماجه.
(٣) سورة الأعراف آية ٢٠٤.

يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[١]. وقد جاءت النصوص الكثيرة في فضلها إما في جميع القرآن وإما في سورٍ أو آيات معينة منه، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»[٢]. وعن عائشة رضي الله عنها أنَّ النبي ﷺ قال: «**الماهرُ بالقرآن مع السفرة الكرامِ البررة، والذي يقرأ القرآنَ ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران**»[٣]. والأجران أحدهما: على التلاوة، والثاني: على مشقتها على القارئ. وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النَبي ﷺ قالَ: «**مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأُتْرُجةِ ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو**»[٤].

قال أحد الصحابة رضوان الله عليهم: كنت مع عمر رضي الله عنه لما ذهب يعتمر فلقي مولاه على مكة، فقال: لمن تركت الإمارة ؟. قال تركتها لأبن أبزى. قال: ومن أبن أبزى؟. قال: مولى لنا يا أمير المؤمنين. قال عمر: ثكلتك أمك ومولى أيضاً. قال: يا أمير المؤمنين أنه قارئ لكتاب الله وعالم بالفرائض. قال عمر رضي الله عنه: إن كان ذاك فنعم سمعت نبيكم ﷺ يقول: «**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به**

---

(١) فاطر ٢٩، ٣٠.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه البخاري ومسلم.

آخرين»[١].

وقال ﷺ: «**إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب**»[٢]. أي كالبيت الذي عششت فيه الطيور والغربان وعششت فيه الحيات والزواحف فهو لا يضيء ولا يزهر ولا يسعد ولا يفرح.

وعن أبي أمامة رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: «**اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه اقرءوا البقرة وآل عمران اقرءوا الزهراوين فإنهما يأتيان يوم القيامة كغمامتين أو غيايتين أو كفرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما اقرؤوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة لا يستطيعها البطلة**»[٣]. يعني السحرة. فيا من أراد أن يستظل بذلك الظل في يوم الحر الشديد وفي يوم الكرب فعليك بالقرآن قراءة تعلماً وتعليماً وعملاً.

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: «**أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيتعلم أو فيقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربع ومن أعدادهن من الإبل**»[٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ما اجتمع قوم في**

---

(١) أخرجه مسلم ٧١٨.

(٢) صحيح أخرجه أحمد ١٩٤٨. والترمذي ٢٩١٣ والدارمي ٣٣٠٦ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) رواه مسلم برقم ٨٠٤.

(٤) رواه مسلم.

بيتٍ مِن بيوت الله يتلون كتاب الله ويَتدارسونه بينهم إلاَّ نزلت عليهم السكِينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده»[١].

وقال ﷺ: «تعاهدوا القرآن فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفلتاً من الإبل في عُقُلِها»[٢]. فمن حكمة الله سبحانه أنه لايبقى إلا مع من يبقى معه.

وقال ﷺ: «لا يقُلْ أحْدُكم نَسيَتُ آية كَيْتَ وكيْتَ بل هو نُسِّيَ»[٣]. وذلك أن قوله نَسيتُ قد يشعر بعدم المبالاة بما حفظ من القُرْآن حتى نسيه.

وعن عبدالله بن مسعودٍ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميمٌ حرف»[٤].

وعنه رضي الله عنه أيضاً أنه قال: «إن هذا القرآن مأدبة الله فاقبلوا مأدبته ما استطعتم، إن هذا القرآن حبل الله المتين والنور المبين، والشفاء النافع، عصمة لمِن تمسك بِهِ ونجاة لمِن اتبعه، لا يزيغ فيستعتب، ولا يعوج فيقوَّم، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق من كثرةِ الترداد، اتلُوه فإنَّ الله يأجركم على تلاوتِهِ كلَّ حرفٍ عشْر حسناتٍ. أمَا إني لا أقولُ الم حرفٌ ولكِنْ أَلِفٌ حرفٌ ولاَمٌ حرفٌ وميم حرفٌ»[٥]. فأعظم به من أجر وأعظم بها من مثوبة.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه الترمذي برقم ٢٩١٠.

(٥) رواه الحاكم.

فضائل بعض السور:

وقد وردت السنة بفضائل سور معينة مخصصة فمن تلك السور سورة الفاتحة. فعن أبي سعيد بن المُعلَّى رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له: «**لأعُلِّمنَّك أعْظَم سورةٍ في القرآن ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ هي السَّبعُ المَثَاني والقرآنُ العظيمُ الذي أوتيْتُه**»(١). ومن أجل فضيلتِها كانت قراءتها ركْناً في الصلاة لا تصح الصلاة إلاَّ بها، قال النبي ﷺ: «**لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**»(٢). وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صلى صلاةً لم يقرأ فيها بفاتحةِ الكتاب فهي خِدَاجٌ يقولها ثلاثاً**». فقيل لأبي هريرة إنا نكون وراءَ الإِمام فقال اقرأ بِها في نفسك(٣).

ومن السور المعينة سورة البقرة وآل عمران وقد سبق ذكر حديث أبي أمامة في فضلهما وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**إنَّ البيتَ الَّذِي تُقرأُ فيه سورة البقرةِ لا يَدْخله الشَّيطانُ**»(٤). وفيها آية الكرسي. وقد صح عن رسولِ الله ﷺ أن من قرأها في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن جبريل قال وهو عند النبي ﷺ: هذا باب قد فتح من السماء ما فتح قط، قال: فنزل منه ملك فأتى النبي ﷺ

---

(١) رواه البخاري.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه مسلم.

فقال: «**أبْشر بنورين قد أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منهما إلا أوتيتَه**»(١).

ومن السور المعينة في الفضيلة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ (٢). فعن أبي سعيدٍ الخدري أن النبي ﷺ قال فيها: «**والذي نفسي بيده إنَّها تعدل ثُلُث القرآن**»(٣). وليس معنى كونها تعدله في الفضيلة أنَها تجزأ عنه. لذلك لو قرأها في الصلاة ثلاث مرات لم تجزئه عن الفاتحة. ولا يلزم من كون الشيء معادلاً لغيره في الفضيلة أن يجزأ عنه، فعن أبي أيُوب الأنصارِي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل**»(٤). ومع ذلك فلو كان عليه أربع رقاب كفارة فقال هذا الذكر لم يجزئه عن هذه الرقاب وإن كان يعادلها في الفضيلة.

ومن السور المعينة في الفضيلة سورتا المعوذتَين: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ فعن عُقْبَةَ بن عامرٍ رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «**ألم تر آيات أُنزلت الليلة لم ير مثلهن ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾**»(٥). وللنسائي أن النبي ﷺ أمر عقبة أن يقرأ بهما ثم قال النبي ﷺ: «**ما سأَل سائل بمثلهما ولا استعاذ مستعيذ بمثلهما**».

---

(١) رواه مسلم.
(٢) سورة الإخلاص ١.
(٣) رواه البخاري.
(٤) رواه البخاري ومسلم.
(٥) رواه مسلم.

فالقرآن رفعة لأصحابه في الدنيا قال ﷺ: «**يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله**»[١]. ولما قتل من أصحاب النبي ﷺ سبعين في غزوة أحد كانوا يدفنون الأثنين والثلاثة في القبر الواحد فقال ﷺ: «**أوسعوا الحد وقدموا فيه أكثرهم قرآناً**». فهو مقدم في الدنيا ومقدم في القبر. ومن سادات المسلمين الذين تعلموا القرآن وعملوا به وعاشوا معه أبي بن كعب الأنصاري رضي الله عنه.

دخل أعرابي من أهل العراق والصحابة مجتمعون في المسجد النبوي الشريف على صاحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم فإذا عمر بن الخطاب وهو أمير المؤمنين يتكلم بينهم كلما تكلم إلتفت إلى رجل منهم. فقال العراقي: من هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال: ثكلتك أمك أما عرفت هذا ؟ هذا سيد المسلمين أبي بن كعب.

لما أنزل الله سبحانه سورة البينة قال جبريل عليه السلام للنبي ﷺ أن الله يأمرك أن تقرأها على أبي بن كعب. يا للفضل ويا للشرف. فيأتي ﷺ بتواضعه وحسن خلقه إلى أبي فيطرق عليه بابه. فيخرج إليه أبي فيقول: بأبي أنت وأمي، يارسول الله شرفتني بزيارتك، والله ما من أهل الأرض أحد يشرف بزيارة أحد مثلي اليوم. فلما بسط له البساط وجلس ﷺ قال: ياأبي. قال: لبيك يا رسول الله. قال: إن الله أمرني أن أقرأ عليك سورة البينة. فقال أبي مندهشاً: أسماني ربي في الملأ الأعلى؟. قال ﷺ: أي والله لقد سماك في الملأ الأعلى. فبكى رضي الله عنه. واندفع ﷺ يقرأ

---

(١) رواه البخاري.

عليه[١]. قال أهل العلم: بكى فرحاً بأن سماه في الملأ الأعلى وقال بعضهم بل بكى إحتقاراً لنفسه كيف أن الله سماه وهو العبد الفقير المحتاج إلى ربه سبحانه ويشرفه بهذا الشرف العظيم.

وصلى النبي ﷺ بالناس فتجاوز آية من سورة نسيها، فلما سلم قال الصحابة: يا رسول الله نسيت آية، أنسخت أم نسيتها؟ فقال ﷺ: «**أفي القوم أبي بن كعب؟**» ولم يسأل إلا عنه. فقالوا: نعم. قال: «**يا أبا المنذر أنسيت آية ؟**». قال: أي نعم. فقال: «**فما الذي منعك؟**»[٢]. أي ما منعك أن تفتح علي.

ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم لا يشغلهم شاغل عن كتاب الله جل وعلا. كان عثمان وهو خليفة المسلمين رضي الله عنه يجلس من مصلاه الفجر فيفتح مصحفه حتى وقت الضحى. فيقول له الصحابة: لو رفقت بنفسك يا أمير المؤمنين. فيقول:والله لو طهرت قلوبنا ما شبعنا من القرآن. وقد ثبت في ترجمته أنه ختم القرآن كله في ركعة رضي الله عنه وأضاه. هذا وهو خليفة ومسئول عن الأمة وأمور الأمة تدار تحت يديه.

دعني ومدحي آيـات له لمعـت ... كلمع برق الثرى يوماً على علم
أتى على سفر التوراة فانسلخت ... ولم يفـدها زمـان السبق والقدم
ولم تقـم منـه للإنجـيل قائمـة ... كأنه الطيف زار الجفن في الحلم

القرآن من قرأه أجر، ومن عمل به أجر، ومن تدبره أجر، القرآن يذهب الوساوس والخطرات والهواجس، القرآن يشفيك من كل داء

---

(١) أخرجه البخاري ٣٨٠٩، ٤٩٥٩ ومسلم ٧٩٩ عن أنس رضي الله عنه.
(٢) أخرجه أحمد ٢٠٦٣٧، ٢٠٧٧٤. عن أبي بن كعب.

ظاهراً أو باطناً ويقودك إلى الجنة ويعلمك الإيمان.

ولما سئلت أم سلمة رضي الله عنها عن قراءة رسول الله ﷺ فقالت: كان يقطع قراءة آية آية ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٣ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[1].

قال ابن مسعود رضي الله عنه: لا تنثروه نثر الرمل ولا تهذُّوه هذ الشعر، قِفوا عند عجائِبِه وحرِكوا بهِ القلوب ولا يكن هم أحدكم آخر السورة.

وهذه سنة تركها قراء هذا الزمان فتسمعهم عند قراءتهم للقرآن في الصلاة أو في غيرها يقرءون الآيتين والثلاث وربما أكثر بنفس واحد ولا يقفون عند رؤوس الآيات.

فإذا تدبر العبد ما يقرؤه في صلاته من آيات وعلم أنها أوامر إلهية وخطابات ربانية هو مأمور بها وكانت قرآءته بترتيل وفهم للمعاني فهو أقرب إلى أن تكون صلاته خاشعة مقبولة بإذن الله تعالى.

* * *

(١) رواه أبو داوود والنسائي.

السبب العاشر

ترك العجلة والسرقة من الصلاة

إن العجلة في الصلاة تشغل القلب وتلهيه وتقطعه عن ما هو فيه من مناجاة لربه عند ذلك تفقد الطمأنينة التي هي ركن من أركان الصلاة. وإذا انشغل القلب نقص من الأجر بقدر انشغاله فليس للمرء من صلاته إلا ما عقل منها كما ثبت عنه ﷺ. والمراد بالعجلة في الصلاة هي أن ينتقص المصلي من أركانها وواجباتها. قال ﷺ: **«أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته. قالوا يا رسول الله: وكيف يسرق من صلاته. قال: لا يتم ركوعها ولا سجودها. أو قال: لا يقيم صلبه في الركوع ولا في السجود»**(١).

قال أبو حميد الساعدي وعشرة من الصحابة يسمعون كلامه: «كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة اعتدل قائماً ورفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه، فإذا أراد أن يركع رفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه ثم يقول: الله أكبر، فيركع ثم يعتدل فلا يصوب رأسه ولايقنعه ويضع يديه على ركبتيه، ثم يرفع ويقول: سمع الله لمن حمده، ثم يعتدل حتى يرجع كل عضو في موضعه، ثم يهوي ساجداً ويقول: الله أكبر، ثم يجافى ويفتح عضديه عن بطنه، ثم يثني رجله اليسرى ويقعد عليها ويقول: الله أكبر ويعتدل حتى يرجع كل عظم موضعه، ثم يهوي ساجدا ويقول: الله أكبر ثم يكبر فيثنى

---

(١) أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي وصححه الألباني برقم ٣٩.

رجله ويقعد عليها حتى يرجع كل عضو إلى موضعه، ثم ينهض فيصنع في الركعة الثانية مثل ذلك، حتى إذا قام من السجدتين كبر ورفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه كما صنع حين افتتح»[١]. فهذه كانت صلاته في طمأنينة وخشوع وخضوع لله سبحانه.

وقال أيضاً للرجل المسيء في صلاته ارجع فصل فإنك لم تصل. فكأنه ما صلى لأنه ترك الطمأنينة في صلاته. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا دخل المسجد فصلى ورسول الله ﷺ في ناحية من المسجد فجاء فسلم فقال: وعليك السلام، ارجع فصل فإنك لم تصل. فرجع فصلى ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فقال: وعليك السلام، ارجع فصل فإنك لم تصل. وبعد ما قال له ذلك في الثالثة قال والله لا أحسن إلا هذا فعلمني يا رسول الله، فقال: **«إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء ثم استقبل القبلة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعاً، ثم ارفع حتى تطمئن قائماً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع رأسك حتى تستوي قاعداً، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها»**[٢]. وفى رواية: **«ثم اركع حتى تطمئن راكعاً، ثم ارفع حتى تستوي قائماً»** وباقيه مثله. وفى رواية: **«وإذا فعلت هذا، فقد تمت صلاتك. وما انتقصت من هذا فإنما انتقصته من صلاتك»**.

وهذا هو سر قول رسول الله ﷺ: كم من قائم حظه من صلاته التعب

---

(١) رواه البخاري برقم (٨٢٧، ٨٢٨)، وأبوداوود (٧٣٣)، والترمذي (٣٠٤).

(٢) متفق على صحته البخاري برقم ٦٢٥١ ومسلم برقم ٣٩٧ وأبو داوود ٨٠٢ وهو في الارواء ٢٨٩.

والنصب. وقال أيضاً صلوات الله وسلامه عليه: «ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل».

فدل ذلك على أن العجلة في الصلاة وترك الطمأنينة قد تكون سبباً في عدم قبول الصلاة. ودل الحديث أيضاً على أن الطمأنينة لا تسقط في أي حال من الأحوال ولو سقطت لسقطت عن هذا الأعرابي الجاهل لذلك فقد وجهه النبي ﷺ وعلمه أحسن تعليم.

وعن رفاعة بن رافع رضي الله عنه: أن رجلاً دخل المسجد... فذكر الحديث وقال فيه: فقال النبي ﷺ: «إنه لا تتم صلاة لأحد من الناس حتى يتوضأ، فيضع الوضوء مواضعه، ثم يكبر ويحمد الله عز وجل ويثنى عليه، ويقرأ بما شاء من القرآن ثم يقول: الله أكبر، ثم يركع حتى يطمئن راكعاً، ثم يقول: الله أكبر، ثم يرفع رأسه حتى يستوي قائما، ثم يسجد حتى يطمئن ساجداً، ثم يقول: الله أكبر، ثم يرفع رأسه حتى يستوي قاعداً ثم يقول: الله أكبر، ثم يسجد حتى تطمئن مفاصله، ثم يرفع رأسه فيَكبر. فإذا فعل ذلك فقد تمت صلاته» وفى رواية: «إنها لا تتم صلاة أحدكم حتى يسبغ الوضوء، كما أمر الله عز وجل فيغسل وجهه ويديه إلى المرفقين، ويمسح برأسه ورجليه إلى الكعبين. ثم يكبر الله ويحمده، ثم يقرأ من القرآن ما أذن له وتيسر وذكر نحو اللفظ الأول، وقال: ثم يكبر، فيسجد، فيمكن وجهه وربما قال: جبهته من الأرض، حتى تطمئن مفاصله وتسترخي، ثم يكبر فيستوي قاعداً على مقعدته ويقيم صلبه فوصف الصلاة هكذا أربع ركعات حتى فرغ، ثم قال لا تتم صلاة لأحدكم حتى

يفعل ذلك»[١]. وفى رواية أخرى عند الترمذي : قال: «إذا قمت فتوجهت إلى القبلة فكبر، ثم اقرأ بأم القرآن، وبما شاء الله أن تقرأ. فإذا ركعت، فضع راحتك على ركبتيك وامدد ظهرك». وقال: «إذا سجدت فمكن لسجودك، فإذا رفعت فاقعد على فخذك اليسرى»، وفى رواية أخرى قال: «فتوضأ كما أمرك الله، ثم تشهد فأتم، ثم كبر. فإن كان معك قرآن فاقرأ به، وإلا فاحمد الله ـ عز وجل ـ وكبره وهلله». وقال فيه: «وإن انتقصت منه شيئاً انتقصت من صلاتك».

فالنبي ﷺ أمر ذلك المسيء في صلاته بأن يعيد الصلاة. وأمر الله ورسوله إذا أطلق كان مقتضاه الوجوب، وأمره إذا قام إلى الصلاة بالطمأنينة كما أمره بالركوع والسجود. وأمره المطلق يحمل على الوجوب. وأيضاً قال له: «فإنك لم تصل» فنفى أن يكون عمله الأول صلاة، والعمل لا يكون منفياً إلا إذا انتفى شيء من واجباته. فأما إذا فعل كما أوجبه الله عز وجل فإنه لا يصح نفيه لانتفاء شيء من المستحبات التي ليست بواجبة.

وعن أبى مسعود البدري رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجزئ صلاة الرجل حتى يقيم ظهره في الركوع والسجود»[٢] . فهذا صريح في أنه لا تجزئ الصلاة حتى يعتدل الرجل من الركوع وينتصب من السجود. فهذا يدل على إيجاب الاعتدال في الركوع والسجود.

---

(١) رواه أهل السنن: أبو داود والنسائى وابن ماجه والترمذى . وقال: حديث حسن. والروايتان لفظ أبى داود.

(٢) رواه أهل السنن الأربعة، وقال الترمذى حديث حسن صحيح.

وهذا الحديث نص صريح في وجوب الاعتدال. فإذا وجب الاعتدال لإتمام الركوع والسجود، فالطمأنينة فيهما أوجب. وذلك أن قوله: «**يقيم ظهره في الركوع والسجود**» أي: عند رفعه رأسه منهما. فإن إقامة الظهر تكون من تمام الركوع والسجود؛ لأنه إذا ركع كان الركوع من حين ينحني إلى أن يعود فيعتدل، ويكون السجود من حين الخرور من القيام أو القعود إلى حين يعود فيعتدل. فالخفض والرفع هما طرفا الركوع والسجود وتمامهما؛ فلهذا قال: «**يقيم صلبه في الركوع والسجود**».

وعن على بن شَيْبَان الحنفي قال: خرجنا حتى قدمنا على رسول الله ﷺ، فبايعناه وصلينا خلفه، فلمح بمؤخر عينه رجلا لا يقيم صلاته «يعنى: صلبه في الركوع والسجود» فلما قضى النبي ﷺ الصلاة قال: «**يا معشر المسلمين، لا صلاة لمن لا يقيم صلبه في الركوع والسجود**»(١). وفى رواية : أن رسول الله ﷺ قال: «**لا ينظر الله إلى رجل لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده**»(٢).

وعن عبدالرحمن بن شِبْل رضي الله عنه قال: «**نهى رسول الله ﷺ عن نَقْر الغراب وافتراش السبع، وأن يوطن الرجل المكان في المسجد، كما يوطن البعير**»(٣) وإنما جمع بين الأفعال الثلاثة وإن كانت مختلفة الأجناس لأنه يجمعها مشابهة البهائم في الصلاة، فنهى عن مشابهة فعل

---

(١) رواه الإمام أحمد وابن ماجه.

(٢) رواه الإمام أحمد.

(٣) أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه.

الغراب، وعما يشبه فعل السبع، وعما يشبه فعل البعير، وإن كان نقر الغراب أشد من غيره، لما فيه من أحاديث أخر.

وعن قتادة عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**اعتدلوا في الركوع والسجود، ولا يبسطن أحدكم ذراعيه انبساط الكلب**»(١)، وقد بين في حديث آخر: «**أنه من صلاة المنافقين**»، والله سبحانه وتعالى أخبر في كتابه أنه لن يقبل عمل المنافقين. فعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال: «**تلك صلاة المنافق، يمهل حتى إذا كانت الشمس بين قرني شيطان قام فنقر أربعاً، لا يذكر الله فيها إلا قليلا**»(٢). فأخبر أن المنافق يضيع وقت الصلاة المفروضة، ويضيع فعلها وينقرها، فدل ذلك على ذم هذا وهذا، وإن كان كلاهما تاركاً للواجب. وذلك حجة واضحة في أن نقر الصلاة غير جائز، وأنه من فِعْل من فيه نفاق. والنفاق كله حرام. وهذا الحديث حجة مستقلة بنفسها.

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾(٣). وهذا وعيد شديد لمن ينقر صلاته، فلا يتم ركوعه وسجوده بالاعتدال والطمأنينة. والمثل الذي ضربه النبي ﷺ من أحسن الأمثال، فإن الصلاة قُوتُ القلوب، كما أن الغذاء قوت الجسد، فإذا كان الجسد لا يتغذى باليسير من الأكل، فالقلب لا يقتات بالنقر في الصلاة، بل لابد من صلاة تامة

---

(١) رواه البخاري ومسلم..

(٢) رواه مسلم في صحيحه.

(٣) سورة النساء: ١٤٢.

تقيت القلوب وتحييها. فعن أبى عبدالله الأشعري الشامي قال: صلى رسول الله ﷺ بأصحابه، ثم جلس في طائفة منهم، فدخل رجل فقام يصلي، فجعل يركع وينقر في سجوده، ورسول الله ﷺ ينظر إليه. فقال: «**ترون هذا ؟. لو مات مات على غير ملة محمد، ينقر صلاته كما ينقر الغراب الرِّمَّة. إنما مثل الذي يصلى ولا يتم ركوعه وينقر في سجوده كالجائع لا يأكل إلا تمرة أو تمرتين، لا تغنيان عنه شيئاً، فأسبغوا الوضوء، ويل للأعقاب من النار، وأتموا الركوع والسجود**». قال أبوصالح: فقلت لأبى عبدالله الأشعري: من حدثك بهذا الحديث؟ قال: أمراء الأجناد: خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وشُرَحْبِيل بن حسنة ويزيد بن أبى سفيان. كل هؤلاء يقولون: سمعت رسول الله ﷺ[١] .

وعن أبى وائل، عن زيد بن وهب، أن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه رأى رجلا يصلي لا يتم ركوعه ولا سجوده. فلما قضى صلاته دعاه، وقال له حذيفة: ما صليت، ولو مِتَّ مِتَّ على غير الفطرة التي فطر الله عليها محمداً ﷺ. ولفظ أبى وائل: ما صليت. وأحسبه قال: «**لو مت مت على غير سنة محمد ﷺ**»[٢] وهذا الذي لم يتم صلاته إنما ترك الطمأنينة، أو ترك الاعتدال، أو ترك كليهما، فإنه لابد أن يكون قد ترك بعض ذلك. وهذا الرجل كان يأتي بما قد يقال له : ركوع وسجود، لكنه لم يتمه. ومع هذا قال له حذيفة: «**ما صليت**» فنفى عنه الصلاة، ثم قال: «**لو مت مت على غير الفطرة التى فطر الله عليها محمداً ﷺ**». أو قال: «**على غير**

---

(١) رواه أبو بكر بن خزيمة فى صحيحه بكماله، وروى ابن ماجة بعضه.

(٢) رواه البخاري في صحيحه.

السنة». وكلاهما أي «الفطرة والسنة» المراد بهما هنا: الدين والشريعة، ليس المراد به فعل المستحبات؛ فإن هذا لا يوجب هذا الذم والتهديد. فهذا الحديث العظيم يدل على أن العجلة في الصلاة ونقرها يدخل في هذا الوعيد المذكور في الحديث.

ولهذا كان النبي ﷺ يقول في حال ركوعه: «**اللهم لك ركعت، وبك آمنت، ولك أسلمت. خشع لك سمعي، وبصري، ومُخِّي، وعظمي وعصبي**»[(١)]. فوصف نفسه بالخشوع في حال الركوع؛ لأن الراكع ساكن متواضع.

وعن معاوية بن أبي صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾[(٢)]. يقول: «**خائفون ساكنون**»[(٣)]، والعجلة في الصلاة ونقرها هو ضد الخشوع والطمأنينة المأمور بها.

* * *

(١) رواه مسلم في صحيحه.

(٢) سورة المؤمنون: ٢.

(٣) رواه أهل التفسير، كأبي بكر بن المنذر، و محمد بن جرير الطبري، وغيرهما.

السبب الحادي عشر

أن تصلي صلاة مودع

لو استحضر المصلي وجعل في ذهنه أن هذه الصلاة التي سيصليها لربما تكون هي آخر صلاة يصليها لأحسن فيها أيما إحسان ولأتم ركوعها وسجودها وقيامها أيما إتمام ولكن طول الأمل والانشغال بالدنيا قد ألهى الناس وصرفهم عن تذكر الموت وتذكر الآخرة. يقول الله سبحانه: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾[1]. قال العلماء: أن من أكثر ذكر الآخرة رزقه الله الخشوع في صلاته.

عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً أنه قال: «**اذكر الموت في صلاتك فإن الرجل إذا ذكره حري أن يحسنها. وصل صلاة من لا يظن أنه يصلي غيرها**»[2].

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**صل صلاة مودع**».

وذكر عن حاتم الأصم رحمه الله أنه قال حينما سئل عن صلاته: إذا حانت الصلاة أسبغت الوضوء وأتيت الموضع الذي أريد الصلاة فيه فأقعد فيه حتى تجتمع جوارحي ثم أقوم إلى صلاتي وأجعل الكعبة بين

---

(١) سورة البقرة آية (٤٥ ـ ٤٦).

(٢) السلسلة الصحيحة برقم ٢٨٣٩.

حاجبي والصراط تحت قدمي والجنة عن يميني والنار عن شمالي وملك الموت ورائي وأظنها آخر صلاتي ثم أقوم بين ركوع بتواضع وأسجد سجوداً بتخشع وأقعد على الورك الأيسر وأفرش ظهر قدمها وأنصب القدم اليمنى وأتبعها الإخلاص ثم لا أدري أقبلت مني أم لا.

هكذا كان السلف الصالح كان الواحد منهم إذا صلى صلاة ظن أنها آخر صلاة يصليها فأتقنها وأكملها وأطمئن وخشع فيها. فلابد من إعطاء هذا الموقف حقه من خضوع وخشوع وانكسار إجلالاً لله عز وجل، وأن يجعل المصلي في ذهنه بأن هذه الصلاة لربما تكون هي الصلاة الأخيرة، فلو استقر هذا الشعور في نفس المصلي لصلى صلاة خاشعة بطمأنينة وحضور قلب.

وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله عظني وأوجز، فقال عليه الصلاة والسلام: **«إذا قمت في صلاتك فصل صلاة مودع، ولا تتكلم بكلام تعتذر منه غداً، واجمع اليأس مما في أيدي الناس»**[1].

* * *

(١) السلسلة الصحيحة برقم ٤٠٠ ورقم ٤٠١.

السبب الثاني عشر

التهيؤ قبل الدخول في الصلاة

بأن تجمع نفسك وتحضر قلبك ولا تنشغل بشواغل الدنيا ولا تدخل في الصلاة وهناك ما يشغل ذهنك قال ﷺ: «**لا صلاة بحضرة طعام ولا وهو يدافع الأخبثين**»[١] ويدل الحديث أن على المصلي أن لا يدخل في الصلاة وهناك ما يشغله عنها حتى وإن تعارض وقت الصلاة مع وقت طعام فإنه يبدأ به ثم يقبل على صلاته وثبت عنه ﷺ أنه قال: «**إذا قدم العشاء فابدؤوا بالعشاء قبل أن تصلوا صلاة المغرب ولا تعجلوا عن عشائكم**»[٢]. وفي رواية: «**إذا وضع العشاء وحضرت الصلاة فابدؤوا به**»[٣]. فيكره ابتداء الصلاة وهو تائق إلى طعام. وإنما قُدم حق المخلوق «وهو الطعام أو غيره» على حق الخالق «وهي الصلاة» حتى يدخل المصلي في الصلاة وهو مقبل عليها وهذا التقديم إنما هو صيانة لحق الله سبحانه ليدخل العبد في العبادة بقلب مقبل على ربه.

ويكره دخوله في الصلاة حاقناً. وكذا كل ما يمنع كمالها كاحتباس غائط أو ريح وجوع وعطش مفرط لأنه يمنع الخشوع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إذا كان على وضوء وهو حاقن ولا يجد

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

ماء فيحدث ويتيمم إذ الصلاة بالتيمم وهو غير حاقن أفضل من صلاته بالوضوء وهو حاقن فصلاته مع الإحتقان مكروهة وفي صحتها روايتان وصلاة المتيمم صحيحة بالاتفاق لا كراهة فيها. ولو خاف فوت الجماعة وإن ضاق الوقت عن فعل جميعها وجبت في جميع الأحوال وحرم انشغاله بغيرها.

ومن التهيؤ للصلاة أن لا يصلي وهو يغلبه النعاس قال ﷺ: «**إذا نعس أحدكم في الصلاة فلينم حتى يعلم ما يقول**». وهذا ليس على إطلاقه فليس كل من كان به نعاس أو شيءٌ من نعاس ينام حتى يذهب عنه ذلك النعاس ثم يصلي فهذا خطأ.وإنما يقصد به من يغلبه النعاس عند قيام الليل وصلاة النافلة أما في الفرض فلا يكون ذلك عذر له في تأخير الصلاة أو تركها ولا يكون ذلك عذر له في ترك صلاة الجماعة وإنما يدل الحديث بأن على المسلم أن يتهيأ للصلاة قبل دخولها وأن يبتعد عن كل ما قد يكون سبباً في عدم خشوعه وعدم إقباله على صلاته وقد كره الفقهاء الصلاة في المكان البارد والمكان الحار إن وجد غيرهما خشيةً من ذهاب الخشوع بالإنشغال بذلك.

ومن التهيؤ أيضاً أن تأتي إلى الصلاة وأنت موقن بأنك مقبل على ملك الملوك فيدخل في قلبك من الإجلال والعظمة ما يجعلك تقبل على صلاتك ولا تلتفت إلى غيرها. قال ابن عثيمين رحمه الله تعالى: عند شرحه لحديث «**أمرت أن أسجد على سبعة أعظم**» الواجب على المصلي أن يسجد قلبه قبل أن تسجد أعضاؤه انتهى كلامه.

فعلى المصلي أن يسجد وهو متخشع متذلل بين يدي الله سبحانه.

طائع مختار. سجود عبادة وتذلل وتضرع للخالق العظيم، فيقول سبحان ربي الأعلى ثلاثاً لأنه هو العلي الأعلى الذي لا ينبغي السجود إلا له سبحانه وتعالى علواً كبيرا، فهو الأعلى من الدنيا وما فيها من مشاغل وملذات وفتن وزينة ومن كل الخلق مهما علا شأنهم فلا أحد أعلى من الله سبحانه. ولنتذكر في هذا الموقف أنه كلما تذلل العبد لربه كلما كان أقرب له تعالى كما قال ﷺ: **«أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا فيه من الدعاء»**[1]. ويتذكر أيضاً أنه يضع أشرف ما خلقه الله فيه وهو وجهه على الأرض فهذه هي العبودية لله وما أحلاها من عبودية، فالعبودية للبشر ذل وصغار والعبودية لله رفعة وعزة. ولنتذكر كيف أن أحدنا يضيق صدره وينزعج أن تحط ذبابة على وجهه أو يغطي وجهه بعض الغبار أو التراب خلال سفر أو عمل وكم يضيق الصدر إن حاول أحدٌ أن يمس وجهه ومع هذا ترانا نضع جباهنا ووجوهنا على الأرض ساجدين لله داعين له طالبين منه المغفرة والرحمة. ونستشعر أننا من هذه الأرض التي نسجد عليها وما نحن إلا من تراب وإليه سنعود ونعرف حقيقتنا بعد أن كانت الدنيا ومفاتنها قد أوهمتنا بعظم شأننا وأنستنا أننا خلقنا من ماء دافق، من سلالة من طين... في هذه اللحظة ونحن ساجدين تمر علينا كل هذه الخواطر فنشعر بعظمة الله وضعفنا وبعزة الله وذلنا وبقوة الله وقلة حيلتنا.. وندعو ما شاء الله لنا في هذا الموقف الجليل بين يدي رب العالمين الرحمن الرحيم العلي العظيم فالدعاء هو

---

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم ٤٨٢.

العبادة والعبد مأمور به قال تعالى: ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾[١].

ومما كان يدعو به الرسول ﷺ: «اللهم اغفر لي ذنبي كله دقه وجله،وأوله وآخره، وعلانيته وسره» وكذلك: «اللهم اغفر لي ما أسررت وما أعلنت» «اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره تبارك الله أحسن الخالقين»، «سبوح قدوس رب الملائكة والروح».

فوائد للسجود أثبتتها دراسات حديثة:

ومن فوائد السجود أن الدراسات الحديثة أثبتت أن وضع الإنسان جبهته على الأرض فيه تخفيف من الضغط النفسي فقد أثبت بعض الأطباء ذلك وقال بعضهم: إذا كنت تعاني من الإرهاق أو التوتر أو الصداع الدائم أو العصبية، وإذا كنت تخشى من الإصابة بالأورام فعليك بالسجود فهو يخلصك من أمراضك العصبية والنفسية هذا ما توصلت إليه أحدث دراسة علمية أجراها د. محمد ضياء الدين حامد فقال: من المعروف أن الإنسان يتعرض لجرعات زائدة من الإشعاع ويعيش في معظم الأحوال وسط مجالات كهرومغناطيسية الأمر الذي يؤثر على الخلايا ويزيد من طاقته ولذلك فإن السجود يخلصه من الشحنات الزائدة التي تسبب العديد من الأمراض انتهى كلامه.

ومما يؤثر في زيادة الخشوع في الصلاة أو نقصانه الحديث والمجلس الذي كان فيه المصلي قبل الدخول فيها وما كان يدور في ذلك

---

(١) سورة الأعراف آية ٥٥.

المجلس من الحديث فإن لذلك دوراً كبيراً في حضور القلب والخشوع في الصلاة ففرق بين شخص جاء إلى الصلاة من مجلس كله لغو وغيبة ونميمة وحديث في الدنيا والتجارة ومتابعة للقنوات وسماع للحرام وغيرها، وبين شخص قام إلى الصلاة وقد حضر إلى المسجد قبل الإقامة بوقت وقد هيأ قلبه للوقوف بين يدي ربه وصلى تحية المسجد والسنن القبلية إن وجدت وتلا ما تيسر له من كلام ربه عز وجل، فلاشك أن حال الثاني وحضور قلبه في الصلاة يكون أفضل وأحسن من الأول بكثير.

* * *

السبب الثالث عشر

عدم الحركة والعبث أثناء الصلاة

وذلك بالتأدب بين يدي الله سبحانه بعدم الحركة في الصلاة والالتفات والعبث بالفرش أو الحصى وتقليب العين والنظر في النقوش والزخارف التي في المسجد أو في السجاد. قال ﷺ عن الالتفات في الصلاة حينما سألته أم المؤمنين عائشة عن الالتفات في الصلاة فقال: «**هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد**»(١).

ومما يعين على الخشوع أن تجعل نظرك موضع سجودك. فالصلاة التي تؤدى والقلب في غفلة عنها لا تنفع صاحبها شيئاً، بل لو قلنا أنها تضره لما أبعدنا، لأن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾(٢).

وخشوع الجوارح يدل على خشوع القلب وإذا خشع القلب خشعت الجوارح فقد روي عنه ﷺ أنه رأى رجلاً يعبث في صلاته فقال: «**لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه**».

وعن مجاهد قال: كان الزبير إذا قام في الصلاة كأنه عود قال ـ أي مجاهد ـ: وكان يقال: ذاك الخشوع في الصلاة(٣).

---

(١) رواه البخاري برقم ٧٥١ وأبو داود والنسائي.

(٢) سورة الماعون آية (٤ ـ ٥).

(٣) رواه البيهقي في سننه بإسناد صحيح.

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يزال الله مقبلاً على العبد، وهو في صلاته، ما لم يلتفت فإذا التفت انصرف عنه**»(١).

ومن أراد الخشوع في صلاته وعدم الالتفات أو العبث فيها فعليه أن يصرف همته إليها وإلى الانشغال بها عن ما سواها فإنه متى أهمك أمر حضر قلبك ضرورة، فلا علاج لإحضاره إلا صرف الهمة إلى الصلاة، وانصراف الهمة يقوى ويضعف بحسب قوة الإيمان بالآخرة واحتقار الدنيا ويقوى بإدراك اللذة التي يجدها العباد في صلاتهم وهي التي عبر عنها ابن تيميه رحمه الله بقوله: «إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة». ولا تظن أن مسلماً وجد هذه اللذة وذاق طعمها يفرط فيها ويتساهل في طلبها.

وهذه اللذة كما قال ابن القيم رحمه الله تقوى بقوة المحبة وتضعف بضعفها. لذا ينبغي للمسلم أن يسعى في الطرق الموصلة إلى محبة الله.

إن الالتفات في الصلاة هو من سوء الأدب من الله سبحانه روي عنه ﷺ أنه قال: «**أيما عبد التفت في صلاته قال الله: يا عبدي إلى من تقصد ومن تطلب؟ أرباً غيري تريد؟ أو رقيباً سواي تطلب ؟ أو جواداً خلاي تبغي؟ وأنا أكرم الأكرمين وأجود الأجودين وأفضل المعطين؟! أثيبك ثواباً لا يحصى قدره. أقبل عليّ فإني إليك مقبل، وملائكتي إليك مقبلون. فإن أقبل زال عنه إثم ما كان منه، فإن التفت ثانية، أعاد الله مقالته، فإن أقبل على صلاته غفر الله له وتجاوز عنه ما كان منه. فإن التفت ثالثة أعاد الله مقالته، فإن أقبل على صلاته غفر الله ما تقدم من ذنبه، فإن التفت رابعة**

---

(١) رواه أبو داود والنسائي.

أعرض الله عنه، وأعرضت الملائكة عنه، ويقول: وليتك عبدي ما توليت»[١].

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: الالتفات في الصلاة اختلاس من الشيطان، فإياكم والالتفات في الصلاة.

ومن ذلك أيضا ترك التشبه بالبهائم فقد نهي رسول الله ﷺ: عن نقر كنقر الغراب، وافتراش كافتراش السبع، وأن يوطن الرجل المكان كايطان البعير«وهو أن يألف الرجل مكاناً معلوماً من المسجد مخصوصاً به لا يغيره». ونهى أيضاً عن التفات كالتفات الثعلب وإقعاء كإقعاء الكلب.

قال الأمير الصنعاني رحمه الله تعالى:

إذا نحن قمنا في الصلاة فإننا ... نهينا عن الإتيان فيها بستة
بروك بعير والتفات كثعلب ... ونقر غراب في سجود الفريضة
وإقعاء كلب أو كبسط ذراعه ... وأذناب خيل عند فعل التحية
وزدنا كتدبيح الحمار بمده ... لعنق وتصويب لرأس بركعة[٢]

* * *

(١) رواه الإمام أحمد (٢/ ٥٢٥)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ١٢٠).
(٢) سبل السلام شرح بلوغ المرام (١/ ٢٩٧).

السبب الرابع عشر

الحرص على تحري الحلال

إن نوعية الطعام الداخل إلى الجوف له تأثير كبير على القلب من حيث رقته وقسوته وله تأثير على الجوارح من حيث النشاط للطاعات أو النفرة والإعراض عنها. قال سبحانه آمراً عباده المؤمنين: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾(١). وقال تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾(٢). والضرب في الأرض هو السعي في طلب المعيشة والرزق.

وقد حذرنا رسول الله ﷺ من أكل الحرام وبين العقوبة المترتبة عليه فعن جابر بن عبدالله رضي عنهما أن النبي ﷺ قال: «**كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به**»(٣).

---

(١) سورة البقرة آية ١٧٢.

(٢) سورة المزمل: ٢٠.

(٣) صححه الألباني برقم ٤٥١٩ وأورده السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٨٤). ورواه الإمام أحمد (٣/ ٣٢١/ ٣٩) برقم (١٤٤٢٥-١٥٢٦٣) عن جابر في جمله حديث بلفظ «يا كعب بن عجرة إنه لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت النار أولى به» وروى الدرامي (٢ / ٣١٨) بعضه ورواه الحاكم في المستدرك (٤/ ١٢٦) عن عبدالرحمن بن سمره، وجابر، وأبي بكر، وعمر رضي الله عنهم وسكت عنها، ولم يضعفها الذهبي في تلخيصه ورواه ابن حبان كما في الإحسان (١٧٢٠) مطولاً عن جابر وأقره.

وحث الإسلام على الكسب الحلال وعلى السعي في طلبه وأخبر عليه الصلاة والسلام أن أفضل ما يأكله العبد ما كان حلالاً وبعمل يده فقال ﷺ: «**ما أكل أحد طعاماً خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده**»(١).

ولقد قال بعض السلف: إن من الذنوب ذنوباً لا يكفرها إلا الهمُّ في طلب المعيشة.

وفي أخبار عيسى عليه السلام أنه رأى رجلاً فقال: ما تصنع؟ قال: أتعبد. قال: ومن يعولك؟ قال: أخي. قال: وأين أخوك؟ قال: في مزرعة. قال: أخوك أعبد لله منك. فليست العبادة أن تَصُفَّ قدميك، وغيرك يسعى في قوتك؛ ولكن ابدأ برغيفيك فأحرزهما ثم تعبد.

ومن مأثور حكم لقمان أنه قال: يا بنيَّ، استغن بالكسب الحلال عن الفقر، فإنه ما افتقر أحدٌ قط إلا أصابه ثلاث خصال: رقةٌ في دينه، وضعفٌ في عقله، وذهاب مروءته.

إن في طيب المكاسب وصلاح الأموال سلامة الدين، وصون العرض، وجمال الوجه، ومقام العز، وطهارة القلب. وإن للكسب الحرام عواقب وخيمة وآثاراً سيئة على البدن وعلى القلب وتتعدى ذلك إلى المجتمع بل قد تصل إلى أن تسد على صاحبها وتحول بينه وبين قبول الأعمال.

---

(١) رواه البخاري.

قال ﷺ يوصي سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: «**يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة**»(١).

ومن أسمى غايات رسالة محمد ﷺ أنه يحُلُّ الطيبات، ويحرم الخبائث. وفي القيامة يكون حسن العاقبة للطيبين ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(٢).

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**أربعٌ إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليقة، وعفةٌ في طعمة**»(٣). وإن أعظم ما يجعل عمل المؤمن طيباً مقبولاً طيب مطعمه وحله، قال ﷺ: «**إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً...**»(٤).

لقد كان الصحابة والتابعون الذين ملكوا زمام الدنيا ومفاتيح الآخرة يعرفون قدر هذه الأموال فكانوا لا يحصلونها إلا من طريق مباح ولا يصرفونها إلا في طريق نافع سلكوا في تحصيلها سبيل الورع وفي تصريفها سبيل الكرم والبذل المحمود كان سلفنا لو أكل أحدهم لقمة ثم تبين له أنها حرام أخرجها مع أنه حين أكلها يجهل أنها حرام وما ضرهم

---

(١) أورده المنذري في الترغيب والترهيب (٢/٥٤٧). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/٢٩١

(٢) سورة النحل: ٣٢.

(٣) أخرجه أحمد وغيره بأسانيد حسنه.

(٤) رواه مسلم برقم (١٠١٥)، والترمذي برقم (٢٩٩٢).

ذلك بل ملكوا به خزائن الدنيا ومفاتيح الآخرة وكانت حياتهم طيبة وعاقبتهم حميدة.

روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه جاءه غلامه بشيء يأكله فقال الغلام: أتدري ما هو؟ قال: لا قال: تكهنت في الجاهلية لإنسان وما أُحسن الكهانة: ولكني خدعته، فلقيني فأعطاني بذلك، فهذا الذي أكلت. فأدخل أبوبكر رضي الله عنه يده في فمه فقاء كل شيء في بطنه، وفي رواية أنه قال: «**لو لم تخرج إلا مع نفسي لأخرجتها. اللهم إني أعتذر إليك مما حملت العروق وخالط الأمعاء**».

وشرب عمر رضي الله عنه لبناً فأعجبه، فقال للذي سقاه: من أين لك هذا؟ قال: مررت بإبل الصدقة وهي على ماء، فأخذت من ألبانها، فأدخل عمر يده فاستقاء. وتوصي بعض الصالحات زوجها وتقول: يا هذا اتق الله في رزقنا فإننا نصبر على الجوع، ولا نصبر على النار. أولئك هم الصالحون يُخرجون الحرام والمشتبه من أجوافهم، وقد دخل عليهم من غير علمهم. وخَلَفَت من بعدهم خلوف يعمدون إلى الحرام ليملئوا به بطونهم وبطون أهليهم استحوذ عليهم الشيطان وأوقعهم فيما حرم الله سبحانه.

روي أن الشيطان أعاذنا الله منه قال: «**لن يسلم مني صاحب المال من إحدى ثلاث أعدو عليه بهن وأروح: أخذه من غير حله، وإنفاقه في غير حقه، وأحببه إليه فيمنعه من حقه**»[1].

---

(١) رواه الطبراني بإسناد حسن.

وجوب تجنب المشتبهات:

والمشتبهات يحصل للقلوب عندها القلق والاضطراب الموجب للشك، والورع هو الوقّاف عند المشتبهات يدع ما يريبه إلى ما لا يريبه. وقد بين ﷺ في الحديث الصحيح «**أن الإثم هو ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس**»(١). فدل الحديث على أن الإثم يعرف بأنه يوجد معه الشك والقلق والاضطراب في النفس فهذا تفسير قوله: «ما حاك في نفسك»، ويعرف الإثم أيضاً بأن فاعله يكره أن يطلع عليه الناس، والمتقي من اجتنب كل ذلك. قال ﷺ: «**إني لأنقلب إلى أهلي فأجد التمرة ساقطة على فراشي، فأرفعها لآكلها؛ ثم أخشى أن تكون من الصدقة فألقيها**»(٢). ويقول ﷺ: «**إن الحلال بيِّن وإن الحرام بيِّن، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقىٰ الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات فقد وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمىٰ يوشك أن يرتع فيه...**»(٣).

إن على المسلم أن يعلم أن الأموال فتنة في تحصيلها، فتنة في تصريفها، ولقد شرع الله وهو العليم الحكيم لعباده طرقاً لتحصيلها مبنية على العدل والقصد فلا ظلم ولا تفريط ولا إفراط، وشرع لعباده طرقاً لتصريفها على الوجه النافع للعبد في دينه ودنياه، فانقسم الناس في ذلك أشتاتاً وأسعد الناس بها من اكتسبها من طرقها المشروعة ثم بذلها فيما

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري برقم (٢٤٣٢) ومسلم.

(٣) رواه البخاري برقم (٥٢)، ومسلم برقم (١٥٩٩).

ينفعه في دينه ودنياه، وأشقى الناس بها من اكتسبها على غير الوجه الشرعي ثم أمسكها عن بذلها فيما ينفع. أو بذلها فيما هو ضار وبين هاتين المنزلتين منازل.

إن خير الرزق ما يكفي، ويسلم صاحبه من الإثم، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى، فليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس، وقد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنعه الله بما آتاه واجتنب ما نهاه الله عنه من الحرام. فإن الحرام؛ هو شر الرزق، وخبيث الكسب، وسيء العمل، وزاد صاحبه إلى النار، إن تموله لم يبارك له فيه، وإن أنفقه لم يؤجر عليه، وإن تصدق به لم يقبل منه، وإن دعا وهو في جوفه لم يستجب له. فما أشأمه على صاحبه! وما أشقى صاحبه به! عليه غرمه ولغيره غنمه.روي عنه ﷺ أنه قال: «**قد أفلح من هداه الله إلى الإسلام وكان عيشه كفافا فقنع به**».

ولقد قال الحسن البصري رحمه الله: مازالت التقوى بالمتقين حتى تركوا كثيراً من الحلال مخافة الوقوع الحرام.

ولذا قال بعض السلف: سمي المتقون بالمتقين لأنهم يتقون ما لا يتقى.

وقال أبوالدرداء رضي الله عنه: تمام التقوى أن يتقي العبد ربه؛ حتى يتقيه من مثقال ذرة، وحتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراماً؛ حجاباً بينه وبين الحرام.

وقال سهل بن عبدالله التستري رحمه الله: من أكل الحلال أطاع الله شاء أم أبى ومن أكل الحرام عصى الله شاء أم أبى.

وقال إبراهيم بن ادهم رحمه الله: أطب مطعمك ولا عليك ألا تقوم الليل ولا تصوم النهار.

قال يحيى بن معين رحمه الله:

المال يذهب حله وحرامه ... طراً وتبقى في غد آلامه
ليس التقي بمتق لإلهه ... حتى يطيب طعامه وشرابه
ويطيب ما يحوي ويكسب كفه ... ويكون في حسن الحديث كلامه
نطق النبي لنا به عن ربه ... فعلى النبي صلاته وسلامه

قال بعضهم لأحد الصالحين: أوصني. فقال: دع الدنيا لأهلها كما تركوا هم الآخرة لأهلها وكن في الدنيا كالنحلة إن أكلت أكلت طيباً وإن أطعمت أطعمت طيباً وإن سقطت على شيء لم تكسره ولم تخدشه.

خذ من الرزق ما كفى ... ومن العيش ما صفا
كل هذا سينقضي ... كسراج إذا انطفا

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**من اشترى ثوباً بعشرة دراهم وفيها درهم حرام لم يقبل الله له صلاته ما دام عليه**»(١).

إن الطيب من الرزق هو الحلال الذي أحله الله، وهو ما كان مستطاباً في نفسه، غير ضار للأبدان أو العقول، وغير مكتسب بمعاملة محرمة أو على وجه محرم من وسائل الدخول، وإن الأكل من الحلال من أسباب صلاح القلب، وزيادة الإيمان والنشاط في الأعمال الصالحة، والرغبة في الإحسان، وهو مما تحفظ به النعم الموجودة وتزداد، وتستجلب به النعم المفقودة وتقاد، فمن لطف الله بعباده أن يسر الحلال،

---

(١) رواه أحمد وغيره.

وأرشد إليه، ورغب فيه، وجعل طلبه من صالح الأعمال، ووعد أهله بفضله، وكفايته، وحفظه، ووقايته، ومغفرته، وجزيل مثوبته، وتيسير الأمر لهم في الحال والمآل، ونهاهم عن الحرام، وزجرهم عن الأخذ بما يأتي به أو يوصل إليه من الوسائل والأسباب، وتوعدهم على طلبه وأكله بشديد العقوبة وأليم العذاب، وكفى بذلك موعظة لأولي الألباب، ولهذا قال تعالى: ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾[١].

وكان من دعاء النبي ﷺ: **«اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً»**، والقوت ما يسد الرمق.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: **«ما شبع آل محمد ﷺ من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض»**[٢].

وقالت أيضاً رضي الله عنها **«كان فراش رسول الله ﷺ من أدم - أي جلد - حشوه ليف»**[٣].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: **«من اشترى ثوباً بعشرة دراهم وفيها درهم حرام لم يقبل الله له صلاته ما دام عليه»**[٤].

---

(١) سورة طه آية ٨١- ٨٢.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه أحمد وغيره.

تحري الحلال من أسباب إجابة الدعاء:

فالذي يتحرى الحلال في مطعمه ومشربه وملبسه حريٌ أن يقبل الله منه ويستجيب له ويكون من المؤمنين المفلحين الذين هم في صلاتهم خاشعون أما من لا يبالي أكان ما يأكله حلالاً أم حراماً فقد جعل بينه وبين إجابة الدعوة مانعاً من موانعها لأن النبي ﷺ قد بين أن من موانع إجابة الدعاء أكل الحرام ولبس الحرام وشرب الحرام فعن أبي هريرة رضي الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب له**»[1].

لقد استجمع هذا الرجل من صفات الذل والمسكنة والحاجة والفاقة ما يدعو إلى رثاء حاله، ويؤكد شدة افتقاره، تقطعت به السبل، وطال عليه المسير، وتغربت به الديار، وتربت يداه، واشْعَثَّ رأسه، واغبرَّت قدماه، ولكنه قد قطع صلته بربه، وحرم نفسه من مدد مولاه، فحيل بينه وبين قبول دعائه. أكل من حرام، واكتسى من حرام، ونبت لحمه من حرام، فردَّت يداه خائبتين. فماذا يبقى للعبد إذا انقطعت صلته بربه، وحُجب دعاؤه، وحيل بينه وبين الرحمة.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٠١٥) وأحمد في المسند (٣٢٨).

لمثل هذا قال بعض السلف: لو قُمت في العبادة قيام السارية ما نفعك حتى تنظر ما يدخل بطنك.

وقد مر معنا أيضاً وصية النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص حيث قال له: **«يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة»**.

فيجب على المسلم أن يتحرى الحلال في كسبه وأن لا تكون الدنيا وجمع المال أكبر همه فالدنيا لا تساوي شيئًا عند الله، وليست هي محط الثناء أو الذم، وليس الغني فيها هو الغني يوم القيامة، أو الفقير الحقير فيها هو الفقير الحقير يوم القيامة بل ثبت عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: **«يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام»**[١].

ويقول عليه الصلاة والسلام: **«قمت على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين، وأصحاب الجدّ ـ أي: أصحاب الغنى ـ محبوسون، غير أن أصحاب النار قد أمر بهم إلى النار»**[٢].

* * *

(١) رواه الترمذي وقال: «حديث صحيح».
(٢) متفق عليه.

السبب الخامس عشر

تجنب الصلاة في مكان فيه ما يشغل المصلي

أن يتجنب الصلاة في الأماكن التي يكون فيها ما يشغل المصلي من آلات لهو أو تصاوير أو تشويش أو أصوات أو أطفال يلعبون فإن ذلك يشغل المصلي في صلاته. عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ صلى في خميصة لها أعلام فنظر إلى أعلامها نظرة فلما انصرف قال: **«اذهبوا بخميصتي هذه إلى أبي جهم وأتوني بإنبجانية أبي جهم فإنها ألهتني آنفاً عن صلاتي»**. وقال هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قال النبي ﷺ: **«كنت أنظر إلى علمها وأنا في الصلاة فأخاف أن تفتنني»**(١).

وعن أنس رضي الله عنه قال: كان قرام لعائشة ـ وهو ستر رقيق فيه نقوش وألوان ـ سترت به جانب بيتها. فقال لها النبي ﷺ: **«أميطي عنا قرامك هذا فإنه لا تزال تصاويره تعرض لي في صلاتي»**(٢).

وهناك بعض الأمور التي تعين على الخشوع في الصلاة منها:

ـ إزالة ما يشغل المصلي وإبعاده كالصور والضوضاء وكل ما يشغل البصر.

ـ أن لا يصلي في ثوب فيه نقوش أو رسوم أو كتابات.

---

(١) رواه البخاري (كتاب الصلاة) باب إذا صلى في ثوب له اعلام برقم ٣٧٣ ورواه مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة. باب. كراهه الصلاة في ثوب له اعلام حديث رقم ٥٥٦.

(٢) رواه البخاري برقم ٣٧٤.

ـ أن لا يصلي وبحضرته طعام يشتهيه لقوله ﷺ: «**لا صلاة بحضرة طعام**»(١).

ـ أن لا يصلي وهو حاقن للبول أو الغائط، لقوله ﷺ: «**لا صلاة بحضرة طعام ولا هو يدافع الأخبثان**»(٢).

ـ أن لا يصلي وقد غلبه النعاس، لقوله ﷺ: «**إذا نعس أحدكم فلينم حتى يعلم ما يقول**»(٣).

ـ أن لا يصلي خلف المتحدث أو النائم لأن المتحدث يلهي بحديثه والنائم قد يبدو منه ما يلهي، لقوله ﷺ: «**لا تصلوا خلف النائم ولا المتحدث**»(٤).

ـ عدم التشويش بالقراءة على الآخرين، لقوله ﷺ: «**ألا إن كلكم مناج ربه، فلا يؤذين بعضكم بعضاً ولا يرفع بعضكم على بعض في القراءة**»(٥).

ـ ترك الإلتفات في الصلاة ويشمل إلتفات البصر وإلتفات القلب، لقوله ﷺ في حديث أبي ذر رضي الله عنه: «**لا يزال الله عز وجل مقبلاً على العبد وهو في صلاته ما لم يلتفت فإذا التفت انصرف عنه**»(٦).

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري برقم ٢١٢ ورواه مسلم.

(٤) رواه أبو داوود وهو في الجامع الصغير برقم (٩٨١٣).

(٥) رواه أبو داوود برقم (١٣٣٢) وصححه الألباني في صحيح أبي داوود (١١٨٣).

(٦) رواه الإمام أحمد عن أبي ذر رضي الله عنه.

ـ عدم رفع البصر إلى السماء، لقوله ﷺ: «**إذا كان أحدكم في الصلاة فلا يرفع بصره إلى السماء أن يلتمع بصره**». وقال ﷺ: «**لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم إلى السماء أو ليخطفن الله أبصارهم**»(١).

ـ عدم الاختصار «التخصر» في الصلاة، والاختصار هو وضع اليدين على الخصر وكان الرسول ﷺ ينهى عنه.

ـ مجاهدة التثاؤب في الصلاة، لقوله ﷺ: «**إذا تثاءب أحدكم في الصلاة فليكظم ما استطاع فإن الشيطان يدخل**»(٢).

الصلاة في مكان معتدل لا حار فيؤذيك ولا بارد فيشغلك ولذلك فقد كره الفقهاء الصلاة في المكان الحار والمكان البارد خشية ذهاب الخشوع لأن ذلك يصرف هم المصلي عن صلاته.كما في الحديث الذي رواه أبوهريرة رضي الله عنه أن رسول ﷺ قال: «**إذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم**»(٣). وعن أبي ذر أن رسول الله ﷺ كان في سفر ومعه بلال فأراد أن يقيم، فقال: «**أبرد**» ثم أراد أن يقيم فقال رسول الله ﷺ: «**أبرد في الظهر**» قال: حتى رأينا فيء التلول ثم أقام فصلى فقال رسول الله ﷺ: «**إن شدة الحر من فيح جهنم فأبردوا عن الصلاة**»(٤). ووجههم إلى ذلك لعلمه بأن ذلك يشغل المصلي ويذهب خشوعه. وحكمة هذه الرخصة كما قال ابن القيم: إن الصلاة في شدة الحر تمنع

---

(١) رواه مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم ٤/ ٢٢٩٣.

(٣) رواه البخاري كتاب مواقيت الصلاة باب الإبراد بالظهر رقم ٥٣٣.

(٤) رواه البخاري باب الابراد لاظهر فى السفر برقم ٥٣٩.

صاحبها من الخشوع وحضور القلب، ويفعل العبادة بتكره وتضجر، فمن حكمة الرسول ﷺ أن أمرهم بتأخيرها حتى ينكسر الحر، فيصلي العبد بقلب حاضر، ويحصل له مقصود الصلاة من الخشوع والإقبال على الله تعالى.

وهناك أمور كثيرة ربما لم أذكرها قد تشغل المصلي في صلاته فعلى المسلم أن يجتهد في الابتعاد عن كل ما يشغله في صلاته حتى تكون صلاته خاشعة مقبولة بإذن الله.

* * *

السبب السادس عشر

الفقه في الصلاة ومعرفة أحكامها

وإنما جعل فقه الصلاة من أسباب الخشوع، لأن الجهل بأحكامها ينافي أداءها كما كان النبي ﷺ يؤديها، ولأن خشوع المسيء في صلاته وهو جاهل بأحكامها لا يفيده شيئاً. ولا تجزئه حتى يقيمها ويؤديها كما كان ﷺ يؤديها. قال ﷺ: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»(١). وسوف تمر معنا صفة صلاة النبي ﷺ كما ذكرها أهل العلم رحمهم الله بإذن الله سبحانه.

ومن الفقه في الصلاة متابعة الإمام فإنما جعل الإمام ليؤتم به فإذا ركع فاركعوا وإذا سجد فاسجدوا وإذا صلى جالساً فصولوا جلوساً أجمعون كما ثبت عنه ﷺ.

قال ابن عثمين في الشرح الممتع عن وجوب متابعة الإمام: تجب متابعة الإمام وتحرم مسابقته لقوله ﷺ: «**إنما جعل الإمام ليؤتم به فإذا كبر فكبروا، ولا تكبروا حتى يكبر وإذا ركع فاركعوا ولا تركعوا حتى يركع وإذا قال سمع الله لمن حمده فقولوا: اللهم ربنا ولك الحمد وإذا سجد فاسجدوا ولا تسجدوا حتى يسجد وإذا صلى قائماً فصلوا قياماً وإذا صلى قاعداً فصلوا قعوداً أجمعون**»(٢). ومما ابتلي به كثير من الناس

---

(١) رواه البخاري في الأذان باب الأذان للمسافرين رقم ٦٣١.

(٢) صحيح أبي داوود برقم ٦١٨. ورواه البخاري ومسلم مع اختلاف في بعض الألفاظ.

اليوم وخاصة من العامة عدم متابعتهم للإمام فترى بعضهم يستعجل في صلاته ويسبق الإمام. وبعضهم يتأخر حتى يؤدي به ذلك إلى ترك متابعة الإمام وهذا من قلة الفقه في الصلاة.

قال ﷺ: «**ما يأمن الذي يرفع رأسه في صلاته قبل الإمام أن يحول الله صورته صورة حمار**»(١). وقال ابن تيمية كلاماً فيما معناه أن النبي ﷺ إنما شبهه بالحمار لأن مسابقته للإمام تدل على بلادته فإنه لن يخرج من صلاته إلا بعد سلام الامام فعلام يسابقه.

وقد قال العلماء أن للمأموم مع الامام أربع حالات هي المسابقة والموافقة والمتابعة والتأخير فالمسابقة تحرم والموافقة تكره والمتابعة هي التي أمر بها ﷺ في الحديث السابق أما التأخير فإنه يختلف بحسب ذلك التأخر فمنه ما يكره ومنه ما يخرج المأموم عن متابعة الامام.

حكم صلاة المتنفل وراء المفترض:

فعلى المأموم أن يقتدي بإمامه وأن يتابعه فيما يفعل ولذلك يرى بعض أهل العلم وجوب متابعة الأمام حتى في نية الصلاة فالمفترض لا يصلي وراء المتنفل والمتنفل لا يصلي وراء المفترض والمسألة فيها خلاف على قولين:

القول الأول: يجوز اقتداء المتنفل بالمفترض، وهو قول الثوري والأحناف والشافعية والحنابلة، بل قال عبدالرحمن بن أبي عمر بن قدامة: فأما صلاة المتنفل خلف المفترض فلا نعلم في صحتها خلافاً.

أدلتهم على ذلك: عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قال رسول

---

(١) رواه مسلم.

الله ﷺ: «كيف أنت إذا كان عليك أمراء يميتون الصلاة» أو قال: «يؤخرون الصلاة عن وقتها» قلت: ما تأمرني ؟ قال: «صل الصلاة لوقتها، فإن أدركتها معهم فصل فإنها لك نافلة»(١). وهذا واضح وصريح في الدلالة.

و عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أبصر رجلاً يصلي وحده، فقال: «ألا رجل يتصدق على هذا فيصلي معه فقام رجل فصلى معه»(٢). والدلالة هي أن الرجل كان يصلي فرضاً بدليل تأخره وصلاته وحده، وصلاة الرجل المتطوع خلفه إنما هي نافلة.

وعن يزيد بن الأسود رضي الله عنه أنه صلّى مع رسول الله ﷺ صلاة الصبح بمنى فلما صّلى رسول ﷺ إذا هو برجلين لم يصليا، فدعا بهما فجيء بهما ترعد فرائصهما، فقال لهما: «ما منعكما أن تصليا معنا؟» قالا: قد صلينا في رحالنا، قال: «فلا تفعلا، إذا صليتما في رحالكما ثم أدركتما الإمام ولم يصل فصليا معه، فإنها لكما نافلة»(٣).. والدلالة: أنه أمرهما أن يصليا مع الإمام نافلة مع اختلاف النية.

القول الثاني: لا يجوز أن يصلي المتنفل خلف المفترض: وبه قال الحسن البصري، والزهري، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وربيعة الرأي.

ودليلهم: حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما جعل

---

(١) رواه مسلم عن ابي ذر رضي الله عنه.

(٢) رواه أبو داوود والترمذي وصححه.

(٣) رواه أبو داوود والترمذي والدارقطني وصححه ابن السكن وابن حبان.

الإمام ليؤتم به فلا تختلفوا عليه فإذا ركع فاركعوا..»[١]. ووجه الاستدلال أنه نهى عن الاختلاف على الإمام، ومن الاختلاف أن يكون المأموم متنفلاً والإمام مفترضاً.

والقول الأول هو الراجح والصحيح، في أن المتنفل يجوز له الائتمام بالمفترض، وذلك لصحة الأدلة وصراحتها.

ويرد على أصحاب القول الثاني بأن النبي ﷺ نهى عن الاختلاف على الإمام في الأفعال الظاهرة بدليل تفسيره الاختلاف بعد ذلك بقوله: **«إذا ركع فاركعوا وإذا سجد فاسجدوا..»** إلخ.

ولو فرض أن النهي عام فإن تلك الأحاديث تخصصه كما هو مقرر في علم أصول الفقه.

المسألة الثانية: (العكس) ما حكم اقتداء المفترض بالمتنفل؟!

حكم صلاة المفترض وراء المتنفل:

للعلماء فيها قولان:

الأول: جواز ذلك، وهو قول طاووس، وعطاء، والأوزاعي، حكاه عنهم ابن المنذر، واختاره الإمام الشافعي وأصحابه، وهو رواية عن أحمد، وهو اختيار ابن قدامة المقدسي في المغني، وابن تيمية في الفتاوى والشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ في فتاويه.

أدلتهم: عن جابر رضي الله عنه قال: **«أن معاذاً كان يصلي مع النبي ﷺ العشاء الآخرة ثم يرجع إلى قومه فيصلي بهم تلك الصلاة»**[٢].

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

وهذا واضح الدلالة: فإن معاذاً كان يصلي بقومه نفلاً وهم يصلون خلفه فرضاً.

واستدلوا أيضاً بصلاة النبي ﷺ بأصحابه صلاة الخوف حيث جاء في إحدى صفاتها أن النبي ﷺ صلّى بهم جماعتين صلّى بالأولى ركعتين ثم سلم، ثم صلّى بالجماعة الثانية ركعتين وهي في حقه نفل؛ لأن الفرض قد قام به أولاً.

ولهم أدلة أخرى كثيرة...

القول الثاني: أنه لا يجوز اقتداء المفترض بالمتنفل: وهو قول الحسن البصري، والزهري، ويحي بن سعيد الأنصاري، وربيعة الرأي، وهو مذهب الحنفية، ومذهب المالكية، كما نص عليه خليل في مختصره، وهو الرواية المشهورة عن الإمام أحمد، واختارها أكثر أصحابه.

ودليلهم قول النبي ﷺ: «**إنما جعل الإمام ليؤتم به فلا تختلفوا عليه..**» إلخ. فنهى عن الاختلاف عن الإمام ويدخل في ذلك الاختلاف في النية.

والراجح هو القول الأول لصحة الأدلة وصراحتها.

ويرد على القول الثاني بأن الحديث فيه النهي عن الاختلاف في الأمور الظاهرة.. كما يدل على ذلك الحديث.

ولو فرض أن النهي عام فإن أحاديث الباب هذا تخصصه كما هو مقرر في علم أصول الفقه.

الخلاصة:

أنه يجوز للمتنفل أن يقتدي بالمفترض والعكس صحيح.. كما ثبتت بذلك الأخبار عن النبي ﷺ.

وقد ذكرنا هذا الخلاف ليعلم أن متابعة الإمام واجبة حتى في النية عند

كثير من العلماء فمن باب أولى في الحركات الظاهرة التي في صلب الصلاة.

حكم تسوية الصفوف:

ومن فقه الصلاة تسوية صفوف المصلين فيجب أن يعلم أن على الإمام مسئولية تسوية الصفوف، وأن يأمر الناس بذلك، وإذا لم يمتثلوا تقدم هو بنفسه إلى من تأخر عن الصف أو تقدم ليعدله؛ لأن نبينا وإمامنا وقدوتنا صلى الله عليه وعلى آله وسلم، كان يسوي الصفوف كأنما يسوي القداح، وكان يمر بالصف يمسح المناكب والصدور، ويأمرهم بالاستواء. وسنة النبي ﷺ أحق أن تتبع.

فعلى الإمام أن يعتني بتسوية الصفوف فيلتفت يميناً، ويستقبل الناس بوجهه، ويلتفت يساراً ويقول: استووا، سووا صفوفكم، لا تختلفوا فتختلف قلوبكم، تراصّوا، سدوا الخلل، كل هذه الكلمات وردت عن النبي، صلى الله عليه وعلى آله وسلم. وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها؟**» قالوا: يا رسول الله، كيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال: «**يسدون الأول فالأول، ويتراصون في الصف**»(١).

وقد خرج ﷺ يوماً إلى أصحابه بعد أن عقل الناس عنه تسوية الصفوف، وصاروا يسوونها بأنفسهم، فرأى رجلاً بادياً صدره، يعني متقدماً بعض الشيء، فقال: «**عباد الله لتسونَّ بين صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم**»(٢): وفيه وعيد شديد؛ ومخالفة الله بين الوجوه تحتمل معنيان:

---

(١) صحيح الترغيب ٤٩٦: صحيح أبي داود ٦٦٧: وأخرجه مسلم.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم وهو في صحيح سنن الترمذي للألباني برقم ١٨٨.

إما أن الله يدير وجه الإنسان فيكون وجهه إلى كتفه والعياذ بالله. وإما أن المراد ليخالفن الله بين وجهات نظركم فتفترق القلوب وتختلف لقوله ﷺ: «**لا تختلفوا فتختلف قلوبكم ليليني منكم أولوا الأحلام والنهى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**»(١). وأيًا كان الأمر سواء ليّ الرقبة حتى يكون الوجه إلى جانب البدن، أو أن المراد اختلاف القلوب، فكله وعيد شديد، ويدل على وجوب تسوية الصفوف وأنه يجب على الإمام أن يُعنى بتسوية الصف، لكن لو التفت ووجد الصف مستقيماً متراصًّا والناس متساوون في أماكنهم، فالظاهر أنه لا يقول لهم استووا لأنه أمر بما قد حصل إلا أن يريد اثبتوا على ذلك. لأن هذه الكلمات لها معناها، ليست كلمات تقال هكذا بلا فائدة.

قال أبوعيسى الترمذي: وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**من تمام الصلاة إقامة الصف**».

وكذلك كان الصحابة من بعده يهتمون بتسوية الصفوف في الصلاة فقد روي أن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه كان يوكل رجالا بإقامة الصفوف فلا يكبر حتى يخبر أن الصفوف قد استوت وروي عن علي وعثمان أنهما كانا يتعاهدان ذلك ويقولان: استووا، وكان علي يقول: تقدم يا فلان تأخر يا فلان.

وعن قتادة، عن أنس بن مالك رضي اللهّ عنه قال: قال رسول اللهّ ﷺ: «**سَوُّوا صفوفكم؛ فإن تسوية الصف من تمام الصلاة**»(٢). وعن عبدالعزيز

---

(١) صحيح الترغيب ٥١١: صحيح أبي داود ٦٧٨: وأخرجه مسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

ابن صُهَيْب عن أنس بن مالك رضي اللهّ عنه قال: قال رسول اللهّ ﷺ: «**أتموا الصفوف، فإني أراكم من خلف ظهري**»، وفي لفظ: «**أقيموا الصفوف**»[١]. وروى البخاري من حديث حميد عن أنس رضي الله عنه قال: أقيمت الصلاة، فأقبل علينا رسول اللهّ ﷺ، فقال: «**أقيموا صفوفكم وتراصوا، فإني أراكم من وراء ظهري. وكان أحدنا يلصق منكبه بمنكب صاحبه، وبدنه ببدنه**». وفي لفظ: «**وقدمه بقدم صاحبه**». فإذا كان تقويم الصف وتعديله من تمامها وإقامتها، بحيث لو خرجوا عن الاستواء والاعتدال فذلك يعني أن اعوجاج الصف ينقص من أجر الصلاة.

وهذا يدل على عناية الشرع بتسوية الصف.

قال ابن عثيمين رحمه الله: فإلصاق القدم بالقدم والمنكب بالمنكب لأمرين:

الأمر الأول: تسوية الصفوف واستقامتها.

الأمر الثاني: سد الفرج والخلل. كما قال الحافظ ابن حجر في (فتح الباري): «المراد بذلك المبالغة في تعديل الصف وسد خلله». وبذلك يُعلم خطأ من فهم من فعل الصحابة أنهم يفرّجون بين أرجلهم حتى يلزق أحدهم قدمه بقدم صاحبه مع تباعد ما بين مناكبهم فإن هذا بدعة لا يحصل بها اتباع الصحابة رضي الله عنهم ولا يحصل بها سد الخلل[٢].

ولذلك فقد نبّه ﷺ على أهمية تسوية الصفوف في أحاديث كثيرة

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) من فتوى للشيخ ابن عثيمين رحمه الله. رقم الفتوى ٤٢٣.

ومع ذلك ترى كثيراً من الناس اليوم لا يهتمون بهذا الأمر بل إن بعضهم إذا حاولت الاقتراب منه وسد الخلل أو تسوية الصف ابتعد عنك وجعل بينك وبينه فرجه. لذلك ينبغي تعليم الناس وتوجيههم بأهمية تسوية الصفوف وإقامتها وسد الفرج التي بين المصلين والاهتمام بالوقوف بين يدي الله تعالى، والمحافظة على المظهر والمخبر، ووجوب المطابقة بينهما ليتجلى صدق التوجه، ويحصل تناسق المظهر وتطابقه مع حضور المخبر، فالقلب مع اللسان، والجوارح مع العقل والجنان، تناسق في الحضور والتوجه والأداء، قال ﷺ: **«لَتُسَوُّنَّ صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم»**[1].

فالانسجام والتوافق، والترتيب والنظام، في المظهر، دليل على الاهتمام، كما أن الفوضى والاضطراب وعدم التوافق والانسجام، دليل على انصراف النفس وانشغالها، وعدم إدراكها وإحساسها، وكما أنه لا يغتفر في أمور الدنيا هذا السلوك من الاضطراب والاختلاف والفوضى، ويعد عيباً ومظهراً من مظاهر عدم الاهتمام واللامبالاة، فأن ذلك أشد وأعظم في الصلاة والوقوف بين يدي الله سبحانه. فإن الشرع خاطب العقول السليمة، والفِطَر الحكيمة، بما جُبِلت عليه من ضرورة ذلك وأهميته في نجاح العبد في أمور دينه ودنياه.

وحرصاً منه عليه الصلاة والسلام على تحقيق ذلك، كان يباشر هذا الأمر بيده الكريمة، فكان يسوي بين الصدور والمناكب، كما صح عنه ﷺ في حديث أبي مسعود الأنصاري أنه كان يأتينا ﷺ فيمسح على

---

(١) سبق تخريجه.

عواتقنا وصدورنا ويقول: «**لا تختلفوا فتختلف قلوبكم**»[١] وبذلك نبههم قولا وأرشدهم فعلا إلى المطلوب، وفَهِم الصحابة رضوان الله عليهم عنه ما أراد، من أن القلب لا بد أن يتفق مع القالب، حتى إذا عقلوا عنه ذلك المطلب في المحافظة على استقامة الصف، وعدم اعوجاجه واضطرابه امتثلوا ذلك وطبقوه من بعده فكان ما طلبه منهم عليه الصلاة والسلام لتحقيق أموراً منها:

أولاً: تعديل الصفوف واستقامتها وعدم اعوجاجها.

ثانياً: استواؤها وعدم اضطرابها، بتقدم البعض عن الصف، أو تأخر البعض عنه، مما يترتب معه عدم استواء الأقدام والمناكب.وقد روي عنه ﷺ أنه قال: «**إن الله لا ينظر إلى الصف الأعوج**».

ثالثاً: التقارب بين المصلين في الصف، وعدم ترك الفجوات، فيُحَاذى بين المناكب، ويُقارَب بين الأقدام لتلافي الثغرات، التي يتخذ الشيطان منها أوكاراً لإفساد صلاة المصلين، والتشويش عليهم، وبذر بذور الخلاف بينهم ولذلك روي عنه ﷺ أنه قال «**تقاربوا ولا تدعوا فرجاً للشيطان**». وفي الأثر أن الشيطان ينفذ من بين فرج المصلين مثل الخذف.

رابعاً: عدم التأخر عن الصفوف الأُول وإدراك فضل الصلاة فيها. عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول**»[٢]. وعن عائشة رضي الله عنها

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) صحيح أبي داود ٦٧٠.

قالت: قال رسول الله ﷺ: «**لا يزال قوم يتأخرون عن الصف الأول حتى يؤخرهم الله في النار**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا عليه**»(٢).

ولا ينبغي ترك الفجوات بين المصلين وهذا ما ترجم له البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه فقال: «**باب إلزاق المنكب بالمنكب، والقدم بالقدم في الصف**». وأورد في ذلك حديث النعمان بن بشير قال: «**رأيت الرجل منّا يلزق منكبه بمنكب صاحبه، وركبته بركبة صاحبه، وكعبه بكعب صاحبه**»(٣).

وعن أنس عن النبي ﷺ قال: «**أقيموا صفوفكم، فإني أراكم من وراء ظهري**». قال أنس رضي الله عنه: «**وكان أحدنا يلزق منكبه بمنكب صاحبه، وقدمه بقدمه**»(٤).

فهذا هو الذي ينبغي أن تكون عليه صفوف المصلين لا كما يفعله بعض المصلين هذه الأيام من الإبتعاد عمن بجانبهم وإذا اقترب منهم ابتعدوا عنه. وهذا خلاف ما أمر به المصطفى صلوات الله وسلامه عليه.

* * *

(١) صحيح سنن أبي داود ٦٣٠.
(٢) رواه البخاري ومسلم.
(٣) رواه البخاري.
(٤) رواه البخاري.

السبب السابع عشر

الحضور للصلاة بملابس نظيفة مطيبة

قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾[١]. وقد قال ﷺ: «**كل واشرب والبس في غير إسراف ولا مخيلة**»[٢].

وقد ذكر ابن القيم في زاد المعاد هدي النبي ﷺ في لباسه فقال إنه كان ﷺ من أحسن الناس لباساً. كانت له عمامة تسمى السحاب كساها علياً وكان يلبسها ويلبس تحتها القلنسوة وكان يلبس القلنسوة بغير عمامة ويلبس العمامة بغير قلنسوة وكان إذا اعتم أرخى عمامته بين كتفيه[٣]. كما في حديث عمرو بن حريث قال: «**رأيت رسول الله ﷺ على المنبر وعليه عمامة سوداء قد أرخى طرفيها بين كتفيه**»[٤].

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه «**أن رسول الله ﷺ دخل مكة وعليه عمامة سوداء**»[٥]، ولم يذكر في حديث جابر ذؤابة فدل على أن الذؤابة لم يكن يرخيها دائماً بين كتفيه وقد يقال إنه دخل مكة وهو على

---

(١) سورة الأعراف آية ٣١.

(٢) رواه أبو داوود وأحمد وعلقه البخاري.

(٣) أخرجه البخاري معلقاً كتاب الباس. ورواه النسائي أيضاً. ورواه ابن ماجه.

(٤) رواه مسلم برقم (١٣٥٩) وأبوداود برقم (٤٠٧٧) والنسائي وابن ماجه وأحمد.

(٥) رواه مسلم برقم (١٣٥٨) والترمذي برقم (١٦٧٩) وأبوداوود (٤٠٧٦).

أهبة القتال والمغفر على رأسه فلبس في كل موطن ما يناسبه.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «**أن ملك الروم أهدى للنبي ﷺ مستقة من سندس فلبسها فكأني أنظر إلى يديه تذبذبان**»(١). قال الأصمعي: المساتق فراء طوال الأكمام. وقال الخطابي: يشبه أن تكون هذه المستقة مكففة بالسندس لأن نفس الفروة لا تكون سندساً.

ولبس الخفين ولبس النعل الذي يسمى التاسومة.

ولبس الخاتم واختلفت الأحاديث هل كان في يمناه أو يسراه وكلها صحيحة السند.

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: «**هذه جبة رسول الله ﷺ فأخرجت جبة طيالسة كسروانية لها لبنة ديباج وفرجاها مكفوفان بالديباج فقالت: هذه كانت عند عائشة حتى قبضت فلما قبضت فبضتها وكان النبي ﷺ يلبسها فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بها**»(٢). وكان له بردان أخضران وكساء أسود وكساء أحمر ملبد وكساء من شعر. وكان أحب الثياب إليه القميص والحبرة وهي ضرب من البرود فيه حمرة. وكان أحب الألوان إليه البياض وقال ﷺ: «**هي من خير ثيابكم فالبسوها وكفنوا فيها موتاكم**»(٣). وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها «أنها أخرجت كساءً ملبداً وإزاراً غليظاً فقالت: «**قبض رسول الله ﷺ في هذين**»(٤).

---

(١) رواه أحمد وأبو داوود.

(٢) رواه مسلم (٢٠٦٩).

(٣) رواه أبوداوود (٣٨٧٨) والترمذي (٩٩٤) وابن ماجه (١٤٧٢) وأحمد (١/ ٢٤٧).

(٤) رواه البخاري (١٠/ ٢٣٥) ومسلم برقم (٢٠٨٠).

ولبس خاتماً من ذهب ثم رمى به ونهى عن التختم بالذهب ثم اتخذ خاتماً من فضة ولم ينه عنه. وكان يجعل فص خاتمه مما يلي باطن كفه وذكر الترمذي وصححه «**أنه كان إذا دخل الخلاء نزع خاتمه**»(١).

وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: «**لقد رأيت على رسول الله ﷺ أحسن ما يكون من الحلل**»(٢).

وعن أبي رمثة رضي الله عنه قال: «**رأيت رسول الله ﷺ يخطب وعليه بردان أخضران**»(٣) انتهى كلام ابن القيم(٤).

فهكذا كان هديه ﷺ في اللباس فقد كان أحسن الناس لباساً وهو الذي يقول صلوات ربي وسلامه عليه: «**إن الله جميل يحب الجمال**»(٥).

وثبت عنه أنه قال: «**إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده**»(٦).

وبعض المصلين هذه الأيام يخالف هدي المصطفى ﷺ في لباسه فيهمل هذا الجانب ويحضر إلى المسجد بملابس قد يستحي أن يقابل بها الناس فضلاً عن أن يأتي بها إلى المسجد ولربما أتى في ثياب نوم أو ملابس شفافة لا تصح الصلاة فيها أو بملابس يتأذى المصلين برائحتها فهذا خلاف هديه ﷺ.

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في بدء الغسل: «**كان الناس**

---

(١) رواه الترمذي برقم (١٧٤٦).

(٢) رواه أبوداوود برقم (٤٠٣٧).

(٣) رواه النسائي (٨/ ٢٠٤).

(٤) زاد المعاد (١/ ١٣٧).

(٥) رواه مسلم وهو في السلسلة الصحيحة برقم ١٦٢٦.

(٦) السلسلة الصحيحة برقم ١٦٢٦.

يلبسون الصوف ويعملون والمسجد ضيق فخرج عليهم رسول الله ﷺ في يوم حار وقد عرق الناس في ذلك الصوف حتى ثارت منهم رياح وآذى بعضهم بعضاً فأمرهم بالغسل والمس من الطيب»[١]. وقال ﷺ: «لو أنكم تطهرتم ليومكم هذا»[٢]. وقال ﷺ: «أما يجد أحدكم ما يغسل به ثوبه».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ولبس من صالح ثيابه»[٣]. وفي رواية: «ولبس أحسن ثيابه»[٤].

وكان يقول ﷺ وهو على المنبر: «ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبي مهنته»[٥].

وقال ﷺ: «أحسن ما زرتم الله في مساجدكم البياض»[٦].

وقد قال عمر بعد أن رأى حلة جميلة في السوق: «يا رسول ابتع هذه فتجمل بها للجمعة والوفد»[٧]، فأقره على مشروعية التجمل.

وقال ﷺ: «البسوا من ثيابكم البياض فإنها من خير ثيابكم»[٨].

ويستحب للمصلي أن يحضر للصلاة وهو متطيب فالرسول ﷺ كان

---

(١) رواه أبو داوود.

(٢) جزء من حديث في صحيح البخاري.

(٣) رواه ابن ماجه.

(٤) رواه أحمد في مسنده.

(٥) رواه أبو داوود.

(٦) رواه ابن ماجه.

(٧) رواه البخاري ومسلم.

(٨) رواه الترمذي وصححه. ورواه غيره.

يحب الطيب فقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «حبب إلي من دنياكم النساء والطيب». وقد حث أصحابه على المس من الطيب كما في حديث ابن عباس السابق. فهذه الأحاديث تدل على أن التجمل ولبس الثياب النظيفة ومس الطيب مشروع عند الحضور إلى الصلاة.

فعلى المسلم أن يحضر إلى الصلاة بملابس نظيفة معطرة لأنه سيقدم على ملك الملوك سبحانه فقد كان بعض السلف يجعلون أفضل ما عندهم من الملابس لقيام الليل ولحضور الصلاة ولا يلبسونها إلا عند ذلك.

* * *

السبب الثامن عشر

الصـــــلاة إلـــى ســـــترة

إن الصلاة إلى سترة والدنو منها له أثر في الخشوع في الصلاة وحضور القلب فإن ذلك أقصر لنظر المصلي وأحفظ له من الشيطان وأبعد له عن مرور الناس بين يديه. ومن العلماء من يرى وجوبها وقد رجح الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى إنها سنة مؤكدة.

قال ﷺ: **«إذا صلى أحدكم فليصل إلى سترة وليدن منها»**[١]. وقال أيضاً: **«إذا صلى أحدكم فليستتر وليقرب من السترة فإن الشيطان يمر بين يديه»**[٢]. والدنو منها هو أن يكون بينه وبينها ثلاثة أذرع كما ذكر ذلك العلماء.

ويستثنى من ذلك المار بين الصفوف في صلاة الجماعة فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: **«أقبلت راكباً على حمار أتان وأنا يومئذ قد ناهزت الاحتلام ورسول الله ﷺ يصلي بالناس بمنى إلى غير جدار فمررت بين يدي بعض الصف فنزلت وأرسلت الأتان ترتع ودخلت في الصف فلم ينكر ذلك علي أحد»**[٣].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أبو داوود والترمذي.

(٣) أخرجه البخاري كتب الصلاة باب سترة الإمام سترة من خلفه برقم ٤٩٣. ومسلم. وهو في صحيح سنن أبي داود برقم ٧٠٩.

وعن عبدالله بن عمرو قال: «هبطنا مع رسول الله ﷺ من ثنية أذاخر فحضرت الصلاة فصلى إلى جدار فاتخذه قبلة ونحن خلفه فجاءت بهيمة تمر بين يديه فما زال يدارئها حتى لصق بطنه بالجدار ومرت من ورائه» ويؤخذ من ذلك أن المصلي يدفع كل ما يمر بينه وبين سترته حتى لو تحرك ومشى. وليدافعه ما استطاع كل بحسبه. فقد قال صلى اله عليه وسلم: **«إذا كان أحدكم يصلي فلا يدع أحداً يمر بين يديه فإن أبى فليقاتله فإن معه القرين»**(١).

وعن أبي صالح قال: رأيت أبا سعيد في يوم الجمعة يصلي إلى شيء يستره من الناس فأراد شاب من بني أبي معيط أن يمر بين يديه فدفعه أبوسعيد في صدره فنظر الشاب فلم يجد مساغاً إلا بين يديه فعاد ليجتاز فدفعه أبوسعيد أشد من الأولى فنال من أبي سعيد ثم دخل على مروان فشكا إليه ما لقي من أبي سعيد ودخل أبوسعيد خلفه على مروان فقال: مالك ولابن أخيك يا أبا سعيد ؟. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إذا صلى أحدكم إلى شيء يستره من الناس فأراد أحد أن يجتاز بين يديه فليدفعه فإن أبى فليقاتله فإنما هو شيطان»**(٢).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: **«أن رسول الله ﷺ كان إذا خرج يوم العيد أمر بالحربة فتوضع بين يديه فيصلي إليها والناس وراءه وكان يفعل ذلك في السفر فمن ثم اتخذها الأمراء»**(٣).

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري كتاب الصلاة باب يرد المصلي من مر بين يديه رقم ٥٠٩..

(٣) رواه البخاري كتاب الصلاة باب سترة الامام سترة من خلفه رقم ٤٩٤.

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: «**كان بين مصلى رسول الله ﷺ وبين الجدار ممر شاة**»[١]. ولذلك كان أصحاب النبي ﷺ يبتدرون السواري يصلون إليها فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «**لقد رأيت كبار أصحاب النبي ﷺ يبتدرون السواري عند المغرب**»[٢]. وقال عمر رضي الله عنه: «المصلون أحق بالسواري من المتحدثين إليها». ورأى عمر رجلاً يصلي بين أسطوانتين فأدناه إلى سارية، فقال: صل إليها[٣].

مقدار سترة المصلي:

هذا نص لفتوى الشيخ عبدالعزيز بن باز حول مقدار السترة نشرت في (مجلة الدعوة) في ٢٣ / ١٠ / ١٤١٣ هـ

س: ما مقدار سترة المصلي؟ ومن الذي يقطع الصلاة ؟ وإذا قطعت الصلاة هل تعاد أم لا ؟

ج: بسم الله والحمد لله، سترة المصلي هي مقدار مؤخرة الرحل كما بين ذلك النبي ﷺ وهي تقارب ذراعاً إلا ربعاً وإذا كان أمام المصلي جدار أو عمود أو كرسي بهذا المقدار أو نحو ذلك كفى في السترة فإن لم يجد وضع شيئا كعصا أو نحوها أو خط خطا إن كان في أرض يتضح فيها الخط مع العلم بأن السترة سنة وليست واجبة لقول النبي ﷺ: «**إذا صلى أحدكم فليصل إلى سترة وليدن منها**». وثبت عنه ﷺ أنه صلى في بعض الأماكن إلى غير سترة فدل ذلك على أن الأمر بالسترة للاستحباب لا

---

(١) رواه البخاري كتاب الصلاة باب قدر كم ينبغي أن يكون بين المصلي والسترة رقم ٤٩٦.

(٢) رواه البخاري كتاب الصلاة باب الصلاة إلى الإسطوانة رقم ٥٠٣.

(٣) رواه البخاري في أول باب الصلاة إلى الأسطوانة.

للوجوب، وقد صح عنه ﷺ أنه قال في حديث أبي ذر رضي الله عنه: «**يقطع صلاة الرجل إذا لم يكن بين يديه مثل آخرة الرحل. المرأة والحمار والكلب الأسود**»، وحديث أبي هريرة رضي الله عنه لكن ليس فيه تقييد الكلب بالأسود، والمطلق يحمل على المقيد عملاً بالقاعدة الشرعية المتبعة المنصوص عليها في كتب الأصول ومصطلح الحديث. وقد صح من حديث ابن عباس رضي الله عنهما تقييد المرأة بالحائض وهي البالغة فدل ذلك على أن الصغيرة لا تقطع الصلاة، والمشروع للمسلم أن يرد من يريد المرور بين يديه من إنسان أو غيره لقول النبي ﷺ: «**إذا صلى أحدكم إلى شيء يستره من الناس فأراد أحد أن يمر بين يديه فليمنعه فإن أبى فليقاتله فإنما هو شيطان**». وهذا الحكم يخص الإمام والمنفرد، أما المأموم فسترته سترة إمامه، ولا يضره من مر بين يديه من هذه الثلاث وغيرها. ويستثنى من ذلك أيضا المسجد الحرام فإنه لا يضر المصلي فيه من مر بين يديه لأدلة معلومة في ذلك. انتهى كلامه يرحمه الله.

إن السترة ما شرعت للمصلي إلا لحكم وليس عبثاً ومن ذلك. إنها تصرف نظر المصلي إلى موضع سجوده وذلك أقصر لنظره وهو مما يعينه على عدم الالتفات والنظر إلى غير موضع السجود وهو مما يعين على الخشوع في الصلاة.

* * *

السبب التاسع عشر

المحافظة على السنن التي في الصلاة

ومن ذلك تنويع الآيات والأذكار والأدعية الواردة في الصلاة وهو من السنة ومن فعل المصطفى عليه الصلاة والسلام. وهو يشعر المصلي بتجديد المعاني فلم يكن ﷺ يداوم على دعاء معين أو آيات معينة في صلاته. وربما قد تكون الحكمة في ذلك أن لا يداوم على دعاء معين فيألفه حتى يصبح له عادة فلا يستشعر معانيه.

ومن ذلك ما ورد عنه ﷺ في عدم الاقتصار على دعاء استفتاح واحد فكان ﷺ يستفتح تارة بقوله: «**اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد اللهم نقني من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس**»(١).

وتارة يقول: «**وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا مسلما وما أنا من المشركين إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين**»(٢).

وتارة يستفتح بهذا الدعاء: «**اللهم أنت ربي وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعها إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت وأهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيء**

---

(١) رواه البخاري برقم (١٩١) ومسلم برقم (٥٩٨) (١٤٧) وأبوداود (٧٨١).

(٢) رواه مسلم برقم (٧٧١) وأبوداود (٧٦٠) وأحمد (٧٢٩) وابن حبان (٤٤٥).

الأخلاق لا يصرف عني سيئها إلا أنت لبيك وسعديك والخير كله بيديك والشر ليس إليك أنا بك وإليك تباركت وتعاليت أستغفرك وأتوب إليك»[١].

وتارة يقول: «اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»[٢].

وتارة يقول كما روي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه كبر ثم قال «اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن أنت الحق ووعدك حق والجنة حق والنار حق والساعة حق ومحمد ﷺ حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وإليك حاكمت وعليك توكلت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت»[٣]. الحديث.

وتارة يقول: «الله أكبر الله أكبر الله أكبر الحمد لله كثيرا الحمد لله كثيرا الحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا سبحان الله بكرة وأصيلا سبحان الله بكرة وأصيلا اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم من همزه

---

(١) رواه مسلم برقم (٧٧١) وأبوداود (٧٦٠) وأحمد (٧٢٩) وابن حبان (٤٤٥).
(٢) رواه مسلم (٧٧٠).
(٣) رواه البخاري ومسلم برقم (٧٦٩).

ونفخه ونفثه»[١].

وتارة يقول: «الله أكبر عشر مرات ثم يسبح عشر مرات ثم يحمد عشراً ثم يهلل عشراً ثم يستغفر عشراً ثم يقول اللهم اغفر لي واهدني وارزقني وعافني عشراً ثم يقول اللهم إني أعوذ بك من ضيق المقام يوم القيامة عشراً»[٢].

وروي عنه أنه كان يستفتح بقوله: «سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك»[٣] ذكر ذلك أهل السنن وقد روي مثله من حديث عائشة رضي الله عنها.

وقد ثبت عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يستفتح به أي بالأخير في مسجد النبي ﷺ ويجهر به ويعلمه الناس وقال الإمام أحمد أما أنا فأذهب إلى ما روي عن عمر ولو أن رجلا استفتح ببعض ما روي عن النبي ﷺ من الاستفتاح كان حسناً.

والأحاديث الواردة في الاستفتاحات التي قبله أثبت منه.

وإنما اختار الإمام أحمد هذا لجهر عمر به يعلمه الصحابة ولاشتماله على أفضل الكلام بعد القرآن فإن أفضل الكلام بعد القرآن؛ سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر وقد تضمنها هذا الاستفتاح مع تكبيرة الإحرام ومنها أنه استفتاح تضمن الثناء على الله.

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٨٠) وأبوداود (٧٦٤) وابن ماجه (٨٧).

(٢) حديث صحيح رواه أبوداوود (٨٦٦) والنسائي (٣/ ٢٠٩) وابن ماجه (١٣٥٦) وأحمد (٦/ ١٤٣) والطبراني في الأوسط (٦٢/ ٢).

(٣) رواه أبوداود برقم (٧٧٥) والترمذي (٢٤٢) وأحمد (٣/ ٥٠).

وغيره متضمن للدعاء والثناء أفضل من الدعاء ولهذا كانت سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن لأنها أخلصت لوصف الرحمن تبارك وتعالى والثناء عليه ولهذا كان سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر أفضل الكلام بعد القرآن فيلزم أن ما تضمنها من الاستفتاحات أفضل من غيره من الاستفتاحات. ومنها أن غيره من الاستفتاحات عامتها إنما هي في قيام الليل في النافلة وهذا كان عمر يفعله ويعلمه الناس في الفريضة. ومنها أن هذا الاستفتاح إنشاء للثناء على الرب تعالى متضمن للإخبار عن صفات كماله ونعوت جلاله والاستفتاح بغيره المتضمن للدعاء إخبار عن عبودية العبد وبينهما من الفرق ما بينهما.

فكل هذه الأنواع صحت عنه ﷺ[1].

وكان يقول ﷺ بعد ذلك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم يقرأ الفاتحة وكان يجهر بـ بسم الله الرحمن الرحيم تارة ويخفيها أكثر مما يجهر بها ولكن الأكثر أنه كان لا يجهر بها.

فمن أراد أن يصيب السنة فلا يقتصر على دعاء واحد بل ينوع في الدعاء ويأخذ من كل ما صح عنه ﷺ أنه كان يفعله في الصلاة.

ومن تلك السنن رفع اليدين عند التكبير وهو سنة وليس بواجب، **وقد أُثر عن النبي ﷺ رفع يديه في أربع مواضع**، وهي: ١- عند تكبيرة الإحرام ٢- عند الركوع ٣- عند الرفع من الركوع ٤- عند القيام للركعة الثالثة. ولم يرد في غير ذلك من المواضع. أما قوله «الله أكبر» فهو ركن في تكبيرة الإحرام، وواجب عند كل خفض ورفع «أي عند كل انتقال من

---

(١) زاد المعاد (١/ ٢٠٣).

السجود إلى القيام ومن القيام إلى الركوع أو ما أشبه ذلك». فالقول هو الواجب، وحركة اليدين سنة في المواضع المذكورة فقط.

ومن السنن أيضاً إطالة الركعة الأولى أكثر من الثانية قال ابن القيم في زاد المعاد: وكان ﷺ يطيل الركعة الأولى على الثانية من صلاة الصبح ومن كل صلاة وربما كان يطيلها حتى لا يسمع وقع قدم وكان يطيل صلاة الصبح أكثر من سائر الصلوات وهذا لأن قرآن الفجر مشهود يشهده الله تعالى وملائكته وقيل يشهده ملائكة الليل والنهار والقولان مبنيان على أن النزول الإلهي في ثلث الليل الآخر يدوم إلى انقضاء صلاة الصبح أو إلى طلوع الفجر وقد ورد فيه هذا وهذا[١].

ومن تلك السنن أيضاً المحافظة على السواك قال ﷺ: **«لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة»**[٢]. فالسواك مطهرة للفم مرضاة للرب وكان ﷺ يحافظ عليه حتى في مرض موته فإنه لما دخل عليه عبدالرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما وهو في مرضه الذي مات فيه ورأى معه سواكاً فأبده نظره (أي أطال النظر إليه) فعرفت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنه يريده وكان يحب السواك فأخذته ولينته ثم أعطته للنبي ﷺ فاستاك به.

ومما يعين على الخشوع في الصلاة الإكثار من الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم لأنه حريص على إفساد صلاة العبد وقد أقسم بعزة الله ليغوين بني آدم أجمعين. وقد أخبر الله سبحانه عنه أنه قال: ﴿قَالَ فَبِمَآ

---

(١) زاد المعاد (١/ ٢١٠).

(٢) رواه البخاري برقم ٨٨٧.

أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾[1]. فعلى المسلم أن يعلم أن الشيطان يريده أن يخرج من الصلاة وكأنه ما صلى لأنه يأتيه ويذكره أموراً ربما لا يذكرها في غير الصلاة فينبغي للمصلي أن يكثر من الاستعاذة منه ومجاهدة النفس في دفع هذه الوساوس. عن أبي العاص رضي الله عنه قال: يا رسول الله إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها علي فقال الرسول ﷺ: «**ذاك شيطان يقال له خنزب فإذا أحسسته فتعوذ بالله واتفل على يسارك ثلاثاً**»[2].

ومن ذلك أيضاً عدم الاقتصار على دعاء معين أثناء السجود وقبل السلام فقد جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ الصحيحة الكثير من الأدعية التي كان يدعو بها ﷺ. فينبغي أن لا يقتصر المصلي على دعاء واحد فيصبح عنده كالعادة يتلفظ به ولا يدرك معناه.

* * *

(١) سورة الأعراف آية ١٦-١٧.

(٢) السلسلة الصحيحة برقم ٢٩١٨ و٤٨٥ باختلاف يسير في الألفاظ.

السبب العشرون

التعرف على أحوال الخاشعين في الصلاة

وقدوتهم وأسوتهم في ذلك رسول الله ﷺ فهو إمام المتقين وأفضل الخاشعين لله رب العالمين. .. كانت خديجة رضي الله عنها تجده في الليل يصلي وفي النهار يدعو إلى الله تعالى ويعلم ويجاهد ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فتسأله يا رسول الله أنت لا تنام؟. فيقول لها: **«مضى زمن النوم يا خديجة»**.

ويدخل مع بعض نسائه في الفراش ذات ليلة وهي أم المؤمنين عائشة حتى يمس جلده جلدها... ثم يستأذنها قائلا: **«دعيني أتعبد لربي»**... فتقول: والله إني لأحب قربك. .. ولكني أؤثر هواك. قالت: فقام إلى القربة ولم يكثر صب الماء ثم قام يصلي فبكى حتى بل لحيته ثم سجد وبكى حتى بل الأرض ثم أضطجع على جنبه فبكى حتى إذا أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح. قالت: فقال يارسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر. فقال: يابلال وما يمنعني أن أبكي وقد أنزل الله علي الليلة ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[1] ويل لمن قرأها ثم لم يتفكر فيها[2]. قام ﷺ حتى تفطرت قدماه فقيل له يا رسول الله: إنه قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما

---

(١) سورة آل عمران ١٩٠.

(٢) صحيح أبن حبان ٢/ ٣٨٦ وتفسير القرطبي ٤/ ٣١٠ وتفسير ابن كثير المحقق ٢/ ١٦٤.

تأخر فيقول صلوات ربي وسلامه عليه: «أفلا أكون عبداً شكوراً». فهذا هو القدوة وهذا هو الأسوة الذي ما أمر بأمر إلا كان أول الممتثلين له وما نهى عن نهي إلا كان أول المنتهين عنه.

فلم يكن يلهيه مال ولا دنيا ولا حبيب ولا قريب عن التعبد لله رب العالمين.

وكذلك كان أصحابه رضوان الله عليهم فقد كان أبوبكر الصديق رضي الله عنه كثير البكاء في صلاته حتى إن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها راجعت النبي ﷺ عندما قال «قبل وفاته بأيام»: مروا أبا بكر فليصل بالناس فقالت: يا رسول الله إن أبا بكر رجل بكاء أي كثير البكاء من خشية الله سبحانه وتعالى.

وعمر رضي الله عنه وأرضاه كان كثيراً ما يقرأ بالناس في صلاة في الفجر بسورة يوسف وسورة النحل وكان يسمع نشيجه وبكائه من وراء الصفوف.

يقول ابن مسعود رضي الله عنه: «لم يكن بين إسلامنا وبين نزول هذه الآية إلا أربع سنوات، فعاتبنا الله تعالى فبكينا لقلة خشوعنا لمعاتبة الله لنا فكنا نخرج ونعاتب بعضنا بعضا نقول: ألم تسمع قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾[1]. فيسقط الرجل منا يبكي على عتاب الله لنا. . فهل شعرت أنت أيها المسلم أن الله

(١) سورة الحديد آية ١٦.

تعالى يعاتبك بهذه الآية ؟؟.

وكان الحسن بن علي رضي الله عنهما إذا دخل في الصلاة ارتعش واصفر لونه فإذا سئل عن ذلك قال: أتدرون بين يدي من أقوم الآن ؟.

وكان أبوه علي رضي الله عنه إذا توضأ ارتجف فإذا سئل عن ذلك قال: الآن أحمل الأمانة التي عرضت على السماء والأرض والجبال فأبين أن يحملها وأشفقن منها وحملتها أنا.

وروي أن أبا طلحة الأنصاري رضي الله عنه كان يصلي في بستانه ذات يوم ورأى طيراً يخرج من بين الشجر فتعلقت عيناه بالطائر حتى نسي كم صلى، فذهب إلى الطبيب ﷺ يبكي ويقول: «يا رسول الله، إني انشغلت بالطائر في البستان حتى نسيت كم صليت، فإني أجعل هذا البستان صدقة في سبيل الله. . فضعه يا رسول الله حيث شئت لعل الله يغفر لي».

وكان عبدالله بن الزبير رضي الله عنه يسجد، فأتى المنجنيق فأخذ طائفة من ثوبه، وهو في الصلاة لا يرفع رأسه.

وقال الحسن رحمه الله: سمعهم عامر بن عبد قيس وما يذكرون من ذكر الضيعة في الصلاة قال: تجدونه قالوا: نعم. قال: والله لأن تختلف الأسنة في جوفي أحب إلي من أن يكون هذا في صلاتي.

ويقول أبوبكر بن عياش: رأيت حبيب بن أبي ثابت ساجداً فلو رأيته قلت ميت. يعني من طول السجود.

وقال ابن وهب: رأيت الثوري في الحرم بعد المغرب صلى ثم سجد سجدة فلم يرفع حتى نودي بالعشاء.

وقد صلى أبوعبدالله النياحي يوماً بأهل طرطوس فصيح بالنفير فلم يخفف الصلاة فلما فرغوا قالوا: أنت جاسوس قال: ولم. قالوا صيح بالنفير وأنت في الصلاة فلم تخفف قال: ما حسبت أن أحداً يكون في الصلاة فيقع في سمعه غير ما يخاطب به الله عز وجل.

وعن ميمون بن حيان قال: ما رأيت مسلم بن يسار ملتفتاً في صلاته قط. خفيفة أو طويلة ولقد انهدمت ناحية المسجد ففزع أهل السوق لهدمه وإنه في المسجد في صلاته فما التفت.

وعندما سئل خلف بن أيوب ألا يؤذيك الذباب في صلاتك فتطردها؟ قال: لا أعود نفسي شيئاً يفسد علي صلاتي وقيل له كيف تصبر على ذلك؟ قال: بلغني أن الفساق يصبرون تحت أسواط السلطان فيقال فلان صبور ويفتخرون بذلك فأنا قائم بين يدي ربي أفأتحرك لذباب فلله دره يقول الله سبحانه ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾[1].

وكان عطاء بن أبي رباح بعد ما كبر وضعف يقوم إلى الصلاة فيقرأ مائتي آية من سورة البقرة وهو قائم لا يزول منه شيء ولا يتحرك.

وعن ميمون بن مهران قال: نظر رجل من المهاجرين إلى رجل يصلي فأخف الصلاة فعاتبه فقال: إني ذكرت ضيعة لي. فقال: أكبر من الضيعة أضعتها.

وكان ميمون رحمه الله يقول وهو ساجد: ربي اغفر لي ربي، اغفر لي، رب اعف عني، إن تعف عني فمن فضلك وإن تعذبني غير ظالم لي

---

(١) سورة المدثر آية ٧.

ولا مسبوق ثم يبكي حتى يسمع نحيبه من وراء المسجد.

وكان إبراهيم التميمي إذا سجد تجيء العصافير فتستقر على ظهره كأنه جذع أو حائط لا يتحرك منه شيء.

وكان سعيد بن جبير يردد هذه الآية في الصلاة بضعاً وعشرين مرة وهي قوله سبحانه: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[1].

فهذا كان حالهم في صلاتهم وهكذا كان خشوعهم وتذللهم لله ربهم فهل من مقتد وهل من متأس فهم والله خير سلف لخير خلف.

قال الإمام الغزالي: استجمع قلبك في ثلاثة مواضع عند قراءة القرآن وعند الصلاة وعند ذكر الموت، فإن لم تجدها في هذه المواضع فاسأل الله أن يمن عليك بقلب فإنه لا قلب لك.

وهذا ما جعل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول وهو على المنبر: «إن الرجل ليشيب عارضاه في الإسلام وما أكمل لله تعالى صلاة. قيل: وكيف ذلك؟ قال: لا يتم خشوعها وتواضعها وإقباله على الله عز وجل فيها». فكم من مصل ببدنه وقلبه متعلق بغير الله.

يقول الإمام الغزالي رحمه الله: إن الرجل ليسجد السجدة يظن أنه تقرب بها إلى الله سبحانه وتعالى، ووالله لو وزع ذنب هذه السجدة على أهل بلدته لهلكوا، فسئل كيف ذلك؟؟ فقال: يسجد برأسه بين يدي مولاه، وهو منشغل باللهو والمعاصي والشهوات وحب الدنيا. .. فأي

---

(١) سورة البقرة آية ٢٨٢.

سجدة هذه ؟؟.

ولو استشعر العبد حقيقة الموقف وتيقن بأنه بين يدي من لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء لما كان ببدنه في صلاته وقلبه مع شهواته.

إن في معرفة سير الصالحين والعباد وكيف كان حالهم في صلاتهم لعبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشـــبه بالكـرام فـلاح

* * *

السبب الحادي العشرون

اجتنـــاب الذنـــوب والمعاصـــي

إن الذنوب والمعاصي سموم وأمراض فتاكة تدخل على القلب فتفسده. وتضعف أو تقطع بالكلية سيره إلى ربه ومولاه. وتجعله ميالاً إلى المنكرات والسيئات بعيداً عن الخيرات والطاعات. أو على أحسن الأحوال ميالاً إلى التوسع في المباحات متثاقلاً عن الطاعات والعبادات. ومن أراد التوفيق إلى الخشوع في صلاته فليحذر الذنوب والمعاصي فإنه لا يوفق إليه من تلطخ بالذنوب ومعصية علام الغيوب.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾(١). ويقول سبحانه: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٢).

فإذا أصيب المسلم بمصيبة فعليه بمراجعة نفسه ومحاسبتها يجد أن ذلك من ذنوبه وتقصيره. فإن ما أصاب الأمم السابقة من عذاب وتنكيل هو بسبب ما وقعوا فيه من ذنوب ومعاصي قال سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾(٣). وقال سبحانه عن قوم نوح:

---

(١) سورة الشورى آية ٣٠.

(٢) سورة آل عمران آية ١٦٥.

(٣) سورة هود آية ١١٧.

﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔاتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾[1]. أي بسبب خطيئاتهم أغرقوا.

قال علي بن أبي طالب رضي الله: «ما نزل بلاء إلا بذنب وما رفع إلا بتوبة».

قال رجل لإبراهيم بن أدهم رحمه الله: «إني لا أقدر على قيام الليل فصف لي دواء؟ قال: لا تعصه بالنهار وهو يقيمك بالليل، فإن وقوفك بين يديه في الليل من أعظم الشرف وأنت لا تستحق هذا الشرف».

وقال رجل للحسن البصري رحمه الله: يا أبا سعيد إني أبيت معافى وأحب قيام الليل وأعد طهوري فما بالي لا أقوم فقال الحسن: «ذنوبك قيدتك».

وقال أيضاً: «إن العبد ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل وصيام النهار».

وقال أبوسفيان الداراني رحمه الله: «لا تفوت عبد صلاة الجماعة إلا بذنب».

وقال سفيان الثوري رحمه الله: «حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته».

فأهل الذنوب والمعاصي لما هانوا على الله سبحانه بارتكابهم المعاصي كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين.

فالمسلم قد يحرم الخشوع في صلاته بذنوب ومعاصي ارتكبها ولم

---

(١) سورة نوح آية ٢٥.

يعبأ بها فعقوبة الله سبحانه لا يشترط أن تكون صاعقة من السماء أو صيحةً أو خسفاً أو تدميراً أو غيره وإن من أعظم المصائب المصيبة في الدين وحرمان الخشوع في الصلاة وركوب القلب لبحر الأماني.

وقد كان من دعائه ﷺ: «**اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا**».

فالواجب على من أراد أن يوفقه الله سبحانه إلى الخير أن يبتعد كل البعد عن ارتكاب الذنوب والمعاصي لأن الحسنة تجر الحسنة والسيئة تجر السيئة.

* * *

السبب الثاني والعشرون

عدم الإكثار من الأكل والشرب

من العوائق المهمة التي تصرف المرء عن الخشوع في صلاته الإكثار من الأكل والشرب والإفراط فيهما لأن من أكل أو شرب كثيراً نام كثيراً فخسر كثيراً.

وقد حذرنا النبي ﷺ من الإفراط فيهما. عن أبي جحيفة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لرجل تجشأ في مجلسه: «**أقصر من جشائك فإن أكثر الناس شبعاً في الدنيا أكثرهم جوعاً يوم القيامة**»(١).

وذم النبي ﷺ أقواماً أتخذوا السمنة هدفاً وغاية لهم وطلبوها وأحبوها وحرصوا عليها.فعن عمر بن هين رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يأتي من بعدهم قوم يتسمنون ويحبون السمن يعطون الشهادة قبل أن يسألوها**»(٢).

وقد قال ﷺ: «**ما ملأ ابن آدم وعاءً شراً من بطنه بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه**»(٣).

قال وهب بن منبه رحمه الله تعالى: «ليس من بني آدم أحب إلى

---

(١) حسنه الألباني برقم ١١٩٠.

(٢) السلسلة الصحيحة برقم ٣٢٩٠..

(٣) أخرجه أحمد والترمذي.

شيطانه من الأكول النوام».

عن وهيب بن الورد رحمه الله قال: «إن الشيطان تبدى ليحيى بن زكريا فقال له يحيى: هل قدرت مني على شيء. قال: لا إلا مرة واحدة فإنك قدمت طعاماً تأكله فلم أزل أشهيه لك حتى أكلت منه مما تريد. فنمت تلك الليلة فلم تقم إلى الصلاة كما كنت تقوم إليها. فقال يحيى عليه السلام: لاضير لاشبعت من طعام قط فقال الشيطان: لا ضير لانصحت أحداً بعدك قط».

وروي أنه وقف بعض الصالحين على شباب يأكلون فقال: «لا تأكلوا كثيراً فتشربوا كثيراً فتناموا كثيراً فتخسروا كثيراً».

جاء رجل إلى العبد الصالح محمد بن سيرين رحمه الله فقال: علمني العبادة. فقال له أخبرني عن نفسك كيف تأكل ؟ فقال: آكل حتى أشبع فقال له ذاك أكل البهائم. قال: فكيف تشرب؟. فقال: أشرب حتى أروى. فقال له: ذاك شرب الأنعام. إذهب فتعلم الأكل والشرب ثم إئتني أعلمك العبادة.

قال عبدالواحد بن زيد رحمه الله: من قوي على بطنه قوي على دينه. ومن قوي على بطنه قوي على الأخلاق الصالحة.

قال مسعر بن كدام رحمه الله تعالى:

وجدت الجوع يطرده رغيف ... وملء الكف من ماء الفرات

وقل الطعم عون للمصلي ... وكثر الطعم عون للسبات

وكثرة الأكل والشرب تجعل الإنسان ينشغل بمزاولة بطنه فإذا كان

في صلاة أشغله ذلك عن صلاته وعن الخشوع فيها؛ فعلى المسلم أن يأكل ما يكفيه بقدر من غير إفراط. فقد روي عنه ﷺ أنه قال: «**نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع**».

* * *

السبب الثالث والعشرون

رجاء الخروج بثواب الصلاة كاملاً

إن المسلم إذا حضر إلى المسجد وهو على علم ويقين بما أعده الله من ثواب عظيم وأجر مضاعف لمن حضر إلى المسجد وهو يريد الصلاة فإن ذلك مما يجعله يحسن في صلاته ويخشع ويتضرع إلى الله سبحانه فيها ويقبل عليها بحضور قلب فمن أحسن في صلاته فصلاته نور تصقل قلبه وتطهره وتزكيه وتقربه من ربه.

قال ﷺ: **«أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء»**. فقالوا: لا يبقى من درنه شيء. قال: **«فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا»**[١].

أيها المسلم إنك ما أتيت وقصدت بيت الله إلا امتثالاً لأمر الله ورجاءً لثوابه سبحانه فلا تضيع ذلك بكثرة الحركة في الصلاة والانشغال عنها بغيرها من أمور الدنيا فإن ذلك ينقص من أجر صلاتك. قال ﷺ: **«إن الرجل لينصرف وما كتب له إلا عشر صلاته تسعها ثمنها سبعها سدسها خمسها ربعها ثلثها نصفها»**[٢]. فالناس متفاوتون في قدر أجورهم في صلاتهم بحسب خشوعهم وإقبالهم عليها وحضور قلوبهم فيها.

---

(١) رواه البخاري في مواقيت الصلاة رقم ٥٢٨ ومسلم في المساجد رقم ٢٢٣. وهذا لفظه والدرن هو الوسخ.

(٢) سبق تخريجه.

وثبت عنه ﷺ أنه قال: «**أسوأ الناس سرقة الذي يسرق في صلاته**» قالوا: يا رسول الله وكيف يسرق من صلاته ؟ قال: «**لا يتم ركوعها ولا سجودها**»(١).

وقال عليه الصلاة وأتم التسليم في بشارة عظيمة للمصلين: «**ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت له كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يأت كبيرة وذلك الدهر كله**»(٢).

وعن سلمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الصلاة مكيال فمن وفى وفي له ومن طفف فقد علمتم ما أنزل الله في المطففين قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾**». والمطفف هو المنقص في الكيل أو الوزن أو الذرع أو الصلاة كما ورد في هذا الحديث(٣). والويل كما ورد في التفاسير أنه واد في جهنم تستغيث جهنم من حره نعوذ بالله منه.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من مصل إلا وملك عن يمينه وملك عن يساره فإن أتمها عرجا بها إلى الله تعالى وإن لم يتمها ضربا بها وجهه**»(٤).

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من توضأ فأحسن الوضوء ثم قام إلى الصلاة فأتم ركوعها وسجودها والقراءة فيها قالت الصلاة: حفظك الله كما حفظتني، ثم يصعد بها إلى السماء ولها ضوء ونور فتفتح لها أبواب السماء حتى ينتهى بها إلى الله تعالى**

---

(١) أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي وصححه الألباني في الصحيحة برقم (٣٩).

(٢) رواه مسلم برقم ٢٣١ كتاب الطهارة.

(٣) من كتاب الكبائر للذهبي الكبيرة الرابعة وهي ترك الصلاة.

(٤) رواه الدارقطني.

فتشفع لصاحبها وإذا لم يتم ركوعها ولا سجودها ولا القراءة فيها إلا قالت الصلاة: ضيعك الله كما ضيعتني، ثم يصعد بها إلى السماء وعليها ظلمة فتغلق دونها أبواب السماء ثم تلف كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجهه»[١].

والصلاة الخاشعة المقبولة بإذن الله سبحانه هي التي تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر وتسمو بروحه فتبعده من كل رذيلة وتقربه من كل فضيلة.

يقول ﷺ: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر»[٢]. وقد سبق الكثير من الأحاديث الواردة في فضلها في السبب الثاني وهو معرفة أهمية الصلاة ومكانتها في الإسلام.

فإذا أدرك المسلم واستشعر الأجر العظيم الذي أعده الله للمصلين وهو مع ذلك يرجو أن يخرج من صلاته بذلك الثواب من غير أن ينتقصه كان ذلك أدعى في حرصه على الخشوع وحضور القلب وعلى أن يخرج بثواب الصلاة كاملاً.

وقد جرت العادة أن الإنسان إذا علم ما يترتب من مصالح وفوائد على ما سيقوم به من عمل فإن ذلك يكون أدعى أن يحرص على تأدية ذلك العمل على أكمل وجه وعدم التقصير فيه.

* * *

(١) رواه البيهقي في الشعب بسند صحيح.
(٢) رواه مسلم.

السبب الرابع والعشرون

اجتناب كثرة الضحك واللهو وفضول الكلام

إن من الأسباب المعينة على الخشوع اجتناب كثرة الضحك واللهو والابتعاد عن الثرثرة واللغو وهذيان الكلام فإن هذه الأمور تسبب موت القلب وغفلته وقسوته وإذا غفل القلب وقسا فلن يسابق إلى الطاعات والخيرات فإن فساد القلب يترتب عليه فساد البدن كله وصلاحه صلاح للبدن كله.

وقدوتنا وأسوتنا في ذلك محمد ﷺ فما كان ضحكه ﷺ إلا تبسماً.

عن عبدالله بن الحارث بن جزء رضي الله عنه قال: «**ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ**». وفي رواية: «**ما كان ضحك الرسول ﷺ إلا تبسماً**»(١).

قال معاذ بن جبل رضي الله عنه: «ثلاث من فعلهن فقد تعرض للمقت. الضحك من غير عجب، والنوم من غير سهر، والأكل من غير جوع.

وكثرة الضحك يقسي القلب وإن أبعد ما يكون من الله القلب القاسي. وإذا قسا القلب كان أبعد ما يكون من الخشوع في الصلاة.

وكثرة الضحك يجعل المسلم ساهياً لاهياً عن ما خلقه الله له. لا يأخذ الأمور بجد ولا يعيش الحياة بجد بل حياته لهو وضحك ولعب لا

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه كتاب المناقب باب في بشاشة النبي ﷺ برقم ٣٦٤٢.

يعرف رسالته في الحياة ولا يعرف الهدف من وجوده.

وكذلك فإن فضول الكلام والقيل والقال مما كرهه الله لعباده فقد ثبت في الحديث أنه ﷺ قال: «**إن الله كره لكم ثلاثاً قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال**».

لذلك كان حرياً بالمسلم أن يضبط لسانه، ويسأل نفسه قبل أن يتحدث عن جدوى الحديث وفائدته وما الذي يترتب على كلامه يقول الله عز وجل: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾(١).

ففي هذه الآية تذكير للمؤمنين برقابة الله عز وجل التي لا تتركهم لحظة من اللحظات، ولا تغفل عنهم في حال من الأحوال، في كل ما يصدر عنهم من أقوال، وما يخرج من أفواههم من كلمات؛ كل قول محسوب لهم أو عليهم، وكل كلمة مكتوبة في سجل أعمالهم يسجله الملكان في الدنيا ويوم القيامة ينكشف للحساب كل شيء ويكون الجزاء.

فعلى العبد أن يفكر فيما يقول قبل أن يتكلم فإن كان خيراً تكلم وإلا سكت. والسكوت في هذه الحالة عبادة يؤجر عليها، يقول الرسول الله ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**»(٢).

وقال ﷺ: «**إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان تقول:**

---

(١) سورة ق:١٧-١٨.

(٢) صحيح البخارى: كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ٧/ ٧٩. وصحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف ٢/ ١٨.

اتق الله فينا فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا»(١).

وضبط المؤمن للسانه ومحافظته عليه وسيلة لضمان الجنة بإذن الله، وهذا وعد رسول الله ﷺ حيث قال: «**من يضمن لي ما بين لحييه** (يعني لسانه) **وما بين رجليه أضمن له الجنة**»(٢).

واللسان هو ترجمان القلب، وقد كلفنا الله عز وجل أن نحافظ على استقامة قلوبنا واستقامة القلب مرتبطة باستقامة اللسان، ففي الحديث عنه ﷺ أنه قال: «**لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه**»(٣).

إن آفات اللسان كثيرة ومتنوعة، من بذاءة في الألفاظ وفحش في الكلام، وسب ولعن وكذب وغيبة ونميمة وشتم بأساليب عديدة وهذه ليست من صفات المؤمن يقول ﷺ: «**ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء**»(٤). وهذه الآفات والألفاظ البذيئة تجري على الألسنة ويتساهل الناس بها، دون تفكير في العاقبة، وقد لا تطيب المجالس عند البعض، ولا يحلو الحديث إلا بهذه الأساليب الساقطة التي تناقض الحياء الذي ينبغي أن يكون عليه المؤمن، والأنكى من ذلك والأشد أن بعض النفوس استمرأت عليه، ويرون أنه من باب المزاح

---

(١) سنن الترمذى: كتاب الزهد باب ما جاء فى اللسان ٤/ ٦٠٥.

(٢) صحيح البخارى: كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان ٧/ ١٨٤.

(٣) رواه أحمد في المسند ٣/ ١٩٨.

(٤) سنن الترمذى: كتاب البر والصلة باب ما جاء في اللعنة ٤/ ٣٥٠.

والتسلية وقضاء الأوقات وتحلية المجالس، وما علم هؤلاء أنهم وقعوا بذلك في الفسق وأضاعوا أوقاتهم، وحملوا أنفسهم الأوزار.

في الحديث الذي يرويه البيهقي أنه ﷺ قال: «**إن العبد ليقول الكلمة لا يقولها إلا ليضحك بها المجلس يهوى به أبعد ما بين السماء والأرض، وإن المرء ليزل عن لسانه أشد مما يزل عن قدميه**»(١).

ويقول ﷺ كما عند البخاري: «**وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم**»(٢).

وإذا أطلق العبد للسانه العنان أن يتكلم بما يشاء كان عرضة للنهاية التعيسة والإفلاس في الآخرة، وشتان بين إفلاس الدنيا وإفلاس الآخرة. روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، قال: المفلس من أمتي من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار**»(٣).

وعن بلال بن الحارث رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله عز وجل له بها رضوانه إلى يوم القيامة، وإن الرجل ليتكلم**

---

(١) الجامع لشعب الإيمان ٩/ ١٢٧.

(٢) صحيح البخارى: كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان. ٧/ ١٨٥.

(٣) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم ١٦ / ١٣٥.

بالكلمة من سخط الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله تعالى بها عليه سخطه إلى يوم يلقاه»[١]. ولذلك كان علقمة رحمه الله وهو أحد رواة هذا الحديث يقول: «كم من كلام أردت أن أتكلم به منعنيه حديث بلال بن الحارث».فكان يمتنع عن كثير من الكلام حتى لا يسجل عليه قول أو ترصد عليه كلمة من اللغو الذي لا فائدة فيه.

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾[٢]. فأثنى عليهم سبحانه وجعلهم من المفلحين وجعل من أوصافهم أنهم عن اللغو معرضين.

ولقد كان خوف السلف من آفات اللسان عظيماً. فقد كان أبوبكر الصديق رضي الله عنه يأخذ بلسان نفسه ويقول هذا أوردني الموارد.

وقال عمر رضي الله عنه: من كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه قل حياءه، ومن قل حياءه كثرت ذنوبه، ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به.

وهذا عبدالله بن مسعود رضي الله عنه يقول: «وما من شيء أحوج إلى طول سجن من لسان».

وكان أبوالدرداء رضي الله عنه يقول: «أنصف أذنيك من فيك، فإنما جعلت أذنان وفم واحد لتسمع أكثر مما تكلم».

وكان ابن عباس رضي الله عنهما يأخذ بلسانه ويقول: «ويحك قل خيرا تغنم، واسكت عن سوء تسلم، وإلا فاعلم أنك ستندم».

---

(١) سنن الترمذى: كتاب الإيمان، ٥/ ١٢.

(٢) سورة المؤمنون آية ١-٣.

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: «خصلتان تقسيان القلب كثرة الكلام، وكثرة الأكل».

قال أيضاً رحمه الله: «أشد الورع في اللسان».

قال ابن القيم رحمه الله: «قسوة القلب من أربعة أشياء إذا جاوزت قدر الحاجة في الأكل والنوم والكلام والمخالطة وكما أن البدن إذا مرض لم ينفع فيه الطعام والشراب فكذلك القلب إذا مرض بالشهوات لم تنجع فيه المواعظ».

فعلى المسلم أن يحرص كل الحرص على كل ما يقربه من الله ويبتعد كل البعد ويحذر كل الحذر عن كل ما يبعده من الله من الأقوال والأعمال التي تبعده عن ربه فليس هناك مصيبة أعظم من المصيبة في الدين. ولا يتهاون ويتساهل في كلام قد يكون سبب في هلاكه في الدنيا والآخرة، نسأل الله العافية.

* * *

السبب الخامس والعشرون

الزهـــد فـــي الدنيـــا

ومن أعظم أسباب الخشوع في الصلاة الزهد في الدنيا ومعرفة حقارتها. فالزهد هو عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه، وهو ترك راحة الدنيا طلباً لراحة الآخرة وأن يخلو قلبك مما خلت منه يداك، ومما يعين العبد على ذلك علمه أن الدنيا ظل زائل، وخيال زائر فهي كما قال تعالى: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾[1] فسماها الله ﴿ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ ونهى عن الاغترار بها، وأخبرنا عن سوء عاقبة المغترين، وحذرنا من الوقوع في مثل مصارعهم وذم من رضي بها واطمأن إليها، وعلمنا أن وراءها داراً أعظم منها قدراً وأجل خطراً، وهي دار البقاء.

ومما يعين على الزهد فيها معرفته وإيمانه الحق بأن زهده في الدنيا لا يمنعه شيئاً كتب له منها، وأن حرصه عليها لا يجلب له ما لم يقض له منها، فمتى تيقن ذلك ترك الرغبة فيما لا ينفع في الدار الآخرة، فأما ما ينفع في الدار الآخرة فالزهد فيه ليس من الدين بل صاحبه داخل في قوله

---

(١) سورة الحديد آية ٢٠.

تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾[1].

وليس المقصود بالزهد ترك الدنيا ورفضها فقد كان سليمان وداود عليهما السلام من أزهد أهل زمانهما، ولهما من المال والملك والنساء ما لهما، وكان نبينا ﷺ من أزهد البشر على الإطلاق، وله أكثر من تسع نسوة، وكان على بن أبي طالب وعبد الرحمن بن عوف والزبير وعثمان رضي الله عنهم من الزهاد مع ما كان لهم من الأموال، وغيرهم كثير.

وقد سئل الإمام أحمد: أيكون الإنسان ذا مال وهو زاهد، قال: نعم، إن كان لا يفرح بزيادته ولا يحزن بنقصانه.

وقال الحسن: ليس الزهد بإضاعة المال ولا بتحريم الحلال، ولكن أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يد نفسك، وأن تكون حالك في المصيبة، وحالك إذا لم تصب بها سواء، وأن يكون مادحك وذامك في الحق سواء.

هذه هي حقيقة الزهد، وعلى هذا فقد يكون العبد أغنى الناس لكنه من أزهدهم ؛ لأنه لم يتعلق قلبه بالدنيا،وقد يكون آخر أفقر الناس وليس له في الزهد نصيب ؛لأن قلبه يتقطع على الدنيا.

أنواع الزهد:

والزهد أنواع. فالزهد في الحرام فرض عين، أما الزهد في الشبهات، فإن قويت الشبهة التحق بالواجب، وإن ضعفت كان مستحباً، وهناك زهد

---

(١) سورة المائدة آية ٨٧.

في فضول الكلام والنظر والسؤال واللقاء وغيره، وزهد في الناس، وزهد في النفس حيث تهون عليه نفسه في الله، والزهد الجامع لذلك كله، هو الزهد فيما سوى ما عند الله، وفي كل ما يشغلك عن الله، وأفضل الزهد إخفاء الزهد، وأصعبه الزهد في الحظوظ.

من فضائل الزهد:

لقد مدح الله تعالى الزهد في الدنيا وذم الرغبة فيها في غير موضع في كتابه الكريم فقال تعالى: ﴿وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ﴾(١).

وقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٢).

وقال سبحانه: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾(٣). وقال تعالى في قصة مؤمن آل فرعون: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾(٤).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**كنت نهيتكم**

---

(١) سورة الرعد آية ٢٦.

(٢) سورة يونس آية ٢٤.

(٣) سورة الحديد آية ٢٣.

(٤) سورة غافر آية ٣٩.

عن زيارة القبور، فزوروها ؛ فإنها تزهد في الدنيا وتذكر الآخرة»[١].

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: أتى النبي ﷺ رجل فقال: يا رسول الله دلني على عمل إذا أنا عملته أحبني الله وأحبني الناس فقال رسول الله ﷺ: «**ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبوك**».

وعن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء**»[٢].

ولذلك فقد كان الأنبياء والمرسلون أزهد الناس فهم قدوة البشر في الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾[٣]. ومن تأمل سيرة سيد الأولين والآخرين علم كيف كان ﷺ يزهد في الدنيا «**كان يرقع ثوبه، ويخصف نعله، ويحلب شاته، وما شبع من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض**»[٤]، ولربما ظل اليوم واليومين يتلوى لا يجد من الدقل (رديء التمر) ما يملأ بطنه.

وفي غزوة الأحزاب ربط الحجر على بطنه من شدة الجوع، ويمر على أهله الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهله لا يوقد في بيته نار، وإنما كان طعامهم الأسودان: التمر والماء كما ثبت ذلك عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وكان يقول: «**اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر**

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

(٣) سورة الأنعام آية ٩٠.

(٤) رواه مسلم.

للأنصار والمهاجرة».

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «**إنما كان فراش رسول الله ﷺ الذي ينام عليه أدماً حشوه ليف**». وأخرجت رضي الله عنها كساءً ملبداً وإزاراً غليظاً فقالت: «قبض رسول الله ﷺ في هذين». ولذلك فهو قدوة الناس وأسوتهم في الزهد والعبادة.

يقول ﷺ: «**مالي وللدنيا، إنما مثلي ومثل الدنيا كمثل رجل سار في يوم شديد الحر فاستظل تحت شجرة ساعة ثم راح وتركها**» وفي لفظ: «**مالي وللدنيا إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب قال في ظل شجرة ثم راح وتركها**»(١).

ولقد حذر الله تبارك وتعالى من فتنة الأموال والأولاد في هذه الحياة حتى لا ينشغل العبد بها عن الاستعداد لما أراد الله منه، وهو العبادة قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾(٢).

ونهى جل وعلا عن النظر إلى ما في أيدي الناس لأن ذلك مدعاة إلى الركون إلى الدنيا والانشغال بها عن الدار الآخرة الباقية فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾(٣).

---

(١) رواه الترمذي برقم (٢٣٧٨) وابن ماجه (٤١٠٩) واحمد من حديث عبدالله بن مسعود.
(٢) سورة الأنفال:٢٨.
(٣) سورة طه:١٣١.

ولقد كان المصطفى ﷺ لا يخشى الفقر على أصحابه ولكن يتخوف أن تبسط عليهم الدنيا كما بسطت على من كان قبلهم، فيتنافسوها كما تنافسها القوم، فتهلكهم كما أهلكت من كان قبلهم. فيقول فيما صح عنه **«والله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم»**[١]، وقال ﷺ: **«إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء»**[٢].

ولما كان ﷺ هو الأسوة والقدوة، فقد سار على دربه الأفاضل والأخيار من أمته، فقد ثبت عن على رضي الله عنه أنه قال: «طوبى للزاهدين في الدنيا والراغبين في الآخرة أولئك قوم اتخذوا الأرض بساطاً، وترابها فراشاً، وماءها طيباً، والكتاب شعاراً، والدعاء دثاراً، ورفضوا الدنيا رفضاً».

وكتب أبوالدرداء رضي الله عنه إلى بعض إخوانه، فقال: «أما بعد: فإني أوصيك بتقوى الله، والزهد في الدنيا، والرغبة فيما عند الله، فإنك إذا فعلت ذلك أحبك الله لرغبتك فيما عنده، وأحبك الناس لتركك لهم دنياهم، والسلام». فما أعظمها من وصية وما أحلاها.

وعن عروة بن الزبير أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها جاءها يوماً من عند معاوية ثمانون ألفاً، فما أمسى عندها درهم، فقالت لها جاريتها: فهلا اشتريت لنا منه لحماً بدرهم ؟ قالت: لو ذكرتيني لفعلت. أو قالت

---

(١) رواه البخاري (٦/ ٢٥٧) ومسلم (١٨/ ٩٥) مع شرح النووي.

(٢) رواه مسلم.

الجارية: لو أبقيت لنا درهماً نشتري لك به فطوراً. وكانت صائمة رضي الله عنها.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا علم له.

ولما قدم عمر رضي الله عنه الشام تلقاه الجنود وعليه إزار وخفان وعمامة، وهو آخذ برأس راحلته يخوض بقدميه في الماء، فقالوا: يا أمير المؤمنين، يلقاك الجنود وبطارقة الشام وأنت على حالتك هذه، فقال: «إنا قوم أعزنا الله بالإسلام، فإذا ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله».

ودخل رجل على أبي ذر رضي الله عنه فجعل يقلب بصره في بيته، فقال يا أبا ذر: ما أرى في بيتك متاعاً، ولا أثاثاً، فقال: إن لنا بيتاً نوجه إليه صالح متاعنا. فقال الرجل:إنه لابد لكم من متاع ما دمتم هاهنا، فقال أبوذر: إن صاحب المنزل لا يدعنا فيه.

وكان عمرو بن العاص رضي الله عنه يخطب بمصر ويقول: ما أبعد هديكم من هدي نبيكم ﷺ، أما هو فكان أزهد الناس في الدنيا وأما أنتم فأرغب الناس فيها.

وقال على رضي الله عنه: تزوجت فاطمة ومالي ولها فراش إلا جلد كبش، كنا ننام عليه بالليل، ونعلف عليه الناضح «أي البعير الذي يسقون عليه» بالنهار ومالي خادم غيرها، ولقد كانت تعجن، وإن قصتها «أي شعرها»لتضرب حرف الجفنة من الجهد الذي بها.

ولما حضرت معاذ بن جبل رضي الله عنه الوفاة قال: اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجري الأنهار، ولا لغرس

الأشجار، ولكن لظمأ الهواجر، ومكابدة الساعات «أي قيام الليل»، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر.

وقد ذكر الإمام أحمد أن أفضل التابعين علماً سعيد بن المسيب، أما أفضلهم على جهة العموم والجملة فأويس القرني، وكان أويس يقول: توسدوا الموت إذا نمتم واجعلوه نصب أعينكم إذا قمتم.

وقال مالك بن دينار: يعمد أحدهم فيتزوج ديباجة الحي (فاتنة الحي)، فتقول له: أريد مرطاً (أكسية من صوف) فتمرط دينه (أى تذهب به).

وكان كثير من السلف يعرض لهم المال الحلال، فيقولون: لا نأخذه، نخاف أن يفسد علينا ديننا.

وكان سعيد بن المسيب يتجر في الزيت، وخلف أربعمائة دينار، وقال: إنما تركتها لأصون بها عرضي وديني.

وقال سفيان الثورى: الزهد في الدنيا قصر الأمل، ليس بأكل الغليظ ولا بلبس العباءة.

قال الشافعي في ذم الدنيا والتمسك بها:

فإن تجتنبها كنت سلما لأهلها وإن تجتذبها نازعتك كلابها

وكان أبوسليمان الداراني يقول:كل ما شغلك عن الله، من أهل ومال وولد فهو مشؤوم.

ويكفي أن في الزهد التأسي برسول الله ﷺ وصحابته الكرام، كما أن فيه تمام التوكل على الله، وهو يغرس في القلب القناعة،إنه راحة في الدنيا وسعادة في الآخرة. والزاهد يحبه الله ويحبه الناس. فإن امتلكت فاشكر،

وأخرج الدنيا من قلبك، وإن افتقرت فاصبر فقد طويت عمن هم أفضل منك، فقد كان النبي ﷺ ينام على الحصير حتى يؤثر في جنبه، ومات وفي رف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حفنة من الشعير تأكل منها، وكان الصبيان إذا دخلوا بيوت رسول الله ﷺ نالوا السقف بأيديهم كما يقول ذلك الحسن البصري رحمه الله فلم يسكن القصور صلوات الله وسلامه عليه، ولم يركن إلى الدنيا وهكذا فعل صحابته من بعده جعلوا الدنيا دابة يركبونها يستخدمونها ولا يخدمونها رضي الله عنهم أجمعين.

خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالناس وهو خليفة المؤمنين وعليه إزار به اثنتا عشرة رقعة.

لقد طويت الدنيا عنهم ولم يكن ذلك لهوانهم على الله، بل لهوان الدنيا عليه سبحانه، فهي لا تزن عنده جناح بعوضه، في الأثر: «**إن الله ليحمي عبده المؤمن من الدنيا كما يحمي أحدكم غنمه**».

إن الدنيا ظل زائل، وسراب راحل، غناها مصيره إلى فقر، وفرحها يؤول إلى ترح، وهيهات أن يدوم بها قرار، وتلك سنة الله تعالى في خلقه أيامٌ يداولها بين الناس، ليعلم الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين، إنما هي منازل، فراحل ونازل، وهي بزينتها وبريقها ونعيمها إنما هي:

أحلامُ نومٍ أو كظل زائلِ إن اللبيب بمثلها لا يخدع

ومن يرى الناس اليوم وهم يتصارعون على هذه الدنيا ويتكالبون عليها يدرك لماذا يفقد البعض دينه ويضيّع الكثيرُ أهلَه وأولاده، وتنتشر الأحقاد وتُزرع الضغائن، وتعمّ البغضاء. وهذا مصداق ما قاله النبي ﷺ: «**من كان همه الآخرة جمع الله شمله، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا**

وهي راغمة، ومن كانت نيته الدنيا فرق الله عليه ضيعته، وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له»[١].

ولقد كان ﷺ يوجه أصحابه ويحثهم على الزهد في هذه الدنيا ومن ذلك قوله ﷺ: «ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها». وقوله أيضاً: «لأن أقول سبحان الله ولا إله إلا الله والحمد لله والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس». ففي ذلك توجيه منه ﷺ إلى أن الدنيا لا تساوي شيئاً. فلا تأس ولا تجزع على ما فاتك منها، ولا تفرح بما أتاك؛ فالمؤمن لا يجزع من ذلها ولا يتنافس في عزها. له شأن وللناس شأن، فالمؤمن عبدٌ لله في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه، وسواء أقبلت الدنيا أو أدبرت فإقبالها إحجام، وإدبارها إقدام، والأصل أن تلقاك بكل ما تكره فإذا لاقتك بما تحب فهو استثناء. وإذا تحقق ذلك كان حرياً بالمسلم أن يقبل على العبادة بقلب غير متعلق بهذه الدنيا الفانية. ولا بشيء من حطامها.

* * *

(١) رواه الإمام أحمد.

السبب السادس والعشرون

تحقيق العبودية لله في كل ما تقوله في الصلاة

يجب على كل مسلم أن يعلم أن الصلاة هي من أعظم العبادات، والغاية من الخلق هو العبادة. وأن الله لم يخلق الخلق عبثاً. قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[١] وقال سبحانه: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٣]. فالغاية من وجودك هي عبادة الله وحده.

وقال رسول الله ﷺ: «**كل الناس يغدو، فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها**»[٤]. أي أن كل الناس سيعمل لا محالة في الحياة فمنهم بائع نفسه لله فمعتقها ومستنقذها من النار ومنهم بائع نفسه للهوى والشيطان فموبقها أي مهلكها.

وينبغي لكل مسلم أن يعلم أن هذه الصلاة التي افترضها الله عليه ليست مجرد حركات تؤدى بلا خشوع ولا خضوع لمن افترضها سبحانه.بل إن الخشوع في الصلاة هو روحها ولا يتصور أن يكون الجسد بلا روح والخشوع هو أن تخرج الدنيا من قلبك، وتخرج شهواتك

---

(١) سورة المؤمنون آية ١١٥.

(٢) سورة القيامة آية ٣٦.

(٣) سورة الذاريات آية ٥٦.

(٤) رواه مسلم برقم ٥٣٣ والترمذي ٣٥١٧ وابن ماجه ٨٢٠ والإمام أحمد ٥/ ٣٤٢.

من قلبك ثم تقبل على الله سبحانه وتوقن وتؤمن بأنه يراك ويعلم ما تخفي وما تظهر وما تسر وما تعلن. وتتفكر في بعض معاني الصلاة من طهور وقيام وركوع وسجود التي سأذكر لك بعضها وقد سبق أن أشرنا إليها.

أولاً: الوضوء

ففيه تطهير للجسم والروح وطهارة للبدن والقلب. قال رسول الله ﷺ: «**إذا توضأ العبد فمضمض خرجت الخطايا من فيه، فإذا غسل وجهه خرجت الخطايا من تحت أجفان عينيه، فإذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظافر يده، فإذا غسل رأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من تحت أذنيه، فإذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت أظافر قدميه**»(١).

ثانياً: ستر العورة واستقبال القبلة

ستر العورة من الظاهر والاستغفار من عورة الباطن.

أما بالنسبة للقبلة فمن الحيف أن يتوجه الوجه والبدن ويحجب القلب.

ثالثاً: النية

ومحلها القلب وهو أن يحضر إلى الصلاة بعزيمة خالصة من كل الشوائب وبقلب قد أشرق بنور الإيمان وانقشعت عنه حجب الشهوات وأقلعت عنه الظلمات واستنار بنور الوحي لو دنا منه الوسواس لاحرقه فهو كالسماء التي حرست بالنجوم فلو دنا منها شيطان لأحترق وليست السماء بأعظم من المؤمن وحراسة الله سبحانه له أتم حراسة من السماء

---

(١) رواه الإمام أحمد والنسائي والترمذي.

قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾(١).

رابعاً: قول الله أكبر

أي لا يوجد أكبر ولا أقوى ولا أعظم من الله.

خامساً: رفع اليدين

وأن ترمي الدنيا خلفك فلا تنشغل بها وأنت في صلاتك.

سادساً: الوقوف

وتعلم بذلك أن لك موقفين بين يدي الله، موقف في الدنيا، وموقف في الآخرة، فإن أحسنت في الموقف الأول في الدنيا أحسن الله لك وهو الكريم في الآخرة وإن أنت أسأت في هذا الموقف فلا تلومن إلا نفسك في الموقف الثاني يوم القيامة.

سابعاً: وضع اليد اليمين على اليد الشمال

لكمال الخشوع وتمام الأدب مع الله سبحانه.

ثامناً: قراءة الفاتحة

وقراءة الفاتحة فيها فضل عظيم وثواب جزيل فلا صلاة لمن لم يقرأ بها قال ﷺ: يقول الله سبحانه: «**قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، و لعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، قال الله: حمدني عبدي، وإذا قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، قال الله تعالى: أثنى علي عبدي، وإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، قال الله: مجدني عبدي، فإذا قال:**

---

(١) سورة الحجر آية ٤٢.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، قال الله: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل. فإذا قال: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، قال الله: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل»[1].

تاسعاً: الركوع

فإذا أحنيت ظهرك لله، فإحنِ مع ذلك قلبك لله تعظيماً له وإجلالاً.

عاشراً: الرفع من الركوع

وتستشعر نعمة الله وتحمده بأن جعل صلبك يستقيم.

حادي عشر: السجود

وفيه أنك أيها المسلم تمُكّن أعز شيء في جسدك وهو الوجه من الأرض، ثم تذكر إن أصلك من تراب فأنت ترد الفرع للأصل، وتقول: سبحان ربي الأعلى ثلاث مرات أو ما شاء الله أن تقول ليستقر المعنى في القلب ثم ادعُ الله فإنه أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد.

ثاني عشر: الجلوس بين السجدتين

جلوس العبد لمولاه والفقير المحتاج لمن لا غنى لنا طرفة عين عن رحمته.

ثالث عشر: التشهد

التحيات لله والصلوات والطيبات: فهو الطيب الذي لا يقبل إلا طيبا.

السلام عليك أيها النبي: سلّم على النبي ﷺ وأعلم أن النبي سيرد عليك قال رسول الله ﷺ: «**وما من عبد يصلي وسلم علي إلا رد الله علي**

---

(١) سبق تخريجه.

روحي فأرد السلام».

السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين: تسلّم على نفسك وعلى عباد الله الصاحين. أشهد أن لا اله إلا الله: تقر له بالربوبية وبالألوهية وأن لا معبود بحق إلا هو.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد: هكذا تصلي على نبيك. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من صلى عليَّ واحدة، صلى الله عليه عشرًا**»(١).

وفي المسند عن أُبيٍّ رضي الله عنه قال: قلتُ: يا رسول الله، إني أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي؟ قال: «**ما شئت**». حتى قال: أجعلُ لكَ صلاتي كلها، قال: «**إذا تُكفى همَّك، ويُغفر لك ذنبُك**».

وبالصلاة الإبراهيمية تَذكَّر الأمم التي قبلك ؛ حيث أنك وإياهم جمعتكم عبادة الله والإقرار له بالألوهية والعبودية فالأنساب تنسى والقوميات تمحى فالولاء لكل من عبدالله ووحده مهما بعد زمانه أو مكانه والبراء من كل من أشرك به مهما قرب مكانه وزمانه.

ثم تسلم على اليمين ثم على الشمال. فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده فلن يصيب أحداً منه مكروه أو زلة لأنه يعرف أن المسلمين كلهم إخوانه قد جمعته بهم رابطة العقيدة والدين.

ثم تختم الصلاة بالاستغفار.

---

(١) رواه مسلم وهو في صحيح أبي داوود برقم ٩٠٣.

فتقول: أستغفر ثلاث مرات «**أستغفر الله الذي لا اله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه**» من التقصير الذي حدث في الصلاة.

ثم تقول: «**اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام**»[١]. حيث أن هذه تحية أهل الجنة وتحية الملائكة لأهل الجنة قال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾[٢].

ثم تدعو اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك. يقول ﷺ موصياً معاذاً رضي الله عنه: «**والله إني لأحبك يامعاذ فلا تدعن أن تقول دبر كل صلاة اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**»[٣].

فالصلاة تعني أنك في لقاء مع الله تبارك وتعالى والدخول في الصلاة يعني الدخول على الله تبارك وتعالى فهل تفكرت واستشعرت هذا المعنى؟. وهل تخيّلت أنك عندما تقول: «الله أكبر». فإن الله بجلاله وعظمته يقبل عليك. وينظر إليك ؟. هل استحضرت هذا المعنى العظيم والذي يجسده الحديث القدسي السابق: «**قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل**». إنه لا يخشع في صلاته إلا من أحب الله تعالى.

يقول ابن قيم رحمه الله: «إن في القلب شعثاً ـ أي تمزق أو تفرق ـ لا يلمه إلا الإقبال على الله، وفي القلب وحشة لا يزيلها إلا الأنس بالله، وفي القلب خوف وقلق لا يذهبه إلا الفرار إلى الله».

---

(١) رواه مسلم في المساجد باب استحباب الذكر بعد الصلاة ١/ ١٤١.

(٢) سورة الأحزاب آية ٤٤.

(٣) رواه أبو داوود ١/ ١٨٠ رقم ١٥٢٢ وقال النووي في الأذكار ص ٦٠ إسناده صحيح.

ويقول رحمه الله: «إذا استغنى الناس بالدنيا فاستغن أنت بالله، وإذا فرح الناس بالدنيا فافرح أنت بالله، وإذا أنس الناس بأحبابهم فأنس أنت بالله، وإذا ذهب الناس إلى ملوكهم وكبرائهم يسألونهم الرزق ويترددون إليهم فتودد أنت إلى الله». فمن الذي سأله وما أعطاه ومن الذي قصده وخاب رجاه. فسبحان من لا يرد السائلين وسبحان من يقبل التوب من المذنبين.

ويقول أيضاً: لا تسأم من الوقوف على باب ربك...ولو طردت بل ابك كثيراً وداوم الطرق فإنه ولا شك سيفتح لك فإذا فتح الباب للمقبولين فادخل دخول المتطفلين. واسأل نفسك متى هي آخر مرة خشعت في صلاتك وهل ذقت حلاوة ولذة الصلاة حقاً.

يقول ابن تيمية: مساكين أهل الدنيا، خرجوا منها ولم يذوقوا أحلى ما فيها ! قيل له: وما أحلى ما فيها ؟ قال: حب الله عز وجل.

فيا ندامة وحسرة من لم يجرب البكاء في صلاته والتذلل بين يدي ربه ومولاه عز وجل. مسكين يا من لم يشعر بجسده وقلبه يرتجفان لذنب أذنبه، خوفاً من الله الواحد القهار.

يقول الناصح الأمين ﷺ: **«إذا قمت إلى الصلاة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعاً، ثم ارفع حتى تعتدل قائماً ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ثم اجلس حتى تطمئن جالساً ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، واجعل ذلك في صلاتك كلها»**[1].

وقد قال أبوعبيدة رضي الله عنه: ما اقشعر جلد عبد من خشية الله إلا

---

(١) رواه البخاري ومسلم وقد سبق تخريجه.

تحاتت ذنوبه كما تحت الشجرة ورقها.

فعلى المسلم أن يعرف قدر هذه الصلاة وأن يقبل على ربه ولا يلتفت إلى غيره.

قال العلماء: الالتفات في الصلاة على قسمين التفات بالبصر والتفات بالقلب وكله يدخل في نهي النبي ﷺ حين سئل عن الالتفات في الصلاة فقال: «**ذلك اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد**»(١).

ويقول ﷺ: «**إذا صلى العبد الصلاة فلم يتم ركوعها ولا سجودها لفّت كما يلف الثوب الرديء فتلقى في وجهه وتقول: ضيعك الله كما ضيعتني، وإذا أتم ركوعها وسجودها لفت كما يلف الثوب الطيب الحسن ودعت له قائلة: حفظك الله كما حفظتني**»(٢). وهذا الحديث يبين أن من لا يتم ركوع الصلاة ولا سجودها فإن ذلك قد يكون سببا في عدم قبولها.

وقال ﷺ: «**إن الله يقبل على العبد في الصلاة ما لم يلتفت، فإذا صرف العبد وجهه انصرف الله عنه**». أفلا تستحي أن ينظر الله إليك بينما أنت تنظر إلى غيره.

ورد في الأثر أن النبي ﷺ: «**إن العبد إذا أقبل على صلاته ثم التفت يقول الله تعالى: أإلى خير مني؟ أوجد عبدي خيرا مني؟ أوجد إلها أرحم مني؟**»(٣).

---

(١) رواه البخاري برقم ٧٥١.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم وغيره.

(٣) رواه الإمام أحمد ٢/ ٥٢٥ والهيثمي ٢/ ١٢٠.

وقال ﷺ قال: «ليس للمرء من صلاته إلا ما عقل منها»[١]. وقال ﷺ: «إن أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته» قيل: كيف ذلك يا رسول الله ؟. قال: «لا يتم ركوعها ولا سجودها»[٢]. ويقول ﷺ: «إن الرجل ليصلي الصلاة فلا يكتب له إلا ثلثها أو ربعها أو نصفها أو سدسها أو ثمنها أو عشرها»[٣].

فيا ترى كم يكتب لنا من صلواتنا ؟؟.

* * *

(١) رواه الزبيدي ٣/ ١١٢.

(٢) رواه الإمام أحمد ٣/ ٥٦ والبيهقي ٥ / ٣٨٦ والحاكم ١/ ٢٢٩ وصححه ووافقه الذهبي وصححه الألباني برقم ٣٩.

(٣) رواه الإمام أحمد ٤ / ٣١٩. وقد تقدم هذا الحديث بلفظ غير هذا اللفظ.

السبب السابع والعشرون

شهود منة الله والحذر من العجب

وأيضاً مما يعين على الخشوع في الصلاة شهود منة الله سبحانه في كونه أقامه في هذا المقام ووفقه لذلك فلولاه سبحانه لم يكن شيء من ذلك يقول الله تعالى: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[1]. فيجب عليك أن تعلم أن الله سبحانه هو صاحب الفضل والمنة عليك أن وفقك لأداء هذه الفريضة وهداك للإسلام حتى وإن عبدته وصليت فليس لك فضل فالفضل له وحده. فلا تعجب بعملك ولا تقل أن ذلك من ذكائك وفطنتك فإن العُجب من الآفات الخطيرة التي تصيب كثيراً من الناس، فتصرفهم عن شكر الخالق إلى شكر أنفسهم، وعن الثناء على الله بما يستحق إلى الثناء على أنفسهم بما لا يستحقون، وعن التواضع للخالق والانكسار بين يديه إلى التكبر والغرور بالأعمال، وعن احترام الناس ومعرفة منازلهم إلى احتقارهم وجحد حقوقهم.

والعجب هو الزهو بالنفس، واستعظام الأعمال والركون إليها، وإضافتها إلى النفس مع نسيان إضافتها إلى المُنعم سبحانه وتعالى. وإن من مساوئ العجب أنه يحبط الأعمال الصالحة، ويخفي المحاسن،

---

(١) سورة الحجرات آية ١٧.

ويكسب المذام.

قال الماوردي: وأما الإعجاب فيخفي المحاسن، ويظهر المساوئ، ويكسب المذام، ويصد عن الفضائل. . وليس إلى ما يكسبه الكبر من المقت حد، ولا إلى ما ينتهي إليه العجب من الجهل غاية، حتى إنه ليطفئ من المحاسن ما انتشر، ويسلب من الفضائل ما اشتهر، وناهيك بسيئة تحبط كل حسنة، وبمذمة تهدم كل فضيلة، مع ما يثيره من حنق، ويكسبه من حقد.

إن العجب محرم ؛ لأنه نوع من الشرك، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وكثيراً ما يقرن الرياء بالعجب، فالرياء من باب الإشراك بالخلق، والعجب من باب الإشراك بالنفس، وهذا حال المستكبر، فالمرائي لا يحقق قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ والمعجب لا يحقق قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فمن حقق قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ خرج عن الرياء ومن حقق قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ خرج عن الإعجاب.

وقال أبوحامد الغزالي رحمه الله: اعلم أن العجب مذموم في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا﴾[1]. ذكر ذلك في معرض الإنكار.

وقال عز وجل: ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ

(١) سورة التوبة آية ٢٥.

حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾[١]. فرد على الكفار في إعجابهم بحصونهم وشوكتهم.

وقال تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[٢]. وهذا أيضاً يرجع إلى العجب بالعمل، وقد يعجب الإنسان بالعمل وهو مخطئ فيه، كما يعجب بعمل وهو مصيب فيه.

وقال ﷺ: «**ثلاث مهلكات: شحٌّ مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه**»[٣].

وثبت عنه ﷺ أنه قال في ذم العجب: «**بينما رجل يمشي في حلةٍ تعجبه نفسه، مرجل جمته، إذ خسف الله به فهو يتجلجل إلى يوم القيامة**»[٤].

قال ابن حجر في الفتح: قال القرطبي: إعجاب المرء بنفسه هو ملاحظته لها بعين الكمال، مع نسيان نعمة الله، فإن احتقر غيره مع ذلك فهو الكبر المذموم. وقوله: «**إذ خسف الله به**» يدل على سرعة وقوع ذلك به. وقوله: «**فهو يتجلجل إلى يوم القيامة**». وفي رواية الربيع: «**فهو يتجلجل في الأرض حتى تقوم الساعة**»[٥].قال ابن فارس: التجلجل: أي يسوخ في الأرض مع اضطراب شديد، ويندفع من شق إلى شق، فالمعنى يتجلجل في الأرض أي ينزل فيها مضطرباً متدافعاً.

---

(١) سورة الحشر آية ٢١.

(٢) سورة الكهف آية ١٠٤.

(٣) أخرجه البيهقي وحسنه الألباني.

(٤) متفق عليه.

(٥) رواه مسلم.

ومن الأدلة كذلك على ذم العجب حديث أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه، فعن أبي أمية الشعباني قال: أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت له: كيف تصنع بهذه الآية؟ قال: أيَّةُ آية؟ قال: قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾ (١). قال أبو ثعلبة: أما والله لقد سألت عنها خبيراً، سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: «**بل ائتمروا بينكم بالمعروف وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شَّحاً مطاعاً، وهوىً متبعاً، ودنيا مؤثَرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخاصة نفسك ودع العوامَّ، فإن من ورائكم أياماً الصبر فيهن كالقبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم**»(٢).

ومن أقوال السلف في ذم العجب:

قال ابن مسعود رضي الله عنه: الهلاك في اثنين: القنوط والعجب. قال أبو حامد: وإنما جمع بينهما؛ لأن السعادة لا تنال إلا بالسعي والطلب والجد والتشمير، والقانط لا يسعى ولا يطلب، والمعجب يعتقد أنه قد سعد وقد ظفر بمراده فلا يسعى.

وقال مطرف بن عبدالله: لأن أبيت نائماً وأصبح نادماً أحب إليّ من أن أبيت قائماً وأصبح معجباً(٣).

قال ابن القيم: إنك إن تبيت نائماً وتصبح نادماً، خير من أن تبيت قائماً وتصبح معجباً، فإن المعجب لا يصعد له عمل، وإنك إن تضحك

---

(١) سورة المائدة ١٠٥.

(٢) رواه الترمذي وقال حسن غريب.

(٣) الزهد لابن المبارك ص١٥١.

وأنت معترف خير من أن تبكي وأنت مدل، وأنين المذنبين أحب إلى الله من زجل المسبحين المدلين ولعل الله أسقاه بهذا الذنب دواءً استخرج به داءً قاتلاً هو فيك ولا تشعر[١].

وكان بشر بن منصور من الذين إذا رءُوا ذُكِرَ الله تعالى والدار الآخرة، لمواظبته على العبادة، فأطال الصلاة يوماً، ورجل خلفه ينتظره، ففطن له بشر، فلما انصرف عن الصلاة قال له: لا يعجبنك ما رأيت مني، فإن إبليس لعنه الله قد عبدالله مع الملائكة مدة طويلة، ثم صار إلى ما صار إليه.

وقيل لعائشة رضي الله عنها: متى يكون الرجل مسيئاً ؟ قالت: إذا ظن أنه محسن.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الإعجاب ضدّ الصواب، وآفة الألباب.

قال بزدجمهر: النعمة التي لا يحسد صاحبها عليها التواضع، والبلاء الذي لا يرحم صاحبه منه العجب.

وربما طغت آفة العجب على المرء حتى وصل به الحدّ إلى الكفر والخروج من ملة الإسلام، كما هو الحال مع إبليس اللعين، حيث أعجب بأصله وعبادته، ودفعه ذلك إلى الكبر وعصيان أمر الرب تبارك وتعالى بالسجود لآدم عليه السلام.

وحكي عن عمر بن حفص أنه قال: قيل للحجاج: كيف وجدت منزلك بالعراق ؟ قال: خير منزل، لو كان الله بلغني قتل أربعة، فتقربت

---

(١) مدارج السالكين (١/ ١٧٧).

إليه بدمائهم. قيل: ومن هم ؟ قال: مقاتل بن مسمع وليّ سجستان، فأتاه الناس فأعطاهم الأموال، فلما عُزل دخل مسجد البصرة، فبسط له الناس أرديتهم، فمشى عليها، وقال لرجل يماشيه ﴿ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴾(١).

وعبد الله بن زياد بن ظبيان التميمي، خوّف أهل البصرة أمراً فخطب خطبة أوجز فيها، فنادى الناس من المسجد: أكثر الله فينا مثلك. فقال: لقد كلفتم الله شططاً!!

ومعبد بن زرارة ؛ كان ذات يوم جالساً في الطريق، فمرت به امرأة فقالت له: يا عبدالله ! كيف الطريق إلى موضع كذا ؟ فقال: ياهناه ! مثلي يكون من عبيد الله؟!!.

وأبو سمّال الأسدي أضل الله راحلته فالتمسها الناس فلم يجدوها فقال: والله إن لم يَرُد إليَّ راحلتي لا صليت له صلاة أبداً، فالتمسها الناس فوجدوها، فقالوا له: قد ردَّ الله عليك راحلتك فصلِّ، فقال: إن يميني يمين مُصِرٍّ !

قال الماوردي: فانظر إلى هؤلاء كيف أفضى بهم العجب إلى حمق صاروا به نكالاً في الأولين، ومثلاً في الآخرين، ولو تصور المعجب والمتكبر ما فطر عليه من جِبِلّة، وبُلي به من مهنة لخفض جناحه لنفسه، واستبدل ليناً من عُتوه، وسكوناً من نفوره.

قال الأحنف بن قيس: عجبت لمن جرى في مجرى البول مرتين

---

(١) سورة الصافات آية ٦١.

كيف يتكبر ؟!

يـا مظهـرَ الكبر إعجاباً بـصورته ... انظـر خـلاك فـإن النـتن تثريـب
لو فكـر النـاس فـيما في بطـونهم ... ما استشعر الكبر شبان ولا شيب
هل في ابن آدم مثل الرأس مكرُمةً ... وهو بخمس من الأقذار مضروب
أنـف يـسيل وأذن ريحهـا سـهك ... والعين مرفـضة والثغـر ملعـوب
يابن التراب ومأكول التراب غـداً ... أقصر فـإنك مأكول ومـشـروب

قال ابن قدامة: اعلم أن العجب يدعو إلى الكبر، لأنه أحد أسبابه، فيتولد من العجب الكبر، ومن الكبر الآفات الكثيرة وهذا مع الخلق. فأما مع الخالق فإن العجب بالطاعات نتيجة لاستعظامها فكأنه يمنّ على الله تعالى بفعلها، وينسى نعمته عليه بتوفيقه لها، ويعمى عن آفاتها المفسدة لها، وإنما يتفقد آفات الأعمال من خاف ردها، دون من رضيها وأعجب بها.

أسباب العجب:

ومن أسباب العجب الجهل، ومن الناس من يعجب بعمله ومعرفته لمسائل الخلاف وأقوال العلماء، ولو علم أن إعجابه بعلمه يدل على جهله لما كان من المعجبين بأنفسهم قال بعض السلف مايزال العبد يطلب العلم حتى إذا ظن أنه قد علم فهو جاهل.

قال أبوحامد: وعلّة العجب: الجهل المحض، وقلة الورع والتقوى، وضعف المراقبة لله عز وجل، وقلّة الناصح، وسوء النية وخبث المطية، وإطراء الناس للشخص وكثرة ثنائهم عليه مما يعين عليه الشيطان، والافتتان بالدنيا واتباع الهوى، والنفس الأمارة بالسوء، وقلة الفكر، وقلة

الشكر لله عز وجل، وقلة الذكر لله عز وجل، وعدم تدبر القرآن والسنة النبوية، والأمن من مكر الله عز وجل والركون إلى عفو الله ومغفرته، ولو تفكر العبد لعلم أن كل نعمة عنده هي من الله سبحانه.

مظاهر العجب:

ومظاهر العجب كثيرة منها: رد الحق واحتقار الناس، تصعير الخد، عدم استشارة العقلاء والفضلاء، الاختيال في المشي، استعظام الطاعة واستكثارها، التفاخر بالعلم والمباهاة به، الغمز واللمز، التفاخر بالحسب والنسب وجمال الخِلقة، تعمد مخالفة الناس ترفعاً، التقليل من شأن العلماء الأتقياء، مدح النفس، نسيان الذنوب واستقلالها، توقع الجزاء الحسن والمغفرة وإجابة الدعاء دائماً، الإصرار على الخطأ، الفتور عن الطاعة لظنه أنه قد وصل إلى حد الكمال، التصدر قبل التأهل، قلة الإصغاء إلى أهل العلم.

وقد ذكر أبوحامد الغزالي أن العجب يكون بأمور وذكر علاج كل واحد منها:

أنواع العجب وعلاجه:

الأول: أن يعجب ببدنه.

في جماله وهيئته وصحته وقوته، وتناسب أشكاله وبهاء صورته وحسن صوته، فيلتفت إلى جمال نفسه، وينسى أنه ذلك هو نعمة من الله تعالى، وهو معرض للزوال في كل حال.

وعلاجه: هو التفكر في أقذار بطنه في أول أمره، وفي آخره، وفي الوجوه الجميلة والأجسام الناعمة كيف أنها تمزقت في التراب وأنتنت

في القبور، حتى استقذرتها الطباع.

الثاني: العجب بالبطش والقوة.

كما ذكر الله سبحانه عن قوم عادٍ حين قالوا: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾[١]. وعلاجه: أن يشكر الله تعالى على ما رزق من العقل، ويتفكر أنه بأدنى مرض يصيب دماغه يوسوس ويجن بحيث يُضحك منه، فلا يأمن أن يسلب عقله إن أعجب به، ولم يقم بشكره، وليعلم أنه ما أوتي من العلم إلا قليلاً، وأن ما جهله أكثر مما عرفه.

الثالث: العجب بالنسب.

حتى يظن بعضهم أنه ينجو بشرف نسبه ونجاة آبائه وأنه مغفور له، ويتخيل بعضهم أن جميع الخلق له موالٍ وعبيد!

وعلاجه: أن يعلم أن الناس يحاسبون يوم القيامة بقدر أعمالهم لا بأحسابهم وأنسابهم قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾[٢]. وأن يعلم أنه مهما خالف آباءه في أفعالهم وأخلاقهم وظنّ أنه ملحق بهم فقد جهل، وإن اقتدى بآبائه فما كان من أخلاقهم العجب، بل الخوف والازدراء على النفس ومذمتها، ولقد شرفوا بالطاعة والعلم والخصال الحميدة لا بالنسب، فليتشرف بما شرفوا به.

---

(١) سورة فصلت آية ١٥.

(٢) سورة المؤمنون آية ١٠١.

ولقد ساواهم في النسب وشاركهم في القبائل من لم يؤمن بالله واليوم الآخر من الكفار والمشركين، وكانوا عند الله شرًّا من الكلاب وأخسَّ من الخنازير، ولذلك يبين الله تعالى أن الشرف بالتقوى لا بالنسب، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾(١).

الرابع: العجب بنسب السلاطين الظلمة وأعوانهم دون نسب الدين والعلم، وهذا غاية الجهل.

وعلاجه: أن يتفكر في مخازيهم وما جرى لهم من الظلم على عباد الله والفساد في دين الله، وأنهم الممقوتون عند الله تعالى، ولو نظر إلى صورهم في النار وأنتانهم وأقذارهم لاستنكف أن يكون منهم، ولتبرأ من الانتساب إليهم.

الخامس: العجب بكثرة العدد.

من الأولاد والخدم والعشيرة والأقارب والأنصار والأتباع، كما قال الكفار: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا﴾(٢).

وعلاجه: أن يتفكر في ضعفه وضعفهم، وأنهم كلهم عبيد عجزة، لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعا، ثم كيف يعجب بهم وهم سيتفرقون عنه إذا مات، فيدفن في قبره ذليلاً مهيناً وحده لا يرافقه أهلٌ ولا ولد ولا قريبٌ ولا حميمٌ ولا عشيرٌ.

---

(١) سورة الحجرات آية ١٣.

(٢) سورة سبأ آية ٣٥.

السادس: العجب بالمال.

كما قال تعالى إخباراً عن صاحب الجنتين: ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾[١].

وعلاجه: أن يتفكر في آفات المال وكثرة حقوقه وعظيم غوائله، وينظر إلى فضيلة الفقراء وسبقهم إلى الجنة يوم القيامة، وإلى أن المال غادٍ ورائح ولا أصل له، وإلى أن في اليهود من يزيد عليه في المال، وإلى قوله ﷺ: «**بينما رجل يتبختر في حلةٍ له، قد أعجبته نفسه إذ خسف الله به، فهو يتجلجل إلى يوم القيامة**»[٢]. فكان ذلك عقوبة إعجابه بماله ونفسه فكان ذلك جزاءه.

السابع: العجب بالرأي.

قال تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾[٣]. وقال تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[٤]. وجميع أهل البدع والضلال إنما أصروا عليها لعجبهم بآرائهم.

وعلاجه: أن يكون متَّهماً لرأيه أبداً لا يغترُّ به إلا أن يشهد له قاطع من كتاب أو سنة أو دليل عقلي صحيح جامع لشروط الأدلة، فإن خاض في

---

(١) سورة الكهف آية ٣٤.

(٢) متفق عليه.

(٣) سورة فاطر آية ٨.

(٤) سورة الكهف آية ١٠٤.

الأهواء والبدع والتعصب في العقائد هلك من حيث لا يشعر.

والعجب في الصلاة يجعل المصلي يشعر وكأنه هو المتفضل على الله ويرى أن له فضلاً حين حضر وأدى هذه الصلاة وهذا قد يفسد العمل والعياذ بالله. والعكس من ذلك إذا استشعر العبد منة الله عليه وأنه سبحانه هو المنان المتفضل وهو الذي خلقه وهداه ووفقه إلى أداء هذه الصلاة فإذا علم العبد ذلك كان أقرب إلى الخشوع بإذن الله سبحانه.

* * *

السبب الثامن والعشرون

التأمل في كل ما تفعله في صلاتك

إن كل حركة أو قول أو فعل في الصلاة يحمل من المعاني الكثيرة والعبودية لله ما لو تفكر فيه المصلي لما أشغل قلبه بغير الصلاة. وكما قال ﷺ: «**إن في الصلاة لشغلاً**»(١). أي شغلاً عن ما سواها.

ولنبدأ بالأذان والدعوة إلى الصلاة وتكبيرة الإحرام وما تحملها من معاني. ماذا يعني نداء المؤذن أو تكبيرنا وقولنا «الله أكبر»؟. الله أكبر تعني أن الله تعالى أكبر من أي شيء نفعله، أكبر من رسالة اكتبها أو كتاب أقرؤه أو صفقة أعقدها أو تجارة اديرها أو صناعة أقوم بها والله أكبر من كل شيء ومن أي شيء وأكبر من كل قول أو فعل ولهذا سميت بتكبيرة الإحرام لأنه يحرم عليك أموراً كانت مباحة لك قبلها كالطعام والشراب والكلام والضحك وغيرها. كان أحد التابعين يشتغل حداداً فكان يرمي مطرقته من خلف ظهره إذا سمع المؤذن وهو يهم بان يهوي بها على سندانه. فهل نستشعر عظمة هذه الكلمة «الله أكبر»، بهذه الكلمة كان الفاتحون المسلمون يفتحون البلاد في شرق الأرض وغربها، كانوا يكبرون فتسقط المدن الواحدة تلو الأخرى ليدخلها النور والهداية ويخرج منها الشرك والغواية. فعلينا أن نتفكر في هذا المعنى العظيم وما ينطوي عليه من عظمة الله وعظمة قدرته ورحمته ومغفرته وعقابه وحكمته.

---

(١) رواه البخاري برقم (١٢١٦)، (٣٨٧٥).

فإذا علم العبد أن الله أكبر من كل شيء أقبل على صلاته وترك كل ما كان يشتغل به. والآية في سورة الجمعة واضحة وشاهدة. يقول الله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[١]. فقد أمرنا الله عز وجل بترك البيع وهو أحب إلى النفس من الشراء لأن فيه كسب لنا فقد نشتري ما نحتاجه وما لا نحتاجه أما في البيع فنحن بحاجة له لنكسب رزقنا فإذا كان الأمر بترك المهم فمن باب أولى أن نترك ما هو أدنى من ذلك من أمور الدنيا ومشاغلها. وإذا سمعنا النداء رَدَّدنا خلف المؤذن فعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فانه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشراً ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة**»[٢]. وهكذا تبدأ بهذه المكرمة من الله تعالى بأن تحل لك شفاعة الرسول الكريم ﷺ في موقف نحن بأمس الحاجة لهذه الشفاعة. ثم نأتي بعد ذلك إلى الوضوء فبالوضوء تخرج الخطايا لقوله ﷺ: «**من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره**»[٣].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ما منكم من**

---

(١) سورة الجمعة آية ٩.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

أحد يتوضأ فيبلغ أو يسبغ الوضوء ثم يقول أشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له واشهد أن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء»[1].وكل هذا قد سبق ذكره. فيا لهذا الأجر العظيم ويا لكرم الله تعالى الذي يجزي هذا الجزاء الكريم بمجرد وضوء أحدنا وقبل أن يبدأ حتى بصلاته.

وإن مما يعين على الخشوع في الصلاة الوضوء قبيل دخول وقت الصلاة أو بعد الأذان مباشرة حتى يحضر وقت إقامة الصلاة ونحن في المسجد قد هيأنا أنفسنا وقرأنا من كلام ربنا وصلينا ما كتب لنا فنقبل على الصلاة بقلوب قد امتلأت بالإيمان.

والوقت بين الأذان والإقامة من مواطن استجابة الدعاء فلنغتنم هذا الوقت بالإكثار من الدعاء لنا وللمسلمين عامة.

وبمجرد أن تقام الصلاة ونكبر تكبيرة الإحرام دخلنا في حضرة الخالق العظيم، ملك الملوك، رب الأرباب وفي هذا الموقف على المسلم أن يكون نظره في موضع السجود تأدباً مع الله سبحانه. فانا إذا دخلنا في الصلاة حرم علينا كل شيء من الكلام والحركة والمشي والأكل والشرب وغيره.

ونبدأ الصلاة بدعاء الاستفتاح كما ورد عن النبي الكريم ﷺ. وأدعية الاستفتاح كثيرة.

والأفضل لنا أن لا نقتصر على ترديد دعاء واحد في كل صلواتنا حتى لا يكون ترديد الدعاء عادة وحتى نعي ما نقوله دائماً فيبقى القلب حاضراً

---

(١) رواه مسلم ٣٤٥.

في الدعاء وقد سبق أن ذكرنا هذه الأدعية في السبب التاسع عشر.

ثم بعد الاستفتاح الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم وهي الالتجاء والاعتصام بالله سبحانه من كيد الشيطان ووسوسته لأن الشيطان يحرص كل الحرص على إفساد صلاة العبد ثم نبدأ بفاتحة الكتاب التي لا تصح الصلاة بدونها ونستشعر عظمة هذه السورة التي قال فيها تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين قال الله عز وجل: حمدني عبدي، وإذا قال: الرحمن الرحيم قال الله عز وجل: أثنى علي عبدي، وإذا قال: مالك يوم الدين، قال عز وجل: مجدني عبدي، وفي رواية فوض إلي عبدي، فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين، قال الله سبحانه: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال:اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضآلين، قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل. فسبحان الله ما أعظم رحمته وحلمه ولطفه بعباده. فهل تذكرنا هذا الحديث عند قراءة الفاتحة في كل صلاة ؟ ومن منا يتلوها وكأنه يخاطب ربه وكأنه يسمع الرد من رب العزة عليه؟ وتذكر كم مرة نقرأ فيها الفاتحة في كل صلاة واستشعر في كل مرة هذا الحديث الذي بين العبد وربه واستشعر قوله تعالى هذا لعبدي ولعبدي ما سأل. ما أعظم هذه العبادة وما أعظم ربنا سبحانه الذي امتن علينا بهذه النعم!! فله الحمد كله وله الشكر كله لا نحصي ثناءً عليه.

ثم بعد ذلك نقرأ ما تيسر لنا مما نحفظه من كتاب الله ولا نحدد قراءتنا بسور معينة أو ببعض السور القصيرة ونكررها في كل صلاة لأن

آياتها قليلة وننهي الصلاة إذا قرأناها بوقت أسرع، بل على المسلم أن يجتهد في حفظ ما تيسر له من كتاب الله ويقرأ به في صلاته لأنه أثبت في الحفظ. وينبغي أن نخصص وقتاً للحفظ أسبوعيا أو يوميا ثم نردد ما حفظناه في الصلاة حتى نتمكن منه جيداً وهكذا لا نعود اللسان على آيات معينة دون غيرها فلا يخشع القلب لأنها تمر على اللسان بسرعة دون إدراك أو تدبر لمعانيها فقد كان الرسول ﷺ إذا قرأ وقف عند كل آية ثم بدأ فيما بعدها حتى إن كثيراً من الصحابة حفظ بعض السور من فم المصطفى ﷺ وهو يقرأ وهذا يدل على أن من السنة ترتيل القرآن وعدم الاستعجال عند قراءته.

وكان من هديه ﷺ عند قراءة القرآن في الصلاة أو في غيرها إذا مر بآية رحمة سأل الله تعالى الرحمة وإذا مر بآية عذاب استغفر الله تعالى واستعاذ من عذابه وإذا مر بآية حمد أثنى عليه وحمده سبحانه.

وحتى يعود العبد نفسه على الخشوع عليه أن يتدبر ما يتلوه من آيات الله فيرق القلب وتخشع الجوارح وتدمع العين وبهذا يحصل الخشوع إن شاء الله تعالى.

ثم نكبر ونركع، فإن الركوع لله. حالة يظهر فيها التذلل لله جل وعلا بانحناء الظهر والجبهة له سبحانه، فينبغي لك أيها المسلم أن تحسن فيه التفكر في عظمة الله وكبريائه وسلطانه وملكوته،وأن تستحضر فيه ذنبك وتقصيرك وعيبك،وتتفكر في قدر الله وجلاله وغناه، فتظهر حاجتك وفقرك وتذللك لله وحده. والركوع فيه إقرار بعظمة الخالق الذي نقف بين يديه ودليل خضوعنا له طائعين مختارين لأننا نعلم علم اليقين أنه الله

ربنا وخالقنا ولا معبود سواه فنقول سبحان ربي العظيم ثلاثاً أو ما شاء الله أن نقول ونشعر معها بعظمة الله الذي نسبحه فهو العظيم ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[١].

وقد كان الرسول ﷺ يطيل الركوع ليس كحال كثير من الناس اليوم، وكان مما يقول فيه بعد تسبيح الله عز وجل: «**اللهم لك ركعت وبك آمنت ولك أسلمت أنت ربي خشع سمعي وبصري ولحمي وعظمي ودمي وعصبي وما أستقلت به قدمي لله رب العالمين**»[٢]. ولو تدبرنا هذا الدعاء لعلمنا بين يدي من نركع ولاستشعرنا عظمة الخالق الذي نقف بين يديه ونركع له على هذا الهيئة.

وكان مما يقوله ﷺ أيضاً في الركوع: «سبوح قدوس رب الملائكة والروح» وقد رجح أن القيم في كتابه زاد المعاد أن هذا الدعاء كان يقوله في صلاة الليل. ولكن ذكر أهل العلم أن ما ثبت عنه ﷺ أنه فعله في صلاة نفل فإنه يأخذ الحكم نفسه في صلاة الفريضة إلا ما دل عليه دليل بأنه مخصوص في نافلة أو صلاة معينة.

ثم عند القيام من الركوع نقول سمع الله لمن حمده، ومعناها: سمع الله حمد من حمده واستجاب له وهو دعاء يطلب من المولى عز وجل أن يسمع دعاء الحامدين له على نعمه،ثم احمد الله بعد ذلك بقولك: «ربنا لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ملء السماوات وملء الأرض

---

(١) سورة الشورى آية ١١.

(٢) رواه مسلم.

وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد أهل الثناء والحمد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد» وتذكر أنك مهما حمدت الله على نعمه التي لا تعد ولا تحصى فإنك لا تؤدي شكر واحدة منها. قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾[1]. فإذا كنا لا نستطيع إحصاءها فكيف نستطيع شكرها.

فإذا تأملنا في كل ما نقوله في صلاتنا فإن ذلك يزيدنا إيماناً بتقصيرنا في جنب الله ويعمق في نفوسنا معاني الانكسار والذل وطلب الرحمة من الله وكل هذه الأشياء محفزات للخشوع في الصلاة.

ثم تأمل في سعة رحمة الله سبحانه وعظم ثوابه وجزيل عطائه. عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ حدثهم أن عبداً من عباد الله قال: «**يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، فعضلت بالملكين فلم يدريا كيف يكتبانها فصعدا إلى السماء وقالا: يا ربنا إن عبدك قال مقالة لا ندري كيف نكتبها ؟ قال الله عز وجل وهو أعلم بما قال عبده: ماذا قال عبدي؟ قالا: يا رب إنه قال يارب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، فقال الله عز وجل لهما: اكتباها كما قال عبدي حتى يلقاني فأجزيه بها**». فإذا كان الكريم سبحانه هو المجازي وهو المعطي والمثيب فماذا تتصور أن يكون العطاء وماذا تتخيل أن يكون الثواب. ألا فلنكثر مما قاله ذلك العبد: ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك. فهل نعي فعلاً معنى الحمد

---

(١) سورة النحل آية ١٨.

كما ينبغي لجلال وجه الله تعالى وعظمة سلطانه الذي لا يعلم قدره إلا هو سبحانه، ثم نعلم بأن الله تعالى يسمع هذا الحمد كله ويثيبنا عليه بما يشاء سبحانه فهو الكريم يضاعف لمن يشاء بقدر ما يشاء تقدست أسماؤه وصفاته وعز جاهه.

ثم نخر ساجدين لله تعالى طائعين مختارين سجود عبادة وتذلل وتضرع للخالق العظيم، رب الأرباب ومسبب الأسباب فنقول: «سبحان ربي الأعلى» ثلاثاً أو ما شاء الله أن نقول لأنه هو العلي والأعلى في كل شيء وهو الأحد الذي لا ينبغي السجود إلا له سبحانه وتعالى علواً كبيراً، وهو الأعلى من الدنيا وما فيها من مشاغل وملذات وفتن وزينة ومن كل الخلق مهما علا شأنهم ولا أحد أعلى من الله تعالى ربنا ورب كل شيء سبحانه. ولنتذكر في هذا الموقف أنه كلما تذلل العبد لربه كلما كان أقرب له كما قال ﷺ: **«أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا فيه من الدعاء»**[1].ولئن كان القيام والركوع والتشهد في الصلاة،من أسباب الخشوع والاستكانة والتذلل لله، فإن السجود هو أعلى درجات الاستكانة وأظهر حالات الخضوع لله العلي القدير.

واعلم أيها المصلي: أنك إذا سجدت تكون أقرب إلى الله، ومتى استحضر قلبك معنى القرب من خالق ومبدع الكون، متى تصور العبد ذلك كله خضع وخشع.

تصور حالك وأنت قريب من ملك عظيم من ملوك الدنيا تود الحديث إليه أو طلب شيء منه، ألا يصيبك من الارتباك والسكون ما يغير

---

(١) رواه مسلم.

حالك ويخفق قلبك، فكيف وأنت قريب في حالة سجودك من الله ذي الملك والملكوت والعز والجبروت. ولله المثل الأعلى.

واعلم أن السجود أقرب موضع لإجابة الدعاء،ومغفرة الذنوب ورفع الدرجات.قال الله تعالى: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾(١). وتذكر أنك تضع أشرف ما خلقه الله فيك وهو وجهك على الأرض فتلك هي العبودية الحقة لمن يستحق العبادة سبحانه وما أحلاها من عبودية، فالعبودية للبشر ذل وصغار والعبودية لله رفعة وعزة فسبحان الله العلي العظيم.

وندعو ما شاء الله لنا في هذا الموقف وفي تلك الهيئة بين يدي رب العالمين الرحمن الرحيم العلي العظيم فإن الدعاء هو العبادة والعبد مأمور به لقوله تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾(٢).

ومما كان يدعو به نبينا ﷺ في حال سجوده: «**اللهم اغفر لي ذنبي كله دقه وجله، وأوله وآخره، وعلانيته وسره**»(٣). ويقول أيضاً: «**اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره تبارك الله أحسن الخالقين**»(٤).

وكان يقول ﷺ أيضاً في سجوده: «**سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة**»(٥). وكذلك كان يقول: «**اللهم اغفر لي ما قدمت وما**

---

(١) سورة العلق آية ١٩.

(٢) سورة الأعراف آية ٥٥.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه مسلم.

(٥) رواه داوود والنسائي.

أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت».

والأدعية الواردة في السجود كثيرة ليس هذا محل بسطها وللمسلم أن يدعو في حال سجوده بما شاء ولا يشترط دعاء معين.

وهكذا نرى عظمة السجود لله وما فيه من تحقيق العبودية لله. وما يحتويه من منفعة عامة للجسد والقلب الذي يستشعر بوجوده بين يدي خالقه سبحانه وتعالى وبقربه منه وهذه المنفعة تشمل الصحة في الجسد والراحة في القلب والاطمئنان النفسي كما كان الرسول ﷺ يقول عندما يحين وقت الصلاة: أرحنا بها يا بلال، ولم يقل أرحنا منها كما هو الحال عند كثير من الناس اليوم!!

قال أيضاً ﷺ: **«حبب إلي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة»**(١).

وبين السجدتين ندعو كما علمنا رسولنا ﷺ: **«اللهم اغفر لي ثلاثاً»** أو نقول: **«اللهم اغفر لي وارحمني واجبرني وارفعني واهدني وعافني وارزقني».**

و التشهد اشتمل على معاني عظيمة جليلة، فإذا تأمل المصلي فيها أخذت بمجامع قلبه وألقت عليه من ظلال السكينة والرحمة ما يلبسه ثوب الخشوع الاستكانة. إذ أن المصلي في التشهد يلقي التحيات لله سبحانه، وهذا – والله – مشهد يستعذبه القلب ويخفق له،ثم تسلم على رسول الله ﷺ فيرد عليك السلام كما صح ذلك في الحديث، ثم تستشعر

---

(١) رواه الإمام أحمد وصححه الألباني.

معاني الأخوة في المجتمع الإسلامي حينما تسلم على نفسك وعلى عباد اله الصالحين ثم توحد الله سبحانه وتقر لنبيه بالعبودية والرسالة.

ثم تصلي على الرسول الكريم محمد ﷺ كما علمنا عندما سأله الصحابة رضوان الله عليهم فقالوا إن الله أمرنا أن نصلي عليك فكيف نصلي فقال: «**قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم انك حميد مجيد**»(١). ولنستشعر أننا بهذه الصلاة يصلي الله سبحانه وتعالى علينا عشراً كما قال الصادق المصدوق ﷺ: «**من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشراً**»(٢). والصلاة من الله على العباد رحمته. فمن منا لا يرجو هذه الرحمة العظيمة؟.

ثم ندعو بما شاء الله أن ندعو. ومن الأدعية الجامعة التي كان النبي ﷺ يكثر منها: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾(٣). ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾(٤). فما أجمل وما أشمل هذا الدعاء الذي هو من القرآن الكريم وما أعظم الحكمة في أن يكون الدعاء ختام هذه العبادة العظيمة التي كلها خضوع وخشوع وافتقار لرب الناس وخالقهم سبحانه.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه مسلم وأبو داوود صحيح أبي داوود برقم ١٣٦٩. السلسلة الصحيحة برقم ٤٠٢.

(٣) سورة البقرة آية ٢٠١.

(٤) سورة آل عمران آية ٨.

وقد ثبت عن رسولنا ﷺ انه كان يستعيذ بالله من أربع قبل أن يسلم فيقول: «**اللهم اني اعوذ بك من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال**»(١).

وقد عَلَّم ﷺ أبا بكر رضي الله عنه أن يقول في آخر صلاته: «**اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم**».

ثم يقول السلام عليكم ورحمة الله يميناً ويساراً. فما أعظمها من نهاية لهذه العبادة التي بدأت بالتكبير وحرمت ما حرم الله على العبد في صلاته وانتهت بالسلام حتى نكون بإذن الله من السالمين المفلحين في الدنيا والآخرة. وبعد التسليم نستغفر الله ثلاثاً على ما كان من تقصير ثم نقول: «**اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام**»(٢). «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد**»(٣). ثم نسبح الله ثلاثاً وثلاثين ونحمده ثلاثاً وثلاثين ونكبره ثلاثاً وثلاثين ثم نختمها بقولنا لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير(٤).

---

(١) رواه مسلم وهو في صحيح أبي داوود برقم ٩٠٣ وأيضاً برقم ١٣٧٦ وصححه الألباني في الارواء برقم ٣٥٠.

(٢) رواه مسلم في المساجد باب استحباب الذكر بعد الصلاة ١/ ١٤١.

(٣) رواه البخاري في الأذان باب الذكر بعد الصلاة رقم ٨٤٤ ومسلم برقم ٥٩٣..

(٤) رواه مسلم في الموضع السابق برقم ٥٩٧.

ثم تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك[١].

كما يستحب أن تقرأ آية الكرسي دبر كل صلاة[٢]وقل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس[٣]. لنتقي بها شياطين الإنس والجن.

ويستحب رفع الأصوات بالأذكار التي بعد الصلاة[٤]، لكنه رفع ليس فيه إيذاء لأحد.

ويستحب أن ندعو بما نشاء من خيري الدنيا والآخرة ونكثر من الدعاء بعد أداء الصلاة فإنه من مواطن إجابة الدعاء بإذن الله سبحانه، وأن ندعو للمسلمين عامة. والأفضل أن نبدأ الدعاء بحمد الله والصلاة على رسوله ﷺ وننهي الدعاء بالحمد لله والصلاة على رسوله ﷺ. فما أعظمها من عبادة وما أجلها لو تأملنا فيها.

* * *

(١) رواه أبو داوود ١/ ١٨٠ رقم ١٥٢٢ وقال النووي في الأذكار ص ٦٠ إسناده صحيح.

(٢) رواه النسائي في اليوم والليلة ص ١٨٢ (١٠٠) وقال أبن كثير في تفسيره سورة البقرة آية ٢٥٥ إسناده على شرط البخاري وصححه المنذري وغيره (الترغيب ٢/ ٤٥٣).

(٣) رواه أبو داوود ٢/ ١٨١رقم ١٥٢٣ والترمذي رقم ٢٩٠٥والنسائي ٣/ ٨٦ وانظر الأذكار للنووي ص ٦٠.

(٤) انظر صحيح البخاري رقم ٨٤١. ومسلم رقم ٥٨٣.

السبب التاسع والعشرون

قيـــــــام الليـــــــل

إن قيام الليل ومناجاة الواحد الأحد في وقت لا يراك فيه ولا يسمعك إلا هو سبحانه هو من أعظم أسباب الخشوع في الصلاة فإن في ذلك تربية للنفس وتعويداً لها على مراقبته سبحانه.

إن قيام الليل هو دأب الصالحين، وتجارة المؤمنين، وعمل الفائزين، ففي الليل يخلو المؤمنون بربهم، ويتوجهون إلى خالقهم وبارئهم، فيشكون إليه أحوالهم وذنوبهم، ويسألونه من فضله، فنفوسهم قائمة بين يدي خالقها، عاكفة على مناجاة بارئها، تتنسم من تلك النفحات، وتقتبس من أنوار تلك القربات، وترغب وتتضرع إلى عظيم العطايا والهبات.إنه شرف المؤمن الذي لا يعدله شرف.

قال البخاري في صحيحه: «باب فضل قيام الليل» ثم أورد بسنده عن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: «كان الرجل في حياة النبي ﷺ إذا رأى رؤيا قصها على رسول الله ﷺ فتمنيت أن أرى رؤيا فأقصها على رسول الله ﷺ وكنت غلامًا شابًا وكنت أنام في المسجد على عهد رسول الله ﷺ فرأيت في النوم كأن ملكين أخذاني فذهبا بي إلى النار فإذا هي مطوية كطي البئر، وإذا لها قرنان، وإذا فيها أناس قد عرفتهم، فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار، قال: فلقينا ملك آخر فقال لي: لم ترع، فقصصتها على حفصة، فقصتها حفصة على رسول الله ﷺ فقال:

«**نعم الرجل عبدالله لو كان يصلي من الليل**»[١]. فكان بعد لا ينام من الليل إلا قليلاً. والشاهد قوله ﷺ: «**نعم الرجل عبدالله لو كان يصلي من الليل**». فمقتضاه أن من كان يصلي من الليل يوصف بكونه نعم الرجل وفي الحديث كذلك أن قيام الليل يكون سبباً في دفع العذاب والنجاة من النار.

وقال النبي ﷺ: «**إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها**». فقيل: لمن يا رسول الله ؟. قال: «**لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وبات قائماً والناس نيام**»[٢].

وقال أيضاً: «**أتاني جبريل فقال: يا محمد، عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزه استغناؤه عن الناس**»[٣].

إن قيام الليل يرقق القلب وهذا مما يجعل المسلم يخشع في صلاته ويقبل عليها. والنبي ﷺ قد حث على قيام الليل ورغّب فيه، فقال عليه الصلاة والسلام: «**عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة إلى الله تعالى، ومكفرة للسيئات، ومنهاة عن الإثم، ومطردة للداء عن الجسد**»[٤].

وقال أيضاً حاثاً أمته على قيام الليل حتى ولو كان جزءاً قليلاً من الليل وبين أن القيام سبب لطرد الغفلة عن القلب. عن عبدالله بن عمرو

---

(١) رواه البخاري. باب قيام الليل (١/ ٣٣٦، ٣٤٥) برقم (١١٢٢).

(٢) رواه الطبراني والحاكم وصححه الألباني.

(٣) رواه الحاكم والبيهقي وحسنه المنذري والألباني.

(٤) رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني.

رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قام بعشر آيات لم يُكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين**»(١). والمقنطرون هم الذين لهم قنطار من الأجر. والقنطار هو العدد الكثير وحدده بعض أهل العلم بأنه ما كان أكثر من الألف. وفي رواية أن النبي ﷺ قال: «**إن في الليل لساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيراً إلا آتاه، وذلك كل ليلة**».

قال حافظ الحكمي:

فقد روى الثقات عن خير الملا ... بأنه عز وجل وعلا
في ثلث الليل الأخير ينزل ... يقول هل من سائل فيقبل
هل من مسيء طالب للمغفرة ... يجد كريماً قابلاً للمعذرة
يمن بالخيرات والفضائل ... ويكرم العبد ويعطي السائل

وذكر عند النبي ﷺ رجل نام ليلة حتى أصبح فقال: «**ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه**»(٢).

وقال مبيناً فضيلة قيام الليل وأنه أفضل الصلاة بعد الفرائض: «**أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل**»(٣).

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه أخبر أن رسول الله ﷺ طرقه وفاطمة بنت النبي ﷺ ليلة فقال: «**ألا تصليان**»؟ فقلت يا رسول الله أنفسنا

---

(١) رواه أبو داوود وابن خزيمة في صحيحه ورواه « ابن حبان » في صحيحه وحسنه (الألباني) في صحيح الترغيب والترهيب برقم ٦٣٥.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم.

بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف حين قلت ذلك، ولم يرجع إليَّ شيئًا ثم سمعته وهو مولٍ يضرب فخذه وهو يقول: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾(١)(٢).

قال ابن بطال: يدل الحديث على فضيلة قيام الليل وإيقاظ النائمين من الأهل والقرابة لذلك قال الطبري: لولا ما علم النبي ﷺ من عظم فضل الصلاة في الليل ما كان يزعج ابنته وابن عمه في وقت جعله الله لخلقه سكنًا، لكنه اختار لهما إحراز تلك الفضيلة.

قيام النبي ﷺ:

أمر الله تعالى نبيه ﷺ بقيام الليل في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾(٣).

وقال سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾(٤).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه. فقلت له: لمَ تصنع هذا يا رسول الله، وقد غُفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال: أفلا أكون عبداً شكوراً؟»(٥). وهذا يدل على أن

---

(١) سورة الكهف آية ٥٤.
(٢) رواه البخاري.
(٣) سورة المزمل آية (١ ـ ٤).
(٤) سورة الاسراء آية ٧٩.
(٥) متفق عليه.

الشكر لا يكون باللسان فحسب، وإنما يكون بالقلب واللسان والجوارح، فقد قام النبي بحق العبودية لله على وجهها الأكمل وصورتها الأتم، مع ما كان عليه من نشر العقيدة الإسلامية، وتعليم المسلمين، والجهاد في سبيل الله، والقيام بحقوق الأهل والذرية، فكان كما قال ابن رواحة رضي الله عنه:

وفينا رسول الله يتلو كتابه ... إذا انشق معروفٌ من الصبح ساطعُ
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا ... به موقناتٌ أن ما قال واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه ... إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: «**صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مُتَرَسلاً، إذا مرّ بآية فيها تسبيح سبّح، وإذا مرّ بسؤال سأل، وإذا مر بتعوّذ تعوذ... الحديث**»(١).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «**صليت مع النبي ليلة، فلم يزل قائماً حتى هممت بأمر سوء. قيل: ما هممت؟ قال: هممت أن أجلس وأَدَعَهُ**»(٢).

قال ابن حجر: «وفي الحديث دليل على اختيار النبي ﷺ تطويل صلاة الليل، وقد كان ابن مسعود قوياً محافظاً على الاقتداء بالنبي ﷺ، وما هم بالقعود إلا بعد طول كثير ما اعتاده». لذلك قال الحسن البصري: «لم أجد شيئاً من العبادة أشد من الصلاة في جوف الليل».

---

(١) رواه مسلم.
(٢) متفق عليه.

قال أبوعثمان النهدي: «تضيّفت أبا هريرة سبعاً، فكان هو وامرأته وخادمه يقسمون الليل ثلاثاً، يصلي هذا، ثم يوقظ هذا».

وكان شداد بن أوس إذا أوى إلى فراشه كأنه حبة على مقلى، ثم يقول: اللهم إن جهنم لا تدعني أنام، فيقوم إلى مصلاه.

وكان طاووس يثب من على فراشه، ثم يتطهر ويستقبل القبلة حتى الصباح، ويقول: طيَّر ذكر جهنم نوم العابدين !!.

وكان زمعة العابد يقوم فيصلي ليلاً طويلاً، فإذا كان السحر نادى بأعلى صوته: يا أيها الركب المعرِّسون، أكُل هذا الليل ترقدون؟ ألا تقومون فترحلون !! فيسمع من هاهنا باكٍ، ومن هاهنا داع، ومن هاهنا متوضئ، فإذا طلع الفجر نادى: عند الصباح يحمد القوم السرى !!

أسباب تعين على قيام الليل:

وإن مما يعين على قيام الليل أسباب نذكر منها:

أولاً: استشعار أن الله الجليل يدعوك للقيام.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**يتنزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فاستجيب له؟ من يسألني فاعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟**»[1].

ثانياً: وأن الحبيب ﷺ يدعوك إلى القيام.

عن عبدالله بن سلام رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلّوا بالليل والناس نيام تدخلوا**

---

(١) رواه مسلم في صحيحه.

الجنة بسلام»[١].

ثالثاً: واستشعار أن الله عز وجل يرى ويسمع صلاتك له بالليل.

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه وأرضاه أن النبي ﷺ قال: «**عجب ربنا من رجلين: رجل ثار (أي قام) عن وطائه (أي فراشه) ولحافه، من بين أهله وحِبّه (أي أهله) إلى صلاته (أي القيام)، فيقول الله جل وعلا: أيا ملائكتي: انظروا إلى عبدي ثار عن فراشه ووطائه من حِبّه وأهله إلى صلاته رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي**»[٢].

رابعاً: ومما يعين على القيام النوم على الطهارة.

عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**طهروا هذه الأجساد طهركم الله، فإنه ليس عبد يبيت طاهراً إلا بات معه في شعاره (وهو الثوب الذي يلي الجسد مباشرة) ملك، لا يتقلب ساعة من الليل إلا قال (أي ملك): اللهم اغفر لعبدك، فإنه بات طاهراً**»[٣].

خامساً: معرفة أن النبي ﷺ كان لا يترك القيام حتى في المرض.

عن عبدالله بن أبي قبيس رضي الله عنه قال: قالت لي عائشة رضي الله عنها: «**لا تدع قيام الليل، فإن رسول الله ﷺ كان لا يدعه (أي لا يتركه)،**

---

(١) رواه أحمد والترمذي وقال: حديث حسن صحيح. ورواه الحاكم (صحيح على شرط الشيخين).

(٢) رواه أحمد أبو يعلى الطبراني ـ وابن حبان في صحيحه عن سعود وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب رقم (١/ ٢٥٨).

(٣) رواه الطبراني في الأوسط: ورواه أبو الشيخ عن ابن عمر وقال الهيثمي. أرجو أنه حسن الإسناد وقال المنذري. إسناده جيد. والحديث حسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٣٨٣١).

وكان إذا مرض أو كسِل صلى قاعداً»(١).

سادساً: عدم السهر بعد العشاء.

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: «**كان النبي ﷺ يجدب لنا (أي يكره ويعيب) السمر بعد العشاء**»(٢).

سابعاً: وإدراك أن القيام سبب للفوز بالحور الحسان.

قال أزهر بن ثابت التغلبي رحمهما الله تعالى: «كان أبي من القوامين لله في سواد الليل. فقال أبي ذات مرة: رأيت في منامي امرأة لا تشبه نساء الدنيا، فقلت لها: من أنت؟ فقالت: حوراء، أمة الله. فقلت لها: زوجيني نفسك. فقالت: اخطبني إلى سيدي وأمهرني .فقلت لها: وما مهرك؟ فقالت: طول التهجد» (٣).

ثامناً: والنوم على نية القيام للصلاة.

عن أبي ذر أو أبي الدرداء رضي الله عنهم – شك الراوي- أن النبي ﷺ قال: «**ما من عبد يحدث نفسه بقيام ساعة من الليل فينام عنها، إلا كان نومه صدقة تصدق الله بها عليه،وكتب له أجر ما نوى**»(٤).

تاسعاً: معرفة أن الله تعالى يباهي بقائم الليل الملائكة.

قال الحسن البصري رحمه الله: «**إذا نام العبد ساجداً** (أي في القيام)

---

(١) رواه أبو داوود وابن خزيمة. وصححه وقال الألباني في تعليقه على صحيح ابن خزيمة إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) رواه أحمد في المسند وابن ماجه في سننه وحسن إسناد الحديث الشيخ « أحمد شاكر » في تعليقه على المسند (٥/ ٣٧٨٧).

(٣) من كتاب « احياء علوم الدين » للغزالي (١/ ٣١٥).

(٤) رواه مالك وأبو داوود والنسائي، وصححه الألباني في صحيح الجامع: برقم (٥٥٦٧).

باهى الله به الملائكة، يقول: انظروا إلى عبدي، يعبدني وروحه عندي وهو ساجد»[١].

عاشراً: معرفة أن النبي ﷺ كان لا يترك القيام في أرض الجهاد.

فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنهم أن رسول الله ﷺ عام غزوة تبوك، «قام من الليل يصلي فاجتمع وراءه رجال من أصحابه يحرسونه، حتى صلى وانصرف إليهم»[٢].

حادي عشر: ومعرفة مدى إجتهاد السلف رضي الله عنهم في قيام الليل.

عن أم سعيد بن علقمة رحمها الله تعالى قالت: «كان داود الطائي رحمه الله، جاراً لنا، فكنت أسمع بكاءه عامة الليل لا يهدأ، ولربما ترنم في السَحَرْ بشيء من القرآن فأرى أن جميع نعيم الدنيا في ترنيمه تلك الساعة» [٣].

يا رجال الليل جدوا ... ربّ داع لا يُـــردُ
لا يقــوم الليــل إلا ... من لــه عزم وجــد

* * *

(١) من كتاب الزهد للإمام أحمد.
(٢) رواه أحمد في المسند، وصححه المنذري في « الترغيب والترهيب ».
(٣) من كتاب (الحلية) لأبي نعيم (٧/ ٣٥٦).

السبب الثلاثون

سلامة الصدر

لقد حرص الإسلام على تأليف قلوب أبناء الأمة بحيث تشيع المحبة وترفرف رايات الألفة والمودة، وتزول العداوات والشحناء والبغضاء والغل والحسد والتقاطع. وقد كان من أول ما بدأ به الرسول ﷺ أول ما هاجر إلى المدينة المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار حتى تزول كل ما خلفته الجاهلية من العصبيات والنعرات القبلية وحتى يعيش الناس في مجتمع تسوده الألفة والمحبة بين أفراده.

وإن المصلي حين يحضر إلى المسجد وهو محباً لإخوانه المسلمين سليم الصدر لهم لا يحمل على أحد حقداً ولا غلاً ولا حسداً هو أقرب إلى الخشوع ممن يأتي إلى المسجد وقد أمتلأ قلبه حقداً أو حسداً لأحد من المسلمين. ولهذا امتن الله على المؤمنين بأن ألف بين قلوبهم وهذه نعمة عظيمة فقال سبحانه: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾[1].

بل امتن على نبيه ﷺ بأن أوجد له طائفة من المؤمنين تألفت قلوبهم. فقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ

(١) سورة آل عمران آية ١٠٣.

بَيْنَهُمْ ﴾[١]. وحتى توجد الألفة والمودة في المجتمع لابد من سلامة الصدور وصفاء القلوب، ونقصد بسلامة الصدور طهارتها من الغل والحقد والحسد والشحناء والبغضاء.

والحديث عن هذه القضية وهذا الخلق حديث مهم ولا يقتصر ذلك على أنه سبب من أسباب الخشوع في الصلاة فحسب بل أهميته لاتقتصر على أفراد معينون أو جماعات معينة بل هو مهم في جميع ميادين الحياة وفي كل تعاملاتنا اليومية. وهو تذكير لابد منه في وقت انشغل أكثر الناس بالظواهر واستهانوا بأمر البواطن والقلوب مع أن الله تعالى لا ينظر إلى الصور ولا إلى الأجساد، ولكن ينظر إلى القلوب والأعمال، ولأن الله تعالى قد جعل النجاة يوم القيامة مرتبطة بسلامة القلوب. قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[٢]. والقلب السليم هو القلب السالم من الشرك والغل والحقد والحسد وغيرها من الآفات والشبهات والشهوات المهلكة.

كان من دعائه ﷺ: **«اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك قلباً سليماً ولساناً صادقاً»**.

عن الزبير رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«دب إليكم داء الإمم من قبلكم الحسد والبغضاء ألا إنها هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين. والذي نفسي بيده لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولن**

---

(١) سورة الأنفال آية ٦٢ ـ ٦٣.

(٢) سورة الشعراء آية ٨٨ ـ ٨٩.

تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم»[١].

ثم إن رسول الله ﷺ يقول حاثاً أمته على سلامة الصدور وطهارة القلوب: «**لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانًا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام**»[٢].

فصاحب القلب السليم هو من صفوة الله المختارة فقد سئل رسول الله ﷺ عن أفضل الناس، فقال: «**كل مخموم القلب صدوق اللسان**». قالوا: صدوق اللسان نعرفه؛ فما مخموم القلب؟ قال: «**التقي النقي الذي لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد**»[٣].

وسلامة الصدر سببٌ من أعظم أسباب قبول الأعمال الصالحة، قال ﷺ: «**تعرض الأعمال كل يوم اثنين وخميس، فيغفر الله عز وجل في ذلك اليوم لكل امرئٍ لا يشرك بالله شيئًا، إلا امرأ كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقول: أنظروا هذين حتى يصطلحا**». فانظر كم يضيع على نفسه من الخير من يحمل في قلبه الحقد والحسد والغل؟!!. ولربما أن صلاته التي يصليها ليس له منها إلا التعب والنصب وكذلك سائر عباداته.

وسلامة الصدر طريق إلى الجنة فإن أول زمرة تدخل الجنة كما أخبر المصطفى ﷺ «**لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم على قلب رجل**

---

(١) رواه البزار. البيهقي بإسناد جيد.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه ابن ماجة،وأورده السيوطي في الجامع الصغير وقال الألباني في الصحيحة بعد أن ساق إسناد ابن ماجة:وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات.

واحد..»[1].

ومما يدل على أن سلامة الصدر سبب لدخول الجنة قصة عبدالله بن عمرو مع ذلك الرجل الذي شهد له النبي ﷺ ثلاث مرات بأنه من أهل الجنة فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كنا جلوسا مع رسول الله ﷺ فقال: «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة فطلع رجل من الأنصار ينظف لحيته من وضوئه قد تعلق نعليه في يده الشمال، فلما كان الغد. قال النبي ﷺ مثل ذلك فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى فلما كان اليوم الثالث قال النبي ﷺ مثل مقالته أيضا فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى. فلما قام الرجل تبعه عبدالله بن عمرو بن العاص فقال: إني لاحيت أبي فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثا فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلت. قال: نعم. قال: أنس وكان عبدالله يحدث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث فلم يره يقوم من الليل شيئاً غير أنه إذا تعار وتقلب على فراشه ذكر الله عز وجل وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر قال: عبدالله غير أني لم أسمعه يقول إلا خيراً فلما مضت الثلاث ليال وكدت أن أحتقر عمله قلت يا عبدالله إني لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجر ثم. ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرات يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة فطلعت أنت الثلاث مرات فأردت أن آوي إليك لأنظر ما عملك فأقتدي به فلم أرك تعمل كثير عمل فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ. فقال: ما هو إلا ما رأيت قال فلما وليت دعاني فقال ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشا ولا

---

(١) رواه البخاري.

أحسد أحدا على خير أعطاه الله إياه. فقال عبدالله: هذه التي بلغت بك وهي التي لا نطيق»(١).

وقد أخبر الله تعالى عن حال أهل الجنة فقال: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾(٣).

والله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم قد أثنى على الأنصار وعلى من تبعهم بإحسان ووصفهم بسلامة الصدر فيقول: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٩ وَالَّذِينَ جَاءُو مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(٤).

فهذه دعوة إلى أن نطهر قلوبنا من الحقد والغل والحسد حتى نسعد بصحبة الأبرار الصالحين، ونفوز بالقرب من رب العالمين، فإن النبي ﷺ أخبر عن عبادٍ ليسوا بأنبياء ولا شهداء على منابر من نور يوم القيامة، يغبطهم النبيون والشهداء، على مجالسهم وقربهم من الله، فلما سئل عنهم

---

(١) رواه الإمام أحمد.

(٢) سورة الأعراف آية ٤٣.

(٣) سورة الحجر آية ٤٧.

(٤) سورة الحشر آية ٩ ـ ١٠.

أخبر أنهم أُناس لم تصل بينهم أرحام متقاربة.. لكنهم تحابوا في الله، وسلمت صدورهم وقلوبهم من الحقد والغل والحسد. فانظروا إلى عظم ما أعده الله لهم بسبب هذا الخلق الكريم. فصاحب الصدر السليم يفوز بكل هذه الفضائل والنتيجة المباشرة في الدنيا هي: راحة البال والبعد عن كل ما يكدر القلب من الهموم والغموم.

أثر سلامة الصدر على المجتمع:

أما عن أثر ذلك على المجتمع فإنه يكون مجتمعًا متماسكًا متراصًا متكاتفًا ترفرف عليه رايات المحبة والإخاء ويصدق عليهم قول النبي ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسَّهر والحمى**»(١).

ولنتأمل هاتين الآيتين الكريمتين حتى نعرف أهمية سلامة الصدر قال الله تعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾(٢).

وقال سبحانه: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَاصْبِرُوا ۚ﴾(٣). فأعداء الأمة لن ينالوا منها مايريدون طالما ظل أبناؤها متحابين متماسكين سليمي الصدور غير متنازعين.

فليس أسعد للمرء ولا أطرد لهمومه ولا أقر لعينه من أن يعيش سليم

---

(١) رواه مسلم.

(٢) سورة آل عمران آية ١٢٠.

(٣) سورة الأنفال آية ٤٦.

الصدر بعيداً عن الحسد والحقد فإذا رأى أحداً في نعمة فرح لأخيه كما يفرح بذلك لنفسه ورضي بما قسم له. وإذا رزق بنعمة أدى شكر الله فيها ولم يحتقر غيره ويتكبر عليهم وذكر قول الرسول ﷺ: «**اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك والشكر**»(١). وإذا رأى أذى يلحق بغيره من مصيبة في المال أو الولد أو البدن أشفق عليه ورق له ورجا الله أن يفرج كربه ويغفر ذنبه ويعوضه الله ويخلف عليه بخير. وبهذا يكون المسلم سليم الصدر مستريح النفس من نزعات الحسد والحقد، ومثل هذا العبد قلبه مشرق يبارك الله فيه لأنه إلى كل خير أسرع.

نماذج من السيرة النبوية في سلامة الصدر:

وقدوتنا في ذلك وأسوتنا سيد ولد آدم أجمعين عليه صلوات رب العالمين، يذهب إلى الطائف عارضًا نفسه على وجهائها وأهلها بعد أن كذبه قومه، فلم يجبه منهم أحد،وأغروا به سفهاءهم فآذوه ورموه بالحجارة فانطلق مهمومًا مغموماً راجعاً إلى مكة، وإذا هو بسحابة قد أظلته فيها جبريل، ومعه ملك الجبال فناداه ملك الجبال: «إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين» جبلين بمكة «فقال صاحب الصدر السليم ﷺ: «**بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا**»(٢). فأي صبر وسلامة صدر هذا مع كل ما واجه

---

(١) رواه أبو داوود عن ابن عباس.

(٢) رواه البخاري (٦/ ٢٢٥)، ومسلم برقم (١٧٩٥).

منهم من الأذى والسب والشتم والتكذيب.

ولما قيل له يا رسول الله: ادع على ثقيف فقال: «**اللهم اهد ثقيفا وائت بهم**»(١). ثم تأمل حاله ﷺ حين كذبه قومه وآذوه وأتهموه بالسحر والشعر والكهانة وقالوا عنه أنه كذاب ثم بعد ذلك ضربوه فأدموه فمسح الدم عن وجهه وهو يقول: «**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**». ثم بعد أن ظفر بأولئك المشركين لما فتح مكة ماذا فعل بهم وهم الذين آذوه وسعوا في قتله حتى خرج من بين أظهرهم وكان الأمر كما أخبر الله عز وجل: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾(٢). خرجوا لحربه في بدر وأحد وحاصروه في المدينة في غزوة الأحزاب وصدوه عن البيت يوم الحديبية ولقي منهم من الأذى ما لا يصبر عليه أحد فلما مكن الله له ودخل مكة فاتحاً منتصراً ما انتقم لنفسه ولا لأصحابه ولا تذكر تلك المواقف منهم وكل ما فعلوه به. بل قال لهم: يا معشر قريش ما تظنون أني فاعل بكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم، قال: «**فإني أقول لكم كما قال يوسف لأخوته، لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين، اذهبوا فأنتم الطلقاء**»(٣).

وقد كان المصطفى عليه الصلاة والسلام ينهى أن يبلغه أحد عن

---

(١) أخرجه أحمد والترمذي.

(٢) سورة الأنفال آية ٣٠.

(٣) رواه أحمد والنسائي وابن ماجه. وذكر ذلك أهل السير كابن هشام (٢/ ٤١٢) عن ابن إسحاق وهو عند أبي داوود برقم (٤٥٤٧)

أصحابه ما يسوؤه لأنه يريد أن يكون قلبه سليماً لأصحابه وقد كان. قال عليه الصلاة والسلام «**لا يبلغني أحد منكم عن أصحابي شيئاً فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر**»(١). والأمثلة من حياته ﷺ كثيرة.

ونبي الله يوسف عليه السلام خير قدوة لنا وقصته مع إخوته خير مثال لسلامة الصدر. فبعد أن ألقوه في الجب وفرقوا بينه وبين أبيه وبيع بثمن بخس دراهم معدودة وتعرض للفتنة ودخل السجن إلى غير ذلك مما لقي عليه السلام. فلما مكن الله له وجعله على خزائن الأرض أتاه أخوته الذين فعلوا معه ما فعلوا فلما ترددوا عليه يطلبون الميرة والطعام في القصة التي قصها الله علينا في كتابه الكريم قالوا له: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾(٢). فما كان منه إلا أن قال: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾(٣). فما حمل غلاً ولا حقداً عليهم ولا ذكر شيئاً مما فعلوه به.

ثم لما جاء أبوه مع اخوته: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَـٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾(٤). فلم يقل: «أخرجني من الجب»

---

(١) رواه أبو داوود.

(٢) سورة يوسف آية ٩٠.

(٣) سورة يوسف آية ٩١.

(٤) سورة يوسف آية ١٠٠.

فذكر السجن ولم يقل الجب كي لا يُخجلهم ويعرض بفعلهم به يوم أن ألقوه في الجب وهذا من كمال الأدب والعفو والتسامح منه عليه السلام. ثم قال: ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾، ولم يقل رفع عنكم الجوع والحاجة حفظًا للأدب معهم. ثم قال: ﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ﴾. فأضاف ما جرى إلى السبب وهو ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ ولم يضفه إلى المباشر (إخوته). وجعل نفسه طرفاً في ما حصل بينهم فقال: ﴿بَيْنِى﴾ ولم يقل عليه السلام من بعد أن أغرى الشيطان إخوتي.

ثم تأمل موقف الصِّدِّيقُ رضي الله عنه مع مسطح بن أثاثة فقد كان الصديق رضي الله عنه ينفق على مسطح فلما كانت حادثة الإفك كان مسطح ممن خاضوا فيها فأقسم الصديق ألا ينفق على مسطح فأنزل الله قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1] فما كان من الصديق إلا أن أعاد النفقة على مسطح.

وهذا خالد بن الوليد رضي الله عنه في أوج انتصاراته وهو قائد الجيش يأتيه خبر عزل الفاروق له رضي الله عنهم أجمين فما تسخط ولا تبرم ولا عاند ولا كابر ولم يحمل في قلبه بل واصل الجهاد في سبيل الله ولم يترك ساحات القتال بل ظل مجاهدا كجندي من جند المسلمين بعد أن كان قائدهم.

ثم استمع إلى ابن عباس رضي الله عنهما وهو يقول: «إني لأسمع أن

(١) سورة النور آية ٢٢.

الغيث قد أصاب بلدًا من بلدان المسلمين فأفرح به، ومالي به سائمة».

أما أبودجانة رضي الله عنه فقد دخلوا عليه وهو مريض فرأوا وجهه يتهلل فكلموه في ذلك فقال: «ما من عمل شيء أوثق عندي من اثنين: كنت لا أتكلم فيما لا يعنيني، والأخرى كان قلبي سليمًا للمسلمين».

لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب ولا ينال العلا من همه الغضب

أما عُلبة بن زيد رضي الله عنه وأرضاه فإنه لما دعا النبي ﷺ إلى النفقة ولم يجد ما ينفقه بكى وقال: «اللهم إنه ليس عندي ما أتصدق به، اللهم إني أتصدق على كل مسلم بكل مظلمة أصابني فيها من مال أو جسد أو عرض»، ثم أصبح مع الناس. فقال النبي ﷺ: «**أين المتصدق بعرضه البارحة**»؟ فقام عُلبة رَضي الله عنه، فقال: النبي ﷺ: «**أبشر فوالذي نفسُ محمد بيده لقد كُتبت في الزكاة المتقبلة**».

ويروى أن أبا ضمضم وهو أحد صحابة رسول الله ﷺ كان إذا أصبح قال: اللهم إنه لا مال لي أتصدق به على الناس وقد تصدقت عليهم بعرضي فمن شتمني أو قذفني فهو في حل، فقال عليه الصلاة والسلام: «**من منكم يستطيع أن يكون كأبي ضمضم**».

قال ابن القيم في مدارج السالكين بعد هذا الموقف: «وفي هذا الجود من سلامة الصدر وراحة القلب والتخلص من معاداة الخلق ما فيه».

وانظر إلى الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى يُضرب ويُعذَّب على يد المعتصم، وحين أخذوه لمعالجته بعد وفاة المعتصم وأحسَّ بألمٍ في جسده قال: «اللهم اغفر للمعتصم». سبحان الله!! يستغفر لمن كان

سببًا في ألمه. إنه منطق عظيم لا تعرفه إلا الصدور التي حملت قلوبًا كبيرة عنوانها في هذه الحياة «سلامة الصدر و محبة المؤمنين».

وهل أتاك نبأ الشيخ ابن باز رحمه الله مع ذلك الرجل من الخرج ؟ فعندما تولى الشيخ القضاء في مدينة الخرج وجاءه رجل في قضية له في المحكمة فأغلظ ذلك الرجل في كلامه مع الشيخ إلى أن وصل به الحال إلى سب الشيخ رحمه الله، وشاع الخبر في المدينة وبعدها بفترة خرج الشيخ إلى الحج، وبينما كان الشيخ في رحلة الحج، مرض ذلك الرجل ومات، فلما قُدِّم الرجل ليُصلَّى عليه، أبى الإمام الصلاة عليه بسبب سبه للشيخ ابن باز، وصلَّى غيره، فلما رجع الشيخ وأُخبر الخبر عاتب الإمام جدًّا على فعله، ولم يرض ما صنع، ثم إنه سأل عن قبر الرجل فأتاه وصلَّى عليه ودعا له. فأين نحن من هؤلاء ؟!! وما أعظم هذه القلوب التي تحمل الحب والخير للمسلمين.

أسباب تعين على سلامة الصدر:

وهذه بعض الأسباب المعينة على سلامة الصدر:

١- الدعاء فإنه من أعظم الأسباب لتحقيق المقصود، وكان من دعاء نبينا ﷺ: «**وأسألك قلبًا سليمًا**»، فمن رزق الدعاء فإن الإجابة معه. كما أثنى الله على المؤمنين لدعائهم: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا﴾[1].

٢- حُسن الظن وحمل الكلمات والمواقف على أحسن المحامل.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا تظن بكلمة خرجت من أخيك

---

(١) سورة الحشر، الآية: ١٠.

المؤمن شرًّا، وأنت تجد لها في الخير محملاً.

وقال الشافعي: من أراد أن يقضي له الله بخير فليحسن ظنه بالناس. ولما دخل عليه أحد إخوانه يعوده قال: قوّى الله ضعفك، فقال الشافعي رحمه الله: لو قوى ضعفي لقتلني، قال الزائر: والله ما أردت إلا الخير، فقال الإمام: أعلم أنك لو سببتني ما أردت إلا الخير.

٣- التماس الأعذار وإقالة العثرات والتغاضي عن الزلات: يقول أحد السلف التمس لأخيك المسلم سبعين عذرًا فإن لم تجد فلعل له عذراً لا تعلمه.

ويقول ابن سيرين: إذا بلغك عن أخيك شيء فالتمس له عذرًا فإن لم تجد فقل: لعل له عذرًا لا أعرفه.

سامح أخاك إذا خلط منه الإصابة والغلط

فمن الذي ما ساء قط ومن له الحسنى فقط

فأين المعصوم من الخطأ والزلات ؟ ومن منا لا يخطئ قال بعضهم: المروءة هي التجاوز عن زلات الإخوان. فإذا حصلت من أخيك المسلم زلة فتذكَّر سوابق إحسانه فإنه مما يعين على التماس العذر وسلامة الصدر واعلم أن الرجل من عُدَّت سقطاته. واستحضر أن المؤمن يلتمس المعاذير، والمنافق يلتمس العثرات.

٤- ادفع بالتي أحسن.. فليس هذا من العجز، بل من القوة والكياسة قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي

بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾(١).

٥- البعد عن الغيبة والنميمة وتجنب كثرة المزاح.

٦- معاملة النمام بما يستحقه فهو فاسق - هماز مشاء بنميم - فالنمام بريد الشيطان.

٧- الهدية والمواساة بالمال فإنها من دواعي المحبة.

٨- الإيمان بالقدر، فإن العبد إذا آمن أن الأرزاق مقسومة مكتوبة رضي بما هو فيه ولم يجد في قلبه حقداً ولا غلاً ولا حسداً لأحد من الناس على خير أعطاه الله إياه. وليعلم العبد أنه ليس له من الحسد إلا الهم والغم والحسرة وفوق ذلك كله أن هذا الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب كما ثبت ذلك عنه ﷺ. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **«لا يجتمع في قلب عبد الإيمان والحسد»**(٢).

٩- أخيرا تذكر حال النبي ﷺ وسيرته وكيف تعامل مع من آذوه وسبوه وشتموه وحاربوه ومع كل ما فعلوه لم ينتقم لنفسه أبداً بل عفا وأصلح.

إن الشيطان قد يعجز عن الإنسان العابد لله أن يجعله يتجه بالعبادة لغير الله ولكنه من ذلك يحتال في إيقاد نار العداوة والبغضاء في القلوب فإذا اشتعلت هذه النار استمتع الشيطان برؤيتها وهي تحرق حاضر الناس ومستقبلهم وتقطع أواصرهم، ويقوم شياطين الإنس بعد ذلك بإلهابها كلما خمدت أو كادت.

---

(١) سورة فصلت، الاية: ٣٤.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه.

يقول عليه الصلاة والسلام: «**إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم**»(١).

ولهذا فإن دين الإسلام يسعى لعلاج بوادر الجفاء وما يثير البغضاء وينمي الشحناء لكي يكون المجتمع مجتمعاً متماسكاً يحب أفراده الخير لبعضهم. مجتمع تسوده المحبة والألفة والأخوة. وإن الأخوّة الإيمانية بمفهومها الشمولي والعميق هي التي يمكن أن تحل محل العداوة والبغضاء والتنافس غير الشريف، وهي التي يمكن أن تجعل المجتمع صفاً واحداً متماسكاً يصعب خرقه. والإخوة الإيمانية إنما تحصل بسلامة الصدور.

الإخوة الإيمانية وفضلها:

إن الأخوّة الإيمانية نعمة من أعظم النعم التي يمتن الله بها على عباده، هي رابطة بين أفراد المجتمع الإسلامي يستحيل أن نجد مثلها في المجتمعات الأخرى، إنما هي أخوّة لله بين القلوب والأرواح، تربط المؤمنين برباط وثيق لا يمكن فصمه.

الأخوّة الإيمانية أوثق عرى الإيمان، وتحقيقها عبادة من أعظم العبادات، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَنْ أَحَبَّ للهِ وَأَبْغَضَ للهِ وَأَعْطَى للهِ وَمَنَعَ للهِ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ**»(٢). فهذا شرح نبوي للأخوّة الإيمانية، تحب لله، وتبغض لله، وتعطي لله، وتمنع لله.

و عَنْ أَنَسِ بن مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ**

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الترمذي وأحمد واللفظ له.

بهن حلاوة الإيمان، ذكر منها أن تحب المرء لا تحبه إلا لله ..»[١]. نذوق طعم الإيمان إذا أحب بعضنا بعضاً ابتغاء وجه الله.

بل إن الأخوّة الإيمانية تؤدي إلى محبة الله للمجتمع المسلم، كما أن العداوة بين المجتمع وتناحرهم والبغض الذي بينهم يستجلب سخط الله عليهم جميعاً يفهم هذا الكلام من خلال المفهوم العكسي لقوله ﷺ في الحديث القدسي الذي يرويه عن ربه، يقول الله عز وجل: «**وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ**»[٢].

وعَنْ مُعَاذِ بن جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: «**المُتَحَابُّونَ فِي جَلالِي لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ**»[٣].

إن الأخوّة الإيمانية سبيل إلى ظل عرش الرحمن جل جلاله يوم لا ظل إلا ظله، ففي الحديث المشهور عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ.. ذكر منهم وَرَجُلَانِ تحَابَّا فِي الله اجْتَمَعَا عَلَيْهِ، وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ**»[٤].

فما أجمل أن يكون المجتمع الإسلامي مجتمعاً تسوده المحبة والألفة بين أفراده لا شحناء ولا تباغض بينهم.

وليعلم أن مما يعين على العبادة والخشوع فيها أن يحضر المسلم

---

(١) رواه البخاري برقم ١٦ ومسلم برقم ٤٣.

(٢) رواه الإمام أحمد عن معاذ.

(٣) رواه الترمذي.

(٤) متفق عليه.

إليها وليس في قلبه غل أو حقد أو حسد على أحد من إخوانه المسلمين. لأن من يحضر إليها وقد امتلأ قلبه بهذه الأمراض يكون بعيداً كل البعد عن الخشوع.

نسأل الله أن يرزقنا قلوباً سليمة طاهرة إنه ولي ذلك والقادر عليه.

* * *

السبب الحادي والثلاثون

الإكثار من ذكر الله

إن ذكر الله نعمة كبرى، ومنحة عظمى، به تستجلب النعم، وتستدفع النقم، وهو قوت القلوب، وقرة العيون، وسرور النفوس،، وحياة الأرواح. فما أشد حاجة العباد وضرورتهم إليه، لا يستغنى عنه المسلم بحال من الأحوال.

وكثرة ذكر الله سبحانه مما يعين على رقة القلب وخشوعه وتعلقه بمولاه فيجعل القلب دائما متصلاً بالله في كل وقت وفي كل حين متلذذاً بطاعة الله والتقرب إليه حتى تكون العبادة قرة لعينه يأنس بها ويرتاح لها.

وهذه العبادة في مقدور كل مسلم أن يؤديها في كل وقت وفي كل مكان حتى لو كان في عمله أو في سيارته قائماً أو قاعداً أو على جنبه، لا تفتقر إلى طهارة أو استقبال قبلة بل هي عبادة سهلة ميسرة لمن يسرها الله عليه وصاحبها هو من أكثر الناس صلة بربه. وحظه من صلاته ليس كحظ الغافل الساهي عن ذكر مولاه. فذكر الله تعالى هو روح جميع العبادات، وهو المقصود من كل الطاعات والقربات، وهو من أفضل الأعمال الصالحات، وهو منتهى حياة المؤمن ونورها وغايتها وخلاصتها في الدنيا والآخرة. قال تعالى:﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾[1]. وقال سبحانه:

---

(١) سورة العنكبوت آية ٤٥.

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾(١).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ﴾(٢). وقد ختم الله به بعض العبادات فقال سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ﴾(٣). وقال سبحانه: ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَاسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ﴾(٤). وشرعها الله لعباده المؤمنين بعد صلاة الجمعة فقال سبحانه: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾(٥).

وقال تعالى مخاطباً عباده المؤمنين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾(٦). وقال سبحانه: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا﴾(٧)، ففيه الأمر بالذكر الكثير الدائم لشدة حاجة العبد إليه، وعدم استغنائه عنه طرفة عين.

قال الله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾(٨). فما

---

(١) سورة طه آية ١٤.
(٢) سورة البقرة آية ٢٠٣.
(٣) سورة النساء آية ١٠٣.
(٤) سورة البقرة آية ٢٠٠.
(٥) سورة الجمعة آية ١٠.
(٦) سورة الأحزاب آية ٤١.
(٧) سورة الأحزاب آية ٣٥.
(٨) سورة البقرة آية ١٥٢.

أعظم أن يذكرك الله سبحانه وتعالى إذا ذكرته وهو خالقك ورازقك والمتفضل عليك والغني عنك. وفي ذلك فضل عظيم ومنزلة عظيمة للذكر.

وقد أمر الله سبحانه عباده بذكره حتى في نفوسهم وهو أن يستحضروا عظمة الله في نفوسهم وعلمه بما يخفون وما يعلنون ويتفكروا في آيات وآلائه فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ﴾[1]. وقد أثنى الله في كتابه الكريم على الذين يذكرونه في جميع حالاتهم قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم فقال سبحانه: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[2].

وقد ورد عن المصطفى ﷺ أحاديث كثيرة في فضل الذكر. فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة، ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم**». قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «**ذكر الله عز وجل**»[3]. بل إن

---

(١) سورة الأعراف آية ٢٠٥.

(٢) سورة آل عمران آية ١٩٠-١٩١.

(٣) رواه الترمذي ٥/ ٤٥٩. وابن ماجه ٢/ ١٢٤٥. رواه الإمام أحمد.

بعض أهل العلم يرى أن الذكر هو أفضل العبادات بعد الفرائض.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله تبارك وتعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت منه باعاً، وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة**»(١).

وعن عبدالله بن بسر رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فأخبرني بعمل أتشبث به. قال: «**لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله**»(٢).

وقال ﷺ: «**من قعد مقعداً لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة ومن اضطجع مضجعاً لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة**»(٣).

وقال ﷺ: «**ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم ترة فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم**»(٤).

وعن معاذ رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي ﷺ أي المجاهدين أعظم أجراً ؟ قال: «**أكثرهم لله تعالى ذكراً**». قال: فأي الصالحين أعظم أجراً ؟ قال: «**أكثرهم لله تعالى ذكراً**». ثم ذكر الصلاة والزكاة والحج والصدقة كل ذلك ورسول الله ﷺ يقول: «**أكثرهم لله تعالى ذكراً**». فقال

---

(١) رواه البخاري ٨/ ١٧١ ومسلم ٤/ ٢٠٦١.

(٢) رواه الترمذي ٥/ ٤٥٨. وابن ماجه ٢/ ١٢٤٦.

(٣) رواه أبو داوود ٤/ ٢٦٤.

(٤) رواه الترمذي ٣/ ١٤٠.

أبوبكر لعمر: يا أبا حفص ذهب الذاكرون بكل خير. فقال ﷺ: «أجل»(١).

ولكل عبادة من العبادات وقت معين وشروط محددة، ولكن ذكر الله تعالى لا يحدده مكان، ولا يحدده زمان كما ذكرنا، فهو مطلوب على جميع الأحوال، وفي كل الأوقات، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾(٢).

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «**كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه**»(٣).

وروي أن الله سبحانه أوحى لموسى يا موسى أتحب أن أسكن معك بيتك؟ فخر لله ساجداً ثم قال: يا رب وكيف ذلك؟ فقال يا موسى: «**أما علمت أني جليس من ذكرني وحيثما التمسني عبدي وجدني**».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**سبق المفردون**»، قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «**الذاكرون الله كثيراً والذاكرات**»(٤).

وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: ليس يتحسر أهل الجنة على شيء إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله تعالى فيها.

بل إن الله سبحانه جعل إحدى علامات المنافقين أنهم لا يذكرون الله تعالى إلا قليلاً فهم يذكرون أمام الناس. ولكنه الذكر القليل الذي لا

---

(١) رواه الإمام أحمد والطبراني في الكبير.

(٢) سورة آل عمران آية ١٩١.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه مسلم.

يثمر محبة، ولا يورث خشية، ولا يحدث تقوى ولا إيمان. قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[١].

وإذا كان الإيمان شجرة باسقة. جذورها العقيدة الصحيحة وتوحيد الله، وفروعها العمل الصالح النافع، وثمارها الأخلاق الكريمة الطيبة، فإن ماءها الذي تسقى به والذي فيه استمرار حياتها إنما هو ذكر الله تعالى قال عليه الصلاة والسلام: «**مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره مثل الحي والميت**»[٢]. وقال ﷺ: «**والذي نفسي بيده إن القرآن والذكر ينبتان الإيمان في القلب كما ينبت الماء العشب**»[٣]. وقال عليه الصلاة والسلام: «**إن ذكر الله شفاء، وإن ذكر الناس داء**»[٤].

وقال أحد الصالحين: إني أعلم متى يذكرني ربي سبحانه، ففزعوا منه وقالوا: وكيف تعلم ذلك؟ فقال: إذا ذكرته ذكرني.

وذكر الله تعالى هو العاصم من الوقوع في الخطايا، وهو الوازع للنفس يكفها عن غفلتها وعن ميلها إلى الباطل، وعن اتباعها للهوى، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾[٥].

وقال سبحانه: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ

---

(١) سورة النساء آية ١٤٢.

(٢) رواه البخاري ١١/ ٢٠٨ ومسلم ١/ ٥٣٩.

(٣) رواه الديلمي.

(٤) رواه البيهقي في شعب الإيمان.

(٥) سورة الكهف آية ٢٨.

﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾(١).

وقال عليه الصلاة والسلام: «من أصبح وأمسى ولسانه رطب من ذكر الله يمسي ويصبح وليس عليه خطيئة»(٢).

وذكر الله تعالى هو العمل المرتجى للنجاة من عذاب الله تعالى، إذ أن أكثر ما يقع فيه الناس من الذنوب إنما هو بسبب الغفلة عن ذكر الله سبحانه، قال الله عز وجل: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾(٣). وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾(٤).

وثبت عنه ﷺ أنه قال: «ما عمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله». قالوا يا رسول الله: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «ولا الجهاد في سبيل الله إلا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع، ثم تضرب به حتى ينقطع، ثم تضرب به حتى ينقطع»(٥).

ومجالس الذكر التي يجتمع فيها الذاكرون، فتلتقي أرواحهم وتحفهم الملائكة وتنزل عليهم السكينة وتغشاهم الرحمة ويذكرهم الله فيمن عنده هي من أعظم المجالس يزيد بها الإيمان وتسمو بها أرواح

---

(١) سورة المجادلة آية ١٩ .

(٢) رواه الأصبهاني عن انس رضي الله عنه.

(٣) سورة الزخرف. آية ٣٦.

(٤) سورة طه ١٢٤ ـ ١٢٦.

(٥) رواه مسلم..

المؤمنين، ويستمد ضعيفها من قويها، وتستمد جميعها من مصدر الخير والكمال والفضل والعطاء، والنور والهدى والإيمان، هي رياض الجنة، ومجالس الرضوان قال تعالى:﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ﴾[١]. وقال ﷺ: «**ما أجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب ويتدارسونه فيما بينهم إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة،وذكرهم الله فيمن عنده**»[٢]. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: يقول الله تعالى يوم القيامة: سيعلم أهل الجمع اليوم من أهل الكرم؟ قيل: من أهل الكرم يا رسول الله؟ قال: «**أهل مجالس الذكر في المساجد**»[٣].

وأي شرف أعظم لهذا الإنسان الضعيف، من قول الملك العظيم، له حين يخاطبه في الحديث القدسي فيقول: «**أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني...**»[٤] الحديث ويقول: «**يا ابن آدم إذا ذكرتني شكرتني وإذا نسيتني كفرتني**»[٥] ويقول ﷺ في الحديث القدسي يقول الله سبحانه: «**من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي**

---

(١) سورة الكهف آية ٢٨..

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه أبو يعلى وأحمد في المسند.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) رواه الطبراني والديلمي.

السائلين»[١].

قال الحسن رحمه الله: الذكر ذكران: ذكر الله تعالى في نفسك بينك وبين الله عز وجل فما أحسنه وما أعظم أجره، وذكر الله سبحانه عند ما حرم الله عز وجل .أي أنك إذا اجتنبت ما حرم الله فأنت ذاكر له مستحضراً لعظمته.

قال أحد العارفين: المؤمن يذكر الله تعالى بكل بدنه، لأنه يذكر الله بقلبه فتسكن جميع جوارحه الى ذكره فما يبقى منه عضو إلا وهو ذاكر في المعنى، فاذا امتدت يده إلى شيء حرمه الله ذكر الله فكف يده عما نهى الله عنه، وإذا سعت قدمه الى شيء حرمه الله ذكر الله فاجتنب ما حرم الله وإذا وقعت عينه على ماحرم الله ذكر الله فغض بصره عن محارم الله، وكذلك سمعه ولسانه وجوارحه مصونة بمراقبة الله تعالى، ومراعاة أمر الله، والحياء من نظر الله، فهذا هو الذكر الكثير الذي أشار الله إليه بقوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[٢].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾[٣].

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال فيما يرويه عن ربه سبحانه: «**من ذكرني حين يغضب، ذكرته حين أغضب، ولا أمحقه فيمن**

---

(١) رواه الترمذي والبخاري في تأريخه والطبراني والبيهقي في الشعب والبزار وقال ابن حجر العسقلاني في إسناده لين فتح الباري ١١/ ١٣٨.

(٢) سورة الأحزاب ٤١ ـ ٤٢.

(٣) سورة العنكبوت آية ٤٥.

أمحق»[١]. ومن أحب شيئاً أكثر من ذكره، ومن علامات محبة العبد لله كثرة ذكره له سبحانه، ومن أحب الله فقد ظفر بأعظم محبوب وقد استكمل الإيمان بإذن الله.

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أحبّ لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان**»[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما قعد قوم مقعداً لم يذكروا الله ولم يصلوا على النبي ﷺ فيه إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة**»[٣].

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: كنا قعوداً عند رسول الله ﷺ فقال: «**أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة؟**». فسأل سائل من جلسائه: كيف يكسب ألف حسنة ؟ قال: «**يسبح ألف تسبيحة فتكتب له ألف حسنة أو تحط عنه ألف سيئة**»[٤].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟**» قلت: بلى يا رسول الله. قال: «**قل لا حول ولا قوة إلا بالله**»[٥].

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه دخل مع رسول الله ﷺ

---

(١) رواه الديلمي.

(٢) رواه أبو داوود.

(٣) رواه أبو داوود والترمذي وأحمد ٢ / ٢٨٩.

(٤) رواه مسلم.

(٥) رواه البخاري ومسلم.

على امرأة وبين يديها نوى أو حصى تسبح به. فقال: «**إلا أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا أو أفضل؟ فقال: سبحان الله عدد ما خلق في السماء، وسبحان الله عدد ما خلق في الأرض، وسبحان الله عدد ما بين ذلك، وسبحان الله عدد ما هو خالق، والله أكبر مثل ذلك، والحمد لله مثل ذلك ولا إله إلا الله مثل ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك**»(١).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سئل: أي العبادة أفضل درجة عند الله يوم القيامة ؟ قال: «**الذاكرون الله كثيراً**». قلت: يا رسول الله ومن الغازي في سبيل الله عز وجل. قال: «**لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى ينكسر سيفه ويختضب دماً لكان الذاكرون الله أفضل منه**»(٢).

وعن أبن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لقيت إبراهيم ليلة أسري بي. فقال: يا محمد أقرئ أمتك السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وإنها قيعان وإن غراسها: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر**»(٣).

وقال أبوالدرداء رضي الله تعالى عنه: لكل شيء جلاء، وإن جلاء القلوب ذكر الله عز وجل.

ولا ريب أن القلب يصدأ كما يصدأ الحديد والنحاس والفضة وغيرها، وجلاؤه بالذكر، فإنه يجلوه حتى يدعه كالمرآة البيضاء. فإذا ترك

---

(١) رواه الترمذي وقال حديث حسن.

(٢) رواه الترمذي وذكره النووي في كتاب الأذكار ص ٢٣.

(٣) رواه الترمذي وذكره النووي في كتب الأذكار ص ٢٣.

الذكر صدأ، فإذا ذكر الله جلاه.

وصدأ القلب بأمرين: بالغفلة والذنب، وجلاؤه بشيئين: بالاستغفار والذكر.

قال بعض أهل العلم: إذا أراد العبد أن يقتدي برجل فلينظر: هل هو من أهل الذكر، أو من الغافلين؟ وهل الحاكم عليه الهوى أو الوحي؟ فإن كان الحاكم عليه هو الهوى وهو من أهل الغفلة، وأمره فرطا، لم يقتد به، ولم يتبعه فإنه يقوده إلى الهلاك.

يقول ابن القيم الذكر نوعان:

الأول: ذكر أسماء الرب تبارك وتعالى وصفاته، والثناء عليه بهما، وتنزيهه وتقديسه عما لا يليق به تبارك وتعالى، وهذا أيضا نوعان:

أحدهما: إنشاء الثناء عليه بها (أي بأسمائه وصفاته) من الذاكر، فأفضل هذا النوع أجمعه للثناء وأعمه، نحو «سبحان الله عدد خلقه».

النوع الثاني: الخبر عن الرب تعالى بأحكام أسمائه وصفاته، نحو قولك: الله عز وجل يسمع أصوات عباده ويراهم ونحو ذلك.

وأفضل هذا النوع: الثناء عليه بما أثنى به على نفسه، وبما أثنى به عليه رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تشبيه ولا تمثيل. وهذا النوع أيضا ثلاثة أنواع:

١- حمد. ٢- وثناء. ٣- ومجد.

فالحمد لله الإخبار عنه بصفات كماله سبحانه وتعالى مع محبته والرضا به، فإن كرر المحامد شيئا بعد شيء كانت ثناء، فإن كان المدح بصفات الجلال والعظمة والكبرياء والملك كان مجدًا.

وقد جمع الله تعالى لعبده الأنواع الثلاثة في أول الفاتحة، فإذا قال العبد: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال الله: «حمدني عبدي»، وإذا قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قال: «أثنى علي عبدي»، وإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ قال: «مجدني عبدي»[1].

النوع الثاني من الذكر: ذكر أمره ونهيه وأحكامه. وهو أيضا نوعان:

أحدهما: ذكره بذلك إخباراً عنه بأنه أمر بكذا، ونهى عن كذا.

الثاني: ذكره عند أمره فيبادر إليه، وعند نهيه فيهرب منه، فإذا اجتمعت هذه الأنواع للذاكر فذكره أفضل الذكر وأجله وأعظمه فائدة.

وإن من ذكره سبحانه وتعالى: ذكر آلائه وإنعامه وإحسانه وأياديه، ومواقع فضله على عبيده، وهذا أيضا من أجل أنواع الذكر.

فهذه خمسة أنواع، وهي تكون بالقلب واللسان تارة، وذلك أفضل الذكر. وبالقلب وحده تارة، وهي الدرجة الثانية، وباللسان وحده تارة دون القلب، وهي الدرجة الثالثة.

وأفضل الذكر: ما تواطأ عليه القلب واللسان، وإنما كان ذكر القلب وحده أفضل من ذكر اللسان وحده، لأن ذكر القلب يثمر المعرفة بالله، ويهيج المحبة، ويثير الحياء، ويبعث على المخافة، ويدعو إلى المراقبة، ويبعد عن التقصير في الطاعات، والتهاون في المعاصي والسيئات، وذكر اللسان وحده لا يوجب شيئا من هذه الآثار، وإن أثمر شيئا منها فثمرة ضعيفة.

---

(١) سبق تخرجه.

والذكر هو أفضل من الدعاء، لأن الذكر ثناء على الله عز وجل بجميل أوصافه وآلائه وأسمائه، والدعاء سؤال العبد حاجته، فأين هذا من هذا؟ ولهذا جاء في الحديث: «**من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين**»[١] ولهذا كان المستحب في الدعاء أن يبدأ الداعي بحمد الله تعالى، والثناء عليه بين يدي حاجته، ثم يسأل حاجته،وقد أخبر النبي ﷺ أن الدعاء يستجاب إذا تقدمه الثناء والذكر، وهذه فائدة أخرى من فوائد الذكر والثناء، أنه يجعل الدعاء مستجابا. فالدعاء الذي يتقدمه الذكر والثناء أفضل وأقرب إلى الإجابة من الدعاء المجرد، فإن انضاف إلى ذلك إخبار العبد بحاله ومسكنته، وإفتقاره واعترافه، كان أقرب إلى الإجابة وأفضل.

هل قراءة القرآن أفضل من الذكر :

قال العلماء قراءة القرآن أفضل من الذكر، والذكر أفضل من الدعاء، هذا من حيث النظر إلى كل منهما مجرداً.

وقد يعرض للمفضول ما يجعله أولى من الفاضل، بل قد يتعين أن يكون هو الأولى، فلا يجوز أن يعدل عنه إلى الفاضل، وهذا كالتسبيح في الركوع والسجود، فإنه أفضل من قراءة القرآن فيهما، بل القراءة فيهما منهي عنها نهي تحريم أو كراهة. ولذلك فلا يوجد ذكر أفضل من القرآن ولكن هناك مواضع من العبادات خصت بأذكار معينة لا يجوز العدول عنها إلى غيرها ولو كان أفضل منها كالتسبيح في الركوع والسجود

---

(١) رواه الترمذي والبخاري في تأريخه والطبراني والبيهقي في الشعب وقال ابن حجر العسقلاني في إسناده لين فتح الباري ١١/ ١٣٨.

والتشهد في موضعه وقول ربنا ولك الحمد عند الرفع من الركوع والتسمية عند الذبح وغيرها كثير فلا يجوز تركها وقراءة القرآن بدلاً عنها مع أن القرآن أفضل ولكن هذه عبادات توقيفية اختصت بمواضع معينة.

وكذلك الذكر عقيب السلام من الصلاة مباشرة أفضل من الاشتغال عنه بالقراءة، وكذلك إجابة المؤذن أفضل من الاشتغال بالقرآن لأنه ذكر مؤقت بوقت فإذا فات وقته فات محله لذلك قد يعرض للمفضول ما يكون أفضل من الفاضل إما لفضيلة زمان أو مكان أو غير ذلك.

وهكذا الأذكار المقيدة بمحال مخصوصة أفضل من القراءة المطلقة، والقراءة المطلقة أفضل من الأذكار المطلقة، اللهم إلا أن يعرض للعبد ما يجعل الذكر أو الدعاء أنفع له من قراءة القران، مثاله: أن يتفكر في ذنوبه، فيحدث ذلك له توبة واستغفاراً، أو يعرض له ما يخاف أذاه من شياطين الإنس والجن، فيعدل إلى الأذكار والدعوات التي تحصنه وتحوطه. فهكذا قد يكون اشتغاله بالدعاء والحالة هذه أنفع، وإن كان كل من القراءة والذكر أفضل وأعظم أجراً من الدعاء.

وهذا باب نافع يحتاج إلى فقه، فيعطى كل ذي حق حقه، ويوضع كل شيء في موضعه.

ولما كانت الصلاة مشتملة على القراءة والذكر والدعاء، وهي جامعة لأجزاء العبودية على أتم الوجوه، كانت أفضل من كل من القراءة والذكر والدعاء بمفرده، لجمعها ذلك كله مع عبودية سائر الأعضاء. فهذا أصل نافع جداً، يفتح للعبد باب معرفة مراتب الأعمال وتنزيلها منازلها، لئلا يشتغل بمفضولها عن فاضلها، فيحرمه إبليس الفضل الذي بينهما، أو

ينظر إلى فاضلها فيشتغل به عن مفضولها وإن كان ذلك وقت المفضول، فتفوته مصلحته بالكلية، لظنه أن اشتغاله بالفاضل أكثر ثواباً وأعظم أجراً، وهذا يحتاج إلى معرفة بمراتب الأعمال وتفاوتها ومقاصدها، ويحتاج أيضاً فقه في إعطاء كل عمل منها حقه، وتنزيله في مرتبته وفي وقته ومحله.

من فوائد الذكر(١):

ذكر أهل العلم أن في الذكر نحو من مائة فائدة.

إحداها: أنه يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره.

الثانية: أنه يرضي الرحمن عز وجل.

الثالثة: أنه يزيل الهم والغم عن القلب.

الرابعة: أنه يجلب للقلب الفرح والسرور والسعادة.

الخامسة: أنه يقوي القلب والبدن.

السادسة: أنه ينور الوجه والقلب.

السابعة: أنه يجلب الرزق.

الثامنة: أنه يكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنضرة.

التاسعة: أنه يورثه المحبة التي هي روح الإسلام.

العاشرة: أنه يورثه المراقبة حتى يدخله في باب الإحسان.

الحادية عشرة: أنه يورثه الإنابة، وهي الرجوع إلى الله عز وجل.

الثانية عشرة: أنه يورثه القرب من الله.

الثالثة عشرة: أنه يفتح له باباً عظيماً من أبواب المعرفة والخير.

---

(١) ذكرها ابن القيم في كتابه الوابل الصيب ص٨٤ .

الرابعة عشرة: أنه يورثه الهيبة لربه عز وجل وإجلاله.

الخامسة عشرة: أنه يورثه ذكر الله تعالى له، كما قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾[1].

السادسة عشرة: أنه يورث حياة القلب.

السابعة عشرة: أنه قوت القلب والروح.

الثامنة عشرة: أنه يورث جلاء القلب من صدئه.

التاسعة عشرة: أنه يحط الخطايا ويذهبها، فإنه من أعظم الحسنات، والحسنات يذهبن السيئات.

العشرون: أنه يزيل الوحشة بين العبد وبين ربه تبارك وتعالى.

الحادية والعشرون: أن ما يذكر به العبد ربه عز وجل من جلاله وتسبيحه وتحميده، يذكر بصاحبه عند الشدة.

الثانية والعشرون: أن العبد إذا تعرف إلى الله تعالى بذكره في الرخاء عرفه في الشدة.

الثالثة والعشرون: أنه منجاة من عذاب الله تعالى.

الرابعة والعشرون: أنه سبب نزول السكينة، وغشيان الرحمة، وحف الملائكة بالذاكر.

الخامسة والعشرون: أنه سبب اشتغال اللسان عن الغيبة، والنميمة، والكذب، والفحش، والباطل.

السادسة والعشرون: أن مجالس الذكر مجالس الملائكة، ومجالس

---

(١) سورة البقرة آية ١١٥.

اللغو والغفلة مجالس الشياطين.

السابعة والعشرون: أنه يؤمن العبد من الحسرة يوم القيامة.

الثامنة والعشرون: أن الاشتغال به سبب لعطاء الله للذاكر أفضل ما يعطي السائلين.

التاسعة والعشرون: أنه أيسر العبادات، وهو من أجلها وأفضلها.

الثلاثون:أن العطاء والفضل الذي رتب عليه لم يرتب على غيره من الأعمال.

الحادية والثلاثون: أن دوام ذكر الرب تبارك وتعالى يوجب الأمان من نسيانه الذي هو سبب شقاء العبد في معاشه ومعاده.

الثانية والثلاثون: أنه ليس في الأعمال شيء يعم الأوقات والأحوال مثله.

الثالثة والثلاثون: أن الذكر نور للذاكر في الدنيا، ونور له في قبره، ونور له في معاده، يسعى بين يديه على الصراط يوم القيامة.

الرابعة والثلاثون: أن من فتح له فيه فقد فتح له باب الدخول على الله عز وجل.

الخامسة والثلاثون: أن في القلب خلة وفاقة لا يسدها شيء ألبتة إلا ذكر الله عز وجل.

السادسة والثلاثون: أن الذكر يجمع المتفرق، ويفرق المجتمع، ويقرب البعيد، ويبعد القريب. فيجمع ما تفرق على العبد من قلبه وإرادته، وهمومه وعزومه، ويفرق ما اجتمع عليه من الهموم، والغموم، والأحزان، والحسرات على فوت حظوظه ومطالبه، ويفرق أيضاً ما

اجتمع عليه من ذنوبه وخطاياه وأوزاره، ويفرق أيضاً ما اجتمع على حربه من جند الشيطان، وأما تقريبه البعيد فإنه يقرب إليه الآخرة، ويبعد القريب إليه وهي الدنيا.

السابعة والثلاثون: أن الذكر ينبه القلب من نومه، ويوقظه من سنته.

الثامنة والثلاثون: أن الذكر شجرة تثمر المعارف والأحوال التي شمر إليها السالكون.

التاسعة والثلاثون: أن الذاكر قريب من مذكوره، ومذكوره معه، وهذه المعية معية خاصة غير معية العلم والإحاطة العامة، فهي معية بالقرب والولاية والمحبة والنصرة والتو فيق.

الأربعون: أن الذكر يعدل عتق الرقاب، ونفقة الأموال، والضرب بالسيف في سبيل الله عز وجل.

الحادية والأربعون: أن الذكر رأس الشكر، فما شكر الله تعالى من لم يذكره.

الثانية والأربعون: أن أكرم الخلق على الله تعالى من المتقين من لا يزال لسانه رطبا بذكره.

الثالثة والأربعون: أن في القلب قسوة لا يذيبها إلا ذكر الله تعالى.

الرابعة والأربعون: أن الذكر شفاء القلب ودواؤه، والغفلة مرضه.

الخامسة والأربعون: أن الذكر أصل موالاة الله عز وجل ورأسها والغفلة أصل معاداته ورأسها.

السادسة والأربعون: أنه جلاب للنعم، دافع للنقم بإذن الله.

السابعة والأربعون: أنه يوجب صلاة الله عز وجل وملائكته على

الذاكر.

الثامنة والأربعون: أن من شاء أن يسكن رياض الجنة في الدنيا، فليستوطن مجالس الذكر، فإنها رياض الجنة.

التاسعة والأربعون: أن مجالس الذكر مجالس الملائكة، ليس لهم مجالس إلا هي.

الخمسون: أن الله عز وجل يباهي بالذاكرين ملائكته.

الحادية والخمسون: أن إدامة الذكر تنوب عن التطوعات، وتقوم مقامها، سواء كانت بدنية أو مالية، أو بدنية مالية، جزاءً لا إجزاءً فمثلاً من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان كمن أعتق أربع أنفس من ولد إسماعيل فهي مثلها في الأجر والجزاء لكنها لا تجزئ عن من كانت عليه كفارة عتق رقبة فلا يقال له أنه بهذا الذكر يكون قد أعتق.

الثانية والخمسون: أن ذكر الله عز وجل من أكبر العون على طاعته، فإنه يحببها إلى العبد، ويسهلها عليه، ويلذذها له، ويجعلها قرة عينه فيها.

الثالثة والخمسون: أن ذكر الله عز وجل يذهب عن القلب مخاوفه كلها ويؤمنه.

الرابعة والخمسون: أن الذكر يعطي الذاكر قوة، وفهماً وعلماً.

الخامسة والخمسون: أن الذاكرين الله كثيراً هم السابقون من بين عمال الآخرة.

السادسة والخمسون: أن الذكر سبب لتصديق الرب عز وجل عبده، ومن صدقه الله تعالى رجي له أن يحشر مع الصادقين.

السابعة والخمسون: أن دور الجنة تبنى بالذكر، فإذا أمسك الذاكر عن الذكر، أمسكت الملائكة عن البناء.

الثامنة والخمسون: أن الذكر سد بين العبد وبين جهنم.

التاسعة والخمسون: أن ذكر الله عز وجل يسهل الصعب، وييسر العسير، ويخفف المشاق.

الستون: أن الملائكة تستغفر للذاكر كما تستغفر للتائب.

الحادية والستون: أن الجبال والقفار تتباهي وتستبشر بمن يذكر الله عز وجل وهو عليها.

الثانية والستون: أن كثرة ذكر الله عزوجل أمان من النفاق.

الثالثة والستون: أن للذكر لذة عظيمه من بين الأعمال الصالحة لا تشبهها لذة.

الرابعة والستون: أن في دوام الذكر في الطريق، والبيت، والبقاع، تكثيرًا لشهود العبد يوم القيامة، فإن الأرض تشهد للذاكر يوم القيامة.

* * *

السبب الثاني والثلاثون

الدعـــــــاء

من أعظم وأهم أسباب الخشوع في الصلاة التضرع إلى الله سبحانه ودعاؤه أن يرزقنا الخشوع في صلاتنا فإن الخشوع نعمة من نعم الله على العبد لذلك فمن أراد الخشوع في صلاته فعليه أن يجتهد في الدعاء والتضرع إلى الله سبحانه بأن يرزقه ذلك. يقول الله سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[1]. ينادي عباده أن يدعوه ويسألوه فهو القريب لمن دعاه المجيب لمن سأله فلا يدخل عليه سبحانه إلا من باب الخضوع والتذلل له سبحانه.

وعن النعمان بن بشير قال: قال النبيُّ ﷺ: «**الدعاء هو العبادة**». ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ ...الآية﴾[2]. قال الخطابي: «معناه أنه معظم العبادة، وأفضل العبادة. كقولهم: الناس بنو تميم، والمال الإبل، يريدون أنهم أفضل الناس أو أكثرهم عدداً أو ما أشبه ذلك، وأن الإبل أفضل أنواع الأموال وأنبلها».

---

(١) سورة غافر آية ٦٠.

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٢٦٧)، والترمذي (٢٩٦٩)، وأبو داود (١٤٧٩)، وابن ماجه (٣٨٢٩)، وقال الترمذي: «حسن صحيح»، وصححه ابن حبان (٨٩٠) والحاكم (١/ ٤٩٠، ٤٩١)، ووافقه الذهبي، وهو في صحيح الجامع (٣٤٠٧).

قال المباركفوري في تحفة الأحوذي: «أي هو العبادة الحقيقية التي تستأهل أن تسمى عبادة؛ لدلالته على الإقبال على الله والإعراض عما سواه، بحيث لا يرجى ولا يخاف إلا إياه».

وقال سبحانه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[1]. وقد جاء في سبب نزولها أن الصحابة رضي الله عنهم سألوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، ربنا قريب فنناجيه، أم بعيد فنناديه؟ فأنزل الله عز وجل هذه الآية. والله تعالى أثنى على أنبيائه بالمسارعة في الخيرات وأنهم جمعوا في دعائهم بين الرغبة والرهبة، فقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾[2]. فأثنى الله سبحانه عليهم بهذه الأوصاف الثلاثة: المسارعة في الخيرات، ودعاؤه رغبة ورهبة، والخشوع له، وبيَّن أنها هي السبب في تمكينهم ونصرتهم وإظهارهم على أعدائهم، ولو كان شيء أبلغ في الثناء عليهم من هذه الأوصاف لذكره سبحانه وتعالى. وأنَّ من لزم الدعاء فلن يدركه الشقاء، قال الله تعالى عن زكريَّا عليه السلام: ﴿ وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾[3]. وقال عن خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ

(١) سورة البقرة آية ١٨٦.
(٢) سورة الأنبياء آية ٩٠.
(٣) سورة مريم آية ٤.

رَبِّ شَقِيًّا ﴾[١].

أنَّ الدعاء كلَّه خير، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم، إلاَّ أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إمَّا أن يُعجِّل له دعوته، وإمَّا أن يدَّخرها له في الآخرة، وإمَّا أن يصرف عنه من السوء مثلها**»[٢].

أن الدعاء هو أكرم شيء على الله تعالى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس شيء أكرم على الله عز وجل من الدعاء**»[٣].إنه مفتاح أبواب الرحمة، وسبب لرفع البلاء قبل نزوله وبعد نزوله، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من فُتح له منكم باب الدعاء فتحت له أبواب الرحمة، وما سئل الله شيئاً يُعطى أحب إليه من أن يسأل العافية، إن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، فعليكم عباد الله بالدعاء**»[٤]. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**لا يغني حذر من قدر، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، وإن**

---

(١) سورة مريم آية ٤٨.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ١٨)، والبخاري في الأدب المفرد (٧١٠)، وصححه الحاكم (١/ ٤٩٣)، وهو في صحيح الأدب المفرد(٥٤٧).

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٣٦٢)، والترمذي (٣٣٧٠)، وابن ماجه (٣٨٢٩)، وقال الترمذي: حسن غريب، وصححه ابن حبان (٨٧٠)، والحاكم (١/ ٤٩٠)، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد(٥٤٩).

(٤) أخرجه الترمذي (٣٥٤٨) وضعفه، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٤٠٩).

الدعاء ليلقى البلاء، فيعتلجان إلى يوم القيامة»[١].

قال المباركفوري في تحفة الأحوذي: «قوله: «**من فتح له منكم باب الدعاء**» أي: بأن وفق لأن يدعو الله كثيراً مع وجود شرائطه، وحصول آدابه. «فتحت له أبواب الرحمة». يعني أنه يجاب لمسئوله تارة، ويدفع عنه مِثله من السوء أخرى. كما في بعض الروايات: «**فتحت له أبواب الإجابة**». وفي بعضها: «**فتحت له أبواب الجنة**».

وقال في قوله: «**إن الدعاء ينفع مما نزل**»: أي من بلاء نزل برفعه إن كان معلقاً، وبالصبر إن كان محكماً؛ فيسهل عليه تحمل ما نزل به فيُصَبِّره عليه أو يُرضيه به، حتى لا يكون في نزوله متمنياً خلاف ما كان، بل يتلذذ بالبلاء كما يتلذذ أهل الدنيا بالنعماء. «**ومما لم ينزل**». أي: بأن يصرفه عنه ويدفعه منه، أو يمدّه قبل النزول بتأييد يخف معه أعباء ذلك إذا نزل به. «**فعليكم عباد الله بالدعاء**» أي: إذا كان هذا شأن الدعاء فالزموا يا عباد الله الدعاء.

وعن ثوبان مولى رسول الله أنه ﷺ قال: «**ولا يرد القدر إلا الدعاء**»[٢].

قال الشوكاني رحمه الله في تحفة الذاكرين: «فيه دليل على أنه سبحانه يدفع بالدعاء ما قد قضاه على العبد، وقد وردت بهذا أحاديث

---

(١) أخرجه الطبراني في الدعاء (٣٣) ، وصححه الحاكم (١/ ٤٩٢) ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٧٧٣٩).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٢٧٧) ، والترمذي في القدر (٢١٣٩) ، وابن ماجه في المقدمة (٩٠) ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٧٦٨٧).

كثيرة».

قال ابن تيمية رحمه الله: «من تمام نعمة الله على عباده المؤمنين أن ينزل بهم الشدة والضر وما يلجئهم إلى توحيده، فيدعونه مخلصين له الدين، ويرجونه لا يرجون أحداً سواه، وتتعلق قلوبهم به لا بغيره، فيحصل لهم من التوكل عليه والإنابة إليه وحلاوة الإيمان وذوق طعمه والبراءة من الشرك، ما هو أعظم نعمة عليهم من زوال المرض والخوف أو الجدب أو حصول اليسر وزوال العسر في المعيشة، فإن لذلك لذَّات بدنية ونعماً دنيوية، قد يحصل للكافر منها في الدنيا أعظم مما يحصل للمؤمن، وأما ما يحصل لأهل التوحيد المخلصين لله الدين فأعظم من أن يعبر عن كنهه مقال، أو يستحضر تفصيله بال، ولكل مؤمن من ذلك نصيب بقدر إيمانه، ولهذا قال بعض السلف: يا ابن آدم، لقد بورك لك في حاجة أكثرت فيها من قرع باب سيدك، وقال بعض الشيوخ: إنه ليكون لي إلى الله حاجة فأدعوه، فيفتح لي من لذيذ معرفته وحلاوة مناجاته ما لا أحب معه أن يعجل قضاء حاجتي، خشيةَ أن تنصرف نفسي عن ذلك، لأن النفس لا تريد إلا حظها، فإذا قضي انصرفت، وفي بعض الإسرائيليات: يا ابن آدم، البلاء يجمع بيني وبينك، والعافية تجمع بينك وبين نفسك»[1].

إن التوفيق للخشوع في الصلاة هبة ربانية يعطيها الله لمن يشاء من عباده فالجأ إليه سبحانه وانطرح على عتبة بابه وتوجه إليه أن يجعلك مع المؤمنين المفلحين الخاشعين في صلاتهم. وأكثر منه وتحر أوقات الإجابة فإن الموفق من وفق لذلك.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٣٣-٣٣٤).

وقد بشرنا ﷺ بأن الله سبحانه حيي كريم يستحي أن يرد من دعاه وألح عليه صفر اليدين. فعن سلمان الفارسي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**أن الله تعالى حيي كريم يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفراً خائبتين**»(١). وفي لفظ: «**إن ربكم تبارك وتعالى حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفراً**»(٢).

وقد حثنا الرسول ﷺ ورغبنا في الدعاء، بل وذم من لم يدْعُ فقال ﷺ: «**إنه من لم يسأل الله تعالى يغضب عليه**».

لا تسألن بني آدم حاجةً ... وسل الذي أبوابه لا تحجب
الله يغضب إن تركت سؤاله ... وترى ابن آدم حين يسأل يغضب

قال ﷺ: «**أعجز الناس من عجز عن الدعاء، وأبخل الناس من بخل بالسلام**». وقال ﷺ: «**ما من مسلم يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن تعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها**». قالوا: إذًا نكثر. قال: «**الله أكثر**»(٣).

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إني لا أحمل هم الإجابة ولكن أحمل هم الدعاء فإذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه».

---

(١) رواه أحمد وابن حبان والحاكم وصححه والترمذي وحسنه.

(٢) أخرجه أبو داوود ٢/ ٧٨ والترمذي ٥/ ٥٥٧ أبن ماجه ٢/ ١٢٧١ وقال ابن جحر سنده جيد وأنظر صحيح الترمذي ٣/ ١٧٩.

(٣) رواه الترمذي ٥/ ٥٦٦ و٥/ ٤٦٢. وأحمد ٣/ ١٨. وهو في صحيح الجامع ٥/ ١١٦. وصحيح الترمذي ٣/ ١٤٠.

وقال ابن القيم: أساس كل خير أن تعلم أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن فتتيقن حينئذ أن الحسنات من نعم الله فتشكره عليها وتضرع إليه أن لا يقطعها عنك وأن السيئات من خذلانه وعقوبته فتبتهل إليه أن يحول بينك وبينها ولا يكلك في فعل الحسنات وترك السيئات إلى نفسك. فإذا كان خير فأصله التوفيق وهو بيد الله سبحانه لا بيد العبد فمفتاحه الدعاء والافتقار إليه وصدق اللجأ والرغبة والرهبة إليه فمتى أعطى الله العبد هذا المفتاح فقد أراد أن يفتح له ومتى أضله عن المفتاح بقي باب الخير مغلقاً دونه.

وقال أيضاً: العجب ممن تعرض له حاجة من حوائج الدنيا فيصرف رغبته وهمته فيها إلى الله فيقضيها ولا يتصدى للسؤال لحياة قلبه من موت الجهل والإعراض وشفائه من الشهوات والشبهات ولكن إذا مات القلب لم يشعر بمعصيته.

إذا كثرت منك الذنوب فداوها ... برفع يد في الليل والليل مظلم
ولا تقنطن من رحمة الله إنما ... قنوطك منها من خطاياك أعظم
فرحمته للمحسنين كرامة ... ورحمته للمسرفين تكرم

آداب الدعاء

وللدعاء آداب نذكر منها:

١ـ الإخلاص لله.

٢ـ أن يبدأ بحمد الله والثناء عليه والصلاة والسلام على رسول الله ويختم بذلك.

٣ـ العزم في المسألة والتيقن بالإجابة.

٤ـ الإلحاح في الدعاء وعدم الاستعجال.

٤ـ حضور القلب عند الدعاء.

٥ـ الدعاء في الرخاء والشدة.
٦ـ عدم تكلف السجع.
٧ـ الخشوع والتضرع إلى الله والجمع بين الرغبة والهبة.
٨ـ الاعتراف بالذنب والاستغفار منه والاعتراف بالنعمة وشكر الله عليها.
٩ـ رد المظالم إلى أهلها.
١٠ـ الدعاء ثلاثاً.
١١ـ استقبال القبلة والوضوء إن أمكن.
١٢ـ أن لا يعتدي في الدعاء وإذا دعا لغيره أن يبدأ بنفسه.
١٣ـ أن يكون المطعم والمشرب والملبس حلالاً.

أوقات إجابة الدعاء:

الأوقات التي تكون أحرى بالإجابة:
١ـ ليلة القدر.
٢ـ جوف الليل الآخر.
٣ـ دبر الصلوات المكتوبة وفي أثنائها.
٤ـ بين الأذان والإقامة.
٥ـ عند نزول الغيث.
٦ـ بعد إجابة المؤذن.
٧ـ ساعة من يوم الجمعة ويرجح أن تكون آخر ساعة من ذلك اليوم.
٨ـ عند شرب زمزم مع النية الصادقة.
٩ـ في أثناء السجود.
١٠ـ إذا نام على طهارة ثم استيقظ من الليل ودعا.

١١ـ عند الدعاء بـ لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.
١٢ـ الدعاء عقب وفاة الميت.
١٣ـ دعاء المسلم لأخيه بظهر الغيب.
١٤ـ دعاء يوم عرفة في عرفة.
١٥ـ الدعاء بعد الثناء على الله والصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد الأخير.
١٦ـ الدعاء في المصيبة بعد قول: «**إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي هذه وأخلف لي خيراً منها**».
١٧ـ الدعاء حال إقبال القلب على الله واشتداد الإخلاص.
١٨ـ دعاء المظلوم على من ظلمه.
١٩ـ دعاء الوالد لولده أو على ولده.
٢٠ـ دعاء المسافر.
٢١ـ دعاء الصائم حين يفطر.
٢٢ـ دعاء المضطر.
٢٣ـ دعاء الإمام العادل.
٢٤ـ هناك عدة أماكن وأحوال يرجى فيها الإجابة أكثر من غيرها منها. الدعاء عقب الوضوء، وبعد رمي الجمرة الصغرى وبعد الجمرة الوسطى وداخل الكعبة وداخل الحجر والدعاء على الصفا وعلى المروة وعند المشعر الحرام.

فعلى المسلم أن يكثر من الدعاء في جميع أحواله وأوقاته فإن للإنطراح بين يدي الله سبحانه والتذلل له بالدعاء والإلحاح عليه لذة لا يعرفها إلا من ذاقها فما أعظم أن تقطع رجاءك من العباد الفقراء المساكين

وتعرض حاجتك على الغني الكريم الذي يقول عن نفسه سبحانه في الحديث القدسي: «**لو أن أولكم وآخركم وأنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد منهم مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر**»(١).

الخاتمـــة:

وختاماً، أذكر نفسي وجميع إخواني المسلمين بتقوى الله عز وجل وبإخلاص النية لله تعالى في كل أمورنا وأفعالنا وأقوالنا، فلو علم الله تعالى الصدق في نيتنا وفقنا لما نرجوه بإذنه، ولنعلم أن الخشوع أمر عظيم ولا يتأتى إلا لمن وفقه الله عز وجل لذلك وما علينا سوى السعي لتحقيق هذا الأمر في كل عباداتنا ونسأل الله تعالى العون على ذلك ولنذكر دوماً دعاء رسولنا الكريم محمد ﷺ: «**اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع**»(٢).....

فاجتهد وفقك الله لكل خير،واصدق مع الله في أمورك كلها ولا سيما في الصلاة، لأنها عمود الدين لا حظ في الإسلام لمن ضيعها.

واعلم أن الخاشعين على مراتب وأحوال، فليس كل باك خاشع وليس كل خاشع مطمئن، وإنما مرد ذلك كله إلى علام الغيوب والمطلع على ما في الصدور.

وأعلم أن أسباب الخشوع أكثر مما ذكرت ولكن لعل ما ذكر يكون فيه الخير والبركة والفائدة والنفع بإذن الله تعالى.

---

(١) رواه مسلم والإمام أحمد في مسنده.

(٢) رواه مسلم وهو عند أبو داوود برقم ١٣٨٥.

وفقنا الله وإياك إلى الإخلاص في العمل، والبعد عن الخطايا والزلل.

وصلى الله وسلم نبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته الغر الميامين وعنا معهم ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين. والله تعالى أعلم.

* * *

صفة صلاة النبي ﷺ
كما في كتاب الصلاة لابن القيم (مختصرة)

قال ابن القيم رحمه الله: هذا سياق صلاته ﷺ من حين استقباله القبلة وقوله الله اكبر إلى حين سلامه كأنك تشاهده عياناً بإذن الله سبحانه:

فصل في قيامه وقراءته :

كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة واستقبل القبلة ووقف في مصلاه رفع يديه إلى فروع أذنيه[١]. واستقبل بأصابعه القبلة ونشرها وقال: الله اكبر. ولم يكن يقول قبل ذلك نويت أن أصلي كذا وكذا مستقبل القبلة أربع ركعات فريضة الوقت أداء لله تعالى إماماً ولا كلمةً واحدة من ذلك في مجموع صلاته من أولها إلى آخرها. فقد نقل عنه أصحابه حركاته وسكناته وهيئاته حتى اضطراب لحيته في الصلاة حتى إنه حمل بنت ابنته مرة في الصلاة فنقلوا ذلك ولم يهملوه فكيف يتفق ملؤهم من أولهم إلى آخرهم على ترك نقل هذا وكذلك كان يطيل الركعة الأولى من كل صلاة أكثر من الثانية.

وكانت قراءته في العصر في الركعتين الأوليين في كل ركعة قدر خمس عشرة آية[٢]. وكان يقرأ في المغرب بـ الأعراف تارة[٣]. وبـ الطور

---

(١) رواه مسلم رقم ٣٩١.

(٢) رواه مسلم رقم ٤٥٢.

(٣) رواه النسائي رقم ٩٩١.

تارة[١]. والمرسلات تارة[٢]. وبـ الدخان تارة[٣]. وروي عنه ﷺ أنه قرأ فيها بـ قل يا أيها الكافرون وقل هو الله احد[٤]. ولعل أحد رواته وهم من قراءته بهما في سنة المغرب فكان يقرأ بهما في سنة المغرب فقال كان يقرأ بهما في المغرب أو سقطت كلمة سنة والله أعلم.

وكان يقرأ في عشاء الآخرة بـ والتين والزيتون[٥].

وكان يقرأ فيها بـ سورة إذا السماء انشقت ويسجد فيها ويسجد معه جميع من خلفه[٦]. وبـ الشمس وضحاها[٧] ونحو ذلك من السور. وكان إذا فرغ من القراءة سكت هنيهة ليرجع إليه نفسه.

فصل في صفة الركوع:

ثم كان يرفع يديه إلى أن يحاذي بهما فروع أذنيه كما رفعهما في الاستفتاح[٨]. بل الذين رووا عنه رفع اليدين ههنا اكثر من الذين رووا عنه التكبير.

---

(١) رواه البخاري رقم ٧٦٥ ومسلم ٤٦٤.
(٢) رواه البخاري رقم ٧٦٣ ومسلم ٤٦٣.
(٣) رواه النسائي رقم ٩٨٨.
(٤) رواه ابن ماجه رقم ٨٣٣.
(٥) رواه البخاري رقم ٧٦٧ ومسلم رقم ٤٦٤.
(٦) رواه البخاري رقم ٧٦٦ ومسلم ٥٧٨.
(٧) مسند أحمد ٥/ ٣٥٥ والترمذي ٣٠٩ والنسائي ٩٩٩.
(٨) مسلم رقم ٣٩١ أبو داوود رقم ٧٤٥.

ثم يقول الله اكبر ويخر راكعا ويضع يديه على ركبتيه فيمكنهما من ركبتيه ويفرج بين أصابعه ويجافي مرفقيه عن جنبيه ويعتدل ويجعل رأسه حيال ظهره فلا يرفع رأسه ولا يصوبه ويهصر ظهره أي يمده ولا يجمعه ثم يقول: سبحان ربي العظيم[١].

وكان يقول: سبحان ربي العظيم وبحمده قاله أبوداود[٢]. وأخاف أن لا تكون هذه الزيادة محفوظة.

وربما مكث قدر ما يقول القائل عشر مرات (أي عشر تسبيحات) وربما مكث فوق ذلك أو دون ذلك. وربما قال: سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي[٣]. وربما قال: سبوح قدوس رب الملائكة والروح[٤]. وربما قال: اللهم لك ركعت وبك آمنت ولك أسلمت وعليك توكلت أنت ربي خشع قلبي وسمعي وبصري ودمي ولحمي وعظمي وعصبي لله رب العالمين[٥]. وربما كان يقول: سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة[٦].

وكان ركوعه مناسباً لقيامه في التطويل والتخفيف وهذا بين في سائر الأحاديث.

---

(١) أبو داوود رقم ٨٨٦.
(٢) أبو داوود رقم ٨٧٠.
(٣) رواه البخاري رقم ٧٩٤ ومسلم رقم ٤٨٤.
(٤) مسلم رقم ٤٨٧.
(٥) رواه مسلم رقم ٧٧١. والنسائي ١٠٥١.
(٦) النسائي رقم ١٠٤٩.

فصل في صفة الاعتدال من الركوع:

ثم كان يرفع رأسه قائلاً: سمع الله لمن حمده[١]. ويرفع يديه كما يرفعهما عند الركوع[٢]. فإذا اعتدل قائماً قال ربنا لك الحمد وربما قال اللهم ربنا ولك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد اللهم لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد[٣].

وربما زاد على ذلك وقال: اللهم طهرني بالثلج والبرد والماء البارد اللهم طهرني من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الوسخ[٤].

وكان يطيل هذا الركن حتى يقول القائل قد نسي.

وكان يقول في صلاة الليل فيه (أي في الركوع): لربي الحمد لربي الحمد[٥].

---

(١) رواه مسلم رقم ٤٧٦.
(٢) رواه البخاري رقم ٧٣٥.
(٣) رواه مسلم رقم ٤٧٧.
(٤) رواه مسلم رقم ٤٧٦.
(٥) رواه أبو داوود رقم ٨٧٤.

فصل في صفة الهوي إلى السجود:

ثم يكبر ويخر ساجداً ولا يرفع يديه وكان يضع ركبتيه قبل يديه[١]. هكذا نقل ذلك عنه وائل بن حجر وأنس بن مالك رضي الله عنهما.

وقال ابن عمر رضي الله عنه إنه كان يضع يديه قبل ركبتيه[٢]. واختلف في حديث أبي هريرة. ففي السنن أنه قال ﷺ: «**إذا سجد أحدكم فلا يبرك كما يبرك البعير وليضع يديه قبل ركبتيه**»[٣].

وروى عنه المقبري عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا سجد أحدكم فليبدأ بركبتيه قبل يديه**»[٤].

فأبو هريرة قد تعارضت الرواية عنه، وحديث وائل وابن عمر قد تعارضا فرجحت طائفة حديث ابن عمر ورجحت طائفة حديث وائل بن حجر وسلكت طائفة مسلك النسخ وقالت كان الأمر الأول وضع اليدين قبل الركبتين ثم نسخ بوضع الركبتين أولاً.

وقال ابن خزيمة إن وضع اليدين قبل الركبتين عند السجود منسوخ فإن وضع الركبتين قبل اليدين ناسخ ثم روى من طريق إسماعيل بن إبراهيم عن يحيى بن سلمة بن كهيل عن أبيه عن سلمة بن سعد قال: «**كنا**

---

(١) رواه أبو داوود رقم ٨٣٨ والترمذي رقم ٢٦٨ ورواه عن أنس الدارقطني ١/ ٣٤٥ والحاكم ١/ ٢٢٦.

(٢) الحاكم ٢/ ٢٢٦ ابن خزيمة ٦٢٧.

(٣) أبو داوود رقم ٨٤٠ النسائي رقم ١٠٩٠ و١٠٩١ والترمذي رقم ٢٦٩.

(٤) البيهقي ٢/ ١٠٠.

نضع اليدين قبل الركبتين فأمرنا بوضع الركبتين قبل اليدين»[١].

وهذا لو ثبت لكان فيه الشفاء لكن يحيى بن سلمة بن كهيل، قال عنه البخاري: عنده مناكير. وقال ابن معين: ليس بشيء لا يكتب حديثه. وقال النسائي: متروك الحديث. وهذه القصة وهم فيها يحيى أو غيره.

وقال السابقون بالركبتين: «أي الذين قالوا بتقدم الركبتين قبل اليدين» حديث وائل بن حجر اثبت من حديث أبي هريرة وابن عمر.

قالوا ويدل على ذلك أمران.

أحدها: ما رواه أبوداود من حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ **«نهى أن يعتمد الرجل على يديه في الصلاة»** وفي لفظ: **«نهى أن يعتمد الرجل على يديه إذا نهض في الصلاة»**[٢].

ولا ريب أنه إذا وضع يديه قبل ركبتيه اعتمد عليهما فيكون قد أوقع جزءاً من الصلاة معتمداً على يديه بالأرض وأيضا فهذا الاعتماد بالسجود نظير الاعتماد في الرفع منه سواء فإذا نهى عن ذلك كان نظيره كذلك.

الثاني: أن المصلي في انحطاطه ينحط منه إلى الأرض الأقرب إليها أولاً ثم الذي من فوقه ثم الذي من فوقه حتى ينتهي إلى أعلى ما فيه وهو وجهه فإذا رفع رأسه من السجود ارتفع أعلى ما فيه أولاً ثم الذي دونه حتى يكون آخر ما يرتفع منه ركبتاه والله أعلم[٣].

---

(١) ابن خزيمة رقم ٦٢٨.

(٢) رواه أبو داوود رقم ٩٩٢.

(٣) وقد ساق أبن القيم في كتابه الصلاة هذا الخلاف في هذه المسألة مطولاً وقد اختصرته هاهنا.

فصل في صفة السجود:

ثم كان يسجد على جبهته وأنفه ويديه وركبتيه وأطراف قدميه[١]. ويستقبل بأصابع يديه ورجليه القبلة وكان يعتمد على اليتي كفيه ويرفع مرفقيه ويجافي عضديه عن جنبيه حتى يبدو بياض إبطيه ويرفع بطنه عن فخذيه وفخديه عن ساقيه ويعتدل في سجوده ويمكن وجهه من الأرض مباشراً به غير ساجد على كور العمامة.

قال أبوحميد الساعدي وعشرة من الصحابة يسمعون كلامه: كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة اعتدل قائماً ورفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه فإذا أراد أن يركع رفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه ثم قال: الله أكبر فرفع ثم اعتدل فلم يصوب رأسه ولم يقنعه ووضع يديه على ركبتيه. وقال: سمع الله لمن حمده. ثم رفع واعتدل حتى رجع كل عضو في موضعه معتدلا ثم هوى ساجداً وقال: الله أكبر ثم جافى وفتح عضديه عن بطنه وفتح أصابع رجليه ثم ثنى رجله اليسرى وقعد عليها واعتدل حتى يرجع كل عظم موضعه معتدلا ثم هوى ساجداً وقال: الله أكبر ثم ثنى رجله وقعد عليها حتى يرجع كل عضو إلى موضعه ثم نهض فصنع في الركعة الثانية مثل ذلك حتى إذا قام من السجدتين كبر ورفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه كما صنع حين افتتح الصلاة ثم صنع كذلك حتى إذا كانت الركعة التي تنقضي فيها الصلاة أخر رجله اليسرى وقعد على شقه

---

(١) رواه البخاري برقم ٨١٢ ومسلم رقم ٤٩٠.

متوركاً ثم سلم[١].

وكان يقول في سجوده: سبحان ربي الأعلى[٢]. وروي أنه كان يزيد عليها: وبحمده[٣]. وربما قال: اللهم إني لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت سجد وجهي للذي خلقه وصورة وشق سمعه وبصره تبارك الله أحسن الخالقين[٤].

ويقول أيضا: سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي[٥].

وكان يقول: سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت[٦].

وكان يقول: سبوح قدوس رب الملائكة والروح[٧].

وكان يقول: اللهم اغفر لي ذنبي كله دقة وجلة وأوله وآخره وعلانيته وسره[٨].

وكان يقول: اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك[٩].

---

(١) رواه البخاري٨٢٧و٨٢٨ وأبو داوود رقم ٧٣٣ والترمذي رقم ٣٠٤.

(٢) أبو داوود رقم ٨٦٩ ابن ماجه رقم ٨٨٧ الدرامي ١/ ٢٩٩.

(٣) أبو داوود رقم ٨٧٠.

(٤) رواه مسلم رقم ٧٧١.

(٥) رواه البخاري رقم ٨١٧ مسلم رقم ٤٨٤.

(٦) رواه مسلم برقم ٤٨٥.

(٧) رواه مسلم رقم ٤٨٥.

(٨) رواه مسلم رقم ٤٨٤.

(٩) رواه مسلم رقم ٤٨٦.

وكان يجعل سجوده مناسباً لقيامه ثم يرفع رأسه قائلا:الله أكبر غير رافع يديه ثم يفرش رجله اليسرى ويجلس عليها وينصب اليمنى ويضع يديه على فخذيه ثم يقول: اللهم اغفر لي، وارحمني، واجبرني، واهدني، وارزقني. وفي لفظ: وعافني بدل واجبرني. كما في حديث ابن عباس. وقال حذيفة كان يقول بين السجدتين: رب اغفر لي والحديثان في السنن(١).

وكان يطيل هذه الجلسة حتى يقول القائل قد أوهم أو قد نسي.

فصل في صفة القيام من السجود والتشهد:

ثم يكبر ويسجد غير رافع يديه ويصنع في الثانية مثل ما صنع في الأولى ثم يرفع رأسه مكبراً وينهض على صدور قدميه معتمداً على ركبتيه وفخذيه.

وقال مالك بن الحويرث: كان رسول الله ﷺ إذا كان في وتر من صلاته لم ينهض حتى يستوي قاعدا(٢). فهذه تسمى جلسة الاستراحة لا ريب أنه ﷺ فعلها فليست من سنن الصلاة وهيئاتها كالتجافي وغيره فإنه فعلها لحاجته إليها لما أسن وأخذه اللحم وهذا أظهر لوجهين.

أحدهما: أن فيه جمعاً بينه وبين حديث وائل بن حجر الذي رواه

---

(١) أبو داوود رقم ٨٥٠ والترمذي ٢٨٤ ابن ماجه ٨٩٨.

(٢) البخاري رقم ٨٢٣.

أبوداود[١]. وحديث أبي هريرة عند الترمذي: «**أنه كان ينهض على صدور قدميه**»[٢].

الثاني: أن الصحابة الذين كانوا أحرص الناس على مشاهدة أفعاله وهيئات صلاته كانوا ينهضون على صدور أقدامهم فكان عبدالله بن مسعود يقوم على صدور قدميه في الصلاة ولا يجلس[٣]. ورواه عن ابن عمر وابن عباس وابن الزبير وأبي سعيد الخدري من رواية عطية العوفي عنهم وهو صحيح عن ابن مسعود.

ولم يكن يرفع يديه في هذا القيام وكان إذا استتم قائماً أخذ في القراءة ولم يسكت وافتتح قراءته بالحمد لله رب العالمين.

فإذا جلس في التشهد الأول جلس مفترشاً كما يجلس بين السجدتين ويضع يده اليسرى على ركبته اليسرى واليمنى على فخذه اليمنى ويشير بإصبعه السبابة ويضع إبهامه على إصبعه الوسطى كهيئة الحلقة ويجعل بصره إلى موضع إشارته وكان يرفع إصبعه السبابة ويحنيها قليلاً يوحد بها ربه عز وجل.

وذكر أبوداود من حديث ابن عباس عنه ﷺ أنه قال: هكذا الإخلاص يشير بأصبعه التي تلي الإبهام وهكذا الدعاء فرفع يديه مداً حذو منكبيه

---

(١) رواه أبو داوود رقم ٨٣٨.

(٢) رواه الترمذي رقم ٢٨٨..

(٣) رواه البيهقي السنن الكبرى ٢/ ١٢٥.

وهكذا الابتهال فرفع يديه مداً وقد روي موقوفاً.

ثم كان ﷺ يقول: التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله واشهد أن محمداً عبده ورسوله[١]. وكان يعلمه أصحابه كما يعلمهم القرآن.

وكان أيضا صلوات الله وسلامه عليه يقول: التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله[٢]. وهذا رواية ابن عباس والأول رواية ابن مسعود وهو أكمل لأن تشهد ابن مسعود يتضمن جملاً متغايرة وتشهد ابن عباس جملة واحدة وأيضا فإنه في الصحيحين وفيه زيادة الواو وكان يعلمهم إياه كما يعلمهم القرآن.

وروى ابن عمر عنه: التحيات لله الصلوات الطيبات[٣].

وهناك أنواع أخر كلها جائزة.

وكان يخفف هذه الجلسة حتى كأنه جالس على الرضف[٤]. وهي الحجارة المحماة.

ثم يكبر وينهض فيصلي الثالثة والرابعة ويخففهما عن الأوليين وكان

---

(١) رواه البخاري رقم ٨٣١ ومسلم رقم ٤٠٢.

(٢) رواه مسلم رقم ٤٠٣.

(٣) رواه أبو داوود رقم ٩٧١.

(٤) رواه أبو داوود رقم ٩٩٥.

يقرأ فيهما بفاتحة الكتاب وربما زاد عليها أحياناً.

هذا ونسأل الله أن يوفق الجميع لما يحبه ويرضاه وأن يجعل العمل خالصاً لوجهه الكريم وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

* * *

صفة صلاة النبي ﷺ
للعلامة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى

من عبدالعزيز بن باز إلى كل من يحب أن يصلي كما كان رسول الله ﷺ يصلي عملاً بقوله ﷺ: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»(١).

- يسبغ الوضوء وهو أن يتوضأ كما أمره الله عملاً بقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾(٢). وقول النبي ﷺ: «**لا تقبل صلاة بغير طهور**».

- يتوجه المصلي إلى القبلة وهي الكعبة أينما كان بجميع بدنه قاصداً بقلبه فعل الصلاة التي يريدها من فريضة أو نافلة، ولا ينطق بلسانه لأن النطق باللسان غير مشروع(٣)، لكون النبي ﷺ لم ينطق بالنية ولا أصحابه رضي الله عنهم، ويسن أن يجعل له سترة يصلي إليها إن كان إماماً أو منفرداً، لأمر النبي ﷺ بذلك.

- يكبر تكبيرة الإحرام قائلاً (الله أكبر) ناظراً ببصره إلى محل سجوده.

---

(١) رواه البخاري في الأذان باب الأذان للمسافرين رقم ٦٣١.

(٢) سورة المائدة آية ٦.

(٣) وهو بدعة لم يفعلها ﷺ ولا صحابته رضوان الله عليهم.

- يرفع يديه عند التكبير إلى حذو منكبيه أو إلى حيال أذنيه.

- يضع يديه على صدره اليمنى على كفه اليسرى. لورود ذلك من حديث وائل بن حجر وقبيصة الطائي عن أبيه رضي الله عنهم.

- يسن أن يقرأ دعاء الاستفتاح وهو «**اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد**».

- وإن شاء قال بدلاً من ذلك: «**سبحانك اللهم بحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك**». ثم يقول: «**أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم**». ويقرأ سورة الفاتحة لقوله ﷺ: «**لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**».

ويقول بعدها (آمين) جهراً في الصلاة الجهرية، ثم يقرأ ما تيسر من القرآن.

- يركع مكبراً رافعاً يديه إلى حذو منكبيه أو أذنيه، جاعلاً رأسه حيال ظهره، واضعاً يديه على ركبتيه، مفرقاً أصابعه، ويطمئن في ركوعه ويقول: سبحان ربي العظيم والأفضل أن يكررها ثلاثاً أو أكثر، ويستحب أن يقول مع ذلك «**سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي**».

- يرفع رأسه من الركوع، رافعاً يديه إلى حذو منكبيه أو أذنيه قائلاً: «**سمع الله لمن حمده**» إن كان إماماً أو منفرداً، ويقول بعد قيامه: «**ربنا**

ولك الحمد كثيراً طيباً مباركاً فيه ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد»، وإن زاد بعد ذلك: «**أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد**» فهو حسن، لأن ذلك قد ثبت عن النبي ﷺ في بعض الأحاديث الصحيحة. أما إن كان مأموماً فإنه يقول عند الرفع: «**ربنا ولك الحمد**» إلى آخر ما تقدم. ويستحب أن يضع كل منهم يديه على صدره، كما فعل في قيامه قبل الركوع، لثبوت ما يدل على ذلك عن النبي ﷺ من حديث وائل بن حجر وسهل بن سعد رضي الله عنهما.

- يسجد مكبراً واضعاً ركبتيه قبل يديه إذا تيسر ذلك، فإن شق عليه قدم يديه قبل ركبتيه، مستقبلاً بأصابع رجليه ويديه القبلة، ضاماً أصابع يديه، ويكون على أعضائه السبعة: الجبهة مع الأنف، واليدين والركبتين، وبطون أصابع الرجلين.

- ويقول: «**سبحان ربي الأعلى**» ويكرر ذلك ثلاثاً أو أكثر. ويستحب أن يقول مع ذلك: «**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي**» ويكثر من الدعاء لقول النبي ﷺ «**أما الركوع فعظموا فيه الرب وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن أن يستجاب لكم**» وقوله ﷺ: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء**» رواهما مسلم في صحيحه. ويسأل ربه له ولغيره من المسلمين من خيري الدنيا والآخرة، سواء أكانت الصلاة فرضاً أو نفلاً، ويجافي عضديه عن جنبيه، وبطنه عن فخذيه،

وفخذيه عن ساقيه، ويرفع ذراعيه عن الأرض، لقول النبي ﷺ: «**اعتدلوا في السجود ولا يبسط أحدكم ذراعيه انبساط الكلب**».

- يرفع رأسه مكبراً، ويفرش قدمه اليسرى ويجلس عليها، وينصب رجله اليمنى، ويدع يديه على فخذيه وركبتيه ويقول: «**رب اغفر لي، رب اغفر لي، اللهم اغفر لي وارحمني وارزقني وعافني واهدني واجبرني**»، ويطمئن في هذا الجلوس حتى يرجع كل فقار إلى مكانه كاعتداله بعد الركوع، لأن النبي ﷺ كان يطيل اعتداله بعد الركوع وبين السجدتين.

- يسجد السجدة الثانية مكبراً، ويفعل فيها كما فعل في السجدة الأولى.

- يرفع رأسه مكبراً، ويجلس جلسة خفيفة مثل جلوسه بين السجدتين وتسمى جلسة الاستراحة، وهي مستحبة في أصح قولي العلماء. وإن تركها فلا حرج، وليس فيها ذكر ولا دعاء، ثم ينهض قائماً إلى الركعة الثانية معتمداً على ركبتيه إن تيسر ذلك، وإن شق عليه اعتمد على الأرض، ثم يقرأ الفاتحة وما تيسر له من القرآن بعد الفاتحة. ثم يفعل كما فعل في الركعة الأولى، ولا يجوز للمأموم مسابقة إمامه، لأن النبي ﷺ حذر أمته من ذلك، وتكره موافقته للإمام، والسنة له أن تكون أفعاله بعد إمامه من دون تراخ وبعد انقطاع صوته، لقول النبي ﷺ: «**إنما جُعل الإمام ليؤتم به فلا تختلفوا عليه، فإذا كبر فكبروا، وإذا ركع فاركعوا، وإذا قال: سمع الله، لمن حمده، فقولوا: ربنا ولك الحمد، فإذا سجد فاسجدوا**» الحديث متفق عليه.

- إذا كانت الصلاة ثنائية، أي ركعتين كصلاة الفجر والجمعة والعيد، جلس بعد رفعه من السجدة الثانية ناصباً رجله اليمنى، مفترشاً رجله اليسرى، واضعاً يده اليمنى على فخذه اليمنى، قابضاً أصابعه كلها إلا السبابة، فيشير بها إلى التوحيد، وإن قبض الخنصر والبنصر من يده وحلق إبهامهما مع الوسطى، وأشار بالسبابة فحسن، لثبوت الصفتين عن النبي ﷺ. والأفضل أن يفعل هذا تارة وهذا تارة، ويضع يده اليسرى، على فخذه اليسرى وركبته، ثم يقرأ التشهد في هذا الجلوس. وهو **«التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله»** ثم يقول **«اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، وآل إبراهيم إنك حميد مجيد»**. ويستعيذ بالله من أربع فيقول **«اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال»** ثم يدعو بما شاء من خيري الدنيا والآخرة، وإذا دعا لوالديه أو غيرهما من المسلمين فلا بأس، سواء أكانت الصلاة فريضة أو نافلة، ثم يسلم عن يمينه وشماله قائلا: **«السلام عليكم ورحمة الله.. السلام عليكم ورحمة الله»**.

- إن كانت الصلاة ثلاثية كالمغرب، أو رباعية كالظهر والعصر والعشاء، قرأ التشهد المذكور آنفاً، مع الصلاة على النبي ﷺ ثم نهض

قائماً معتمداً على ركبتيه، رافعاً يديه إلى حذو منكبيه قائلاً: (الله أكبر) ويضعهما أي يديه على صدره، كما تقدم ويقرأ الفاتحة فقط. وإن قرأ في الثالثة والرابعة من الظهر زيادة على الفاتحة في بعض الأحيان فلا بأس، لثبوت ما يدل على ذلك عن النبي ﷺ من حديث أبي سعيد رضي الله عنه، ثم يتشهد بعد الثالثة من المغرب، وبعد الرابعة من الظهر والعصر والعشاء، ويصلي على النبي ﷺ ويتعوذ بالله من عذاب جهنم ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال، ويكثر من الدعاء، ومن ذلك **«اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»** كما تقدم ذلك في الصلاة الثنائية. لكن يكون في هذا الجلوس متوركاً واضعاً رجله اليسرى تحت رجله اليمنى، ومقعدته على الأرض ناصباً رجله اليمنى، لحديث أبي حميد الساعدي في ذلك. ثم يسلم عن يمينه وشماله، قائلاً: السلام عليكم ورحمة الله... السلام عليكم ورحمة الله، ويستغفر الله ثلاثاً ويقول: **«اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد، لا حول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون»**. ويسبح الله ثلاثاً وثلاثين ويحمده مثل ذلك، ويكبره مثل ذلك، ويقول تمام المائة **«لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير»** ويقرأ آية

الكرسي، وقل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس بعد كل صلاة. ويستحب تكرار هذه السور الثلاث، ثلاث مرات بعد صلاة الفجر، وصلاة المغرب، لورود الحديث الصحيح بذلك عن النبي ﷺ، كما يستحب أن يزيد بعد الذكر المتقدم بعد صلاة الفجر وصلاة المغرب قول «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير» عشر مرات لثبوت ذلك عن النبي ﷺ. وإن كان إماماً انصرف إلى الناس وقابلهم بوجهه بعد استغفاره ثلاثاً، وبعد قوله: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام، ثم يأتي بالأذكار المذكورة، كما دلت على ذلك أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ، ومنها حديث عائشة رضي الله عنها في صحيح مسلم. وكل هذه الأذكار سنة وليست بفريضة.

- ويستحب لكل مسلم ومسلمة، أن يحافظ على اثنتي عشرة ركعة في حال الحضر، وهي: أربع قبل الظهر، وثنتان بعدها، وثنتان بعد المغرب، وثنتان بعد صلاة العشاء، وثنتان قبل صلاة الصبح، لأن النبي ﷺ كان يحافظ عليها، وتسمى الرواتب.

وقد ثبت في صحيح مسلم عن أم حبيبة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: «**من صلى اثنتي عشرة ركعة في يومه وليلته تطوعاً بنى له بيتاً فى الجنة**». وقد فسرها الإمام الترمذي في روايته لهذا الحديث بما ذكرنا.

أما في السفر فكان النبي ﷺ يترك سنة الظهر والمغرب والعشاء،

ويحافظ على سنة الفجر والوتر، ولنا فيه أسوة حسنة، لقول الله سبحانه: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[١]. وقوله عليه الصلاة والسلام: «صلوا كما رأيتموني أصلي»[٢].

والله ولي التوفيق... وصلى الله وسلم على نبينا محمد بن عبدالله وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين.

* * *

(١) سورة الأحزاب آية ٢١.

(٢) رواه البخاري في الأذان باب الأذان للمسافرين رقم ٦٣١.

قائمة بأهم المراجع

- صحيح البخاري لمحمد بن اسماعيل البخاري.
- صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج القشيري.
- سنن أبي داوود لأبي داوود السجستاني.
- جامع الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى السلمي الترمذي.
- سنن النسائي لأبي عبدالرحمن أحمد بن علي بن شعيب النسائي.
- سنن ابن ماجه لأبي عبدالله محمد بن يزيد بن ماجه.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني.
- فتح القدير لمحمد بن علي الشوكاني.
- كتاب الكبائر للإمام الذهبي.
- حاشية الروض المربع لعبدالرحمن النجدي.
- زاد المعاد في هدي خير العباد للإمام ابن القيم.
- صحيح الجامع الصغير للألباني.
- المغني لابن قدامه المقدسي.
- الشرح الممتع لابن عثيمين.
- رسائل في الطهارة والصلاة لعبدالعزيز بن باز وابن عثيمين.
- رسالة ثمرات الصلاة لعبدالرحمن اليحيى.
- كيف تحمس لقيام الليل لأبي القعقاع محمد بن صالح.
- الصلاة وحكم تاركها للإمام ابن قيم الجوزية.
- المحكم المبين في اختصار القول المبين في أخطاء المصلين لأبي عبيدة مشهور بن حسن.

- إحياء علوم الدين للإمام الغزالي.
- حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني.
- سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي.
- الفوائد للإمام بن القيم.
- المنهج الأحمد للعليمي.
- رهبان الليل لسيد بن حسن العفاني.
- كيف تخشعين في الصلاة لرقية بنت محمد محارب.
- موعظة القلوب في البكاء من خشية علام الغيوب لوليد محمد العباد.
- قرة عيون الموحدين في الصلاة الخاشعة لأحمد بن محمد الحواش.
- كتاب لذة المناجاة لطايس الجميلي.
- الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم.
- الأذكار للنووي.
- كتاب الحسد د. عبدالله الجبرين.
- الكسب الحلال وأهميته وآثارة د/ عبدالله الجبرين.
- فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية.
- فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء بالمملكة العربية السعودية.
- السلسلة الصحيحة للألباني.
- مدارج السالكين لابن القيم.

* * *

فهرس الموضوعات

الموضوع رقم الصفحة

مقدمة معالي الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان ٥
المقدمة ٧
فضل الخشوع وأهميته ٩
الأسباب الجالبة للخشوع:
السبب الأول: معرفة الله وإخلاص العبادة له ١٨
السبب الثاني: معرفة مكانة الصلاة وأهميتها في الإسلام ٢٥
السبب الثالث: إسباغ الوضوء ٣١
فضائل وثمرات الطهارة ٣٥
السبب الرابع: المحافظة على حضور صلاة الجماعة ٤١
السبب الخامس: الحضور المبكر للصلاة وآداب المشي إليها ٤٩
فضل التبكير إلى الصلاة ٥١
آداب الذهاب إلى المسجد ٥٥
التحذير من الحديث في أمور الدنيا في المسجد ٥٩
السبب السادس: المحافظة على النوافل ٦٠
السبب السابع: استشعار عظمة من تقف بين يديه ٦٦
مراتب الناس في الصلاة ٦٨
السبب الثامن: حضور القلب أثناء الصلاة ٧١
أهمية صلاح القلب ٧٢

صلاح الباطن يتبعه صلاح الظاهر ٧٤
أمراض القلوب وأنواعها ٧٤
مفسدات القلب ٧٥
أقسام القلوب ٧٧
علامات صلاح القلب وأسبابها ٧٩
السبب التاسع: التفكر في الآيات التي تقرأها ٨٢
تأثر النبي ﷺ بالقرآن ٨٤
تأثر السلف بالقرآن ٨٥
تفسير ابن القيم لسورة الفاتحة ٨٨
ما ورد في تزيين الصوت بالقرآن ٩٣
فضائل القرآن ٩٥
فضائل بعض السور ٩٩
السبب العاشر: ترك العجلة والسرقة من الصلاة ١٠٤
السبب الحادي عشر: أن تصلي صلاة مودع ١١٢
السبب الثاني عشر: التهيؤ قبل الدخول في الصلاة ١١٤
فوائد للسجود أثبتتها دراسات حديثة ١١٧
السبب الثالث عشر: عدم الحركة والعبث أثناء الصلاة ١١٩
السبب الرابع عشر: الحرص على أكل الحلال واجتناب الحرام ١٢٢
وجوب تجنب المشتبهات ١٢٦
تحري الحلال من أسباب إجابة الدعاء ١٣٠

السبب الخامس عشر: تجنب الصلاة في الأماكن التي يكون فيها ما يشغل المصلي ١٣٢
السبب السادس عشر: الفقه في الصلاة ومعرفة أحكامها ١٣٣
حكم صلاة المتنفل وراء المفترض ١٣٧
حكم صلاة المفترض وراء المتنفل ١٣٩
حكم تسوية الصفوف ١٤١
السبب السابع عشر: الحضور للصلاة بملابس نظيفة مطيبة ١٤٧
السبب الثامن عشر: الصلاة إلى سترة ١٥٢
مقدار سترة المصلي ١٥٤
السبب التاسع عشر: المحافظة على السنن التي في الصلاة ١٥٦
السبب العشرون: التعرف على أحوال الخاشعين في الصلاة ١٦٢
السبب الحادي والعشرون: اجتناب الذنوب والمعاصي ١٦٨
السبب الثاني والعشرون: عدم الإكثار من الأكل والشرب ١٧١
السبب الثالث والعشرون: رجاء الخروج بثواب الصلاة كاملاً ١٧٤
السبب الرابع والعشرون: اجتناب كثرة الضحك واللهو وفضول الكلام ... ١٧٧
السبب الخامس والعشرون: الزهد في الدنيا ١٨٣
أنواع الزهـد ١٨٤
من فضائل الزهد ١٨٥
السبب السادس والعشرون: تحقيق العبودية لله في كل ما تقوله في صلاتك ١٩٣
السبب السابع والعشرون: شهود منة الله والحذر من العجب ٢٠٢

أسباب العجب ٢٠٨
مظاهر العجب ٢٠٩
أنواع العجب ٢٠٩
السبب الثامن والعشرون: التأمل في كل ما تفعله في صلاتك ٢١٤
السبب التاسع والعشرون: قيام الليل ٢٢٧
قيام النبي ﷺ ٢٣٠
أسباب تعين على قيام الليل ٢٣٢
السبب الثلاثون: سلامة الصدر ٢٣٦
أثر سلامة الصدر على المجتمع ٢٤١
نماذج من السيرة النبوية في سلامة الصدر ٢٤٢
أسباب تعين على سلامة الصدر ٢٤٧
الإخوة الإيمانية وفضلها ٢٥٠
السبب الحادي والثلاثون: الإكثار من ذكر الله ٢٥٣
هل قراءة القرآن أفضل من الذكر ٢٦٦
من فوائد الذكر ٢٦٨
السبب الثاني والثلاثون: الدعاء ٢٧٤
آداب الدعاء ٢٨٠
أوقات إجابة الدعاء ٢٨١
الخاتمة ٢٨٣
صفة صلاة النبي ﷺ كما ذكرها ابن القيم رحمه الله ٢٨٥
فصل في قيامه وقراءته ٢٨٥

فصل في صفة الركوع ٢٨٦
فصل في صفة الاعتدال من الركوع ٢٨٨
فصل في صفة الهوى إلى السجود ٢٨٩
فصل في صفة السجود ٢٩١
فصل في صفة القيام من السجود والتشهد ٢٩٣
صفة صلاة النبي ﷺ كما ذكرها ابن باز رحمه الله ٢٩٧
قائمة بأهم المراجع ٣٠٥
فهرس الموضوعات ٣٠٧

* * *